

الدكتور علي محمد مطي

# تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام



دار المنهل اللبناني  
مكتبة رأس النبع

ما ملأ الله من الرجاى



كتاب

تاريخ العرب الاقتصادية  
قبل الإسلام

تاريخ العرب الاقتصادية  
قبل الإسلام

الدكتور علي محمد عطاي

# تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام

دار المنهل اللبناني  
مكتبة رأس النبم





دار المنهل اللبناني

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى  
٢٠٠٣م - ١٤٢٣هـ

الكتاب: تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام.  
المؤلف: الدكتور علي محمد معطي.  
الناشر: دار المنهل اللبناني - مكتبة رأس النبع

دار المنهل اللبناني - مكتبة رأس النبع للطباعة والنشر

تلفون: ٠١/٦٣١٦٥٤ - ٠٣/٢٢٦٣٢٥ - تليفاكس: ٠١/٦٣٣٤٣٢ (بيروت - لبنان)



## الإهداء

إلى شقيقي الشاعر الدكتور رشيد معطي  
اعترافاً بفضلته عليّ، وتنشيطاً له الكبيرة من أجلنا،  
أطال الله تعالى عمره  
وإلى روعي جذبي اللذين رحلا قبل أن أبصر النور  
رحمهما الله تعالى وجعل قريتهما روضتين من رياض الجنة.

## المقدمة

تتميز البلاد العربية بموقع فريد، فهي توجد على أهم الطرق الرئيسة في العالم، التي تصل بين الشرق والغرب، وتحيط بها المياه من معظم جوانبها؛ فهناك الخليج العربي في الشرق، والمحيط الهندي في الجنوب، والبحر الأحمر في الوسط، والبحر المتوسط في الشمال الغربي، والمحيط الأطلسي في الغرب.

وقد شكّل هذا الموقع في الماضي معبراً للإنسان في تنقلاته على وجه الأرض، وصلة وصل بين الفارات الثلاث: آسيا وأفريقيا وأوروبا. كما شكّل الموطن الأول له ولذريته حيث التقى آدم وحواء بعد أن طردهما الله سبحانه وتعالى من الجنة ﴿قَالَ أَقْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾<sup>(١)</sup> على جبل عرفات المبارك وتعارفا من جديد، وأعدا العدة لرحلة الإنسان في الحياة الدنيا، التي مستقر إلى أن يرث الله سبحانه الأرض وما عليها. ثم بنى آدم بأمر ربه في مكة الكعبة الشريفة التي كانت أول بيت<sup>(٢)</sup> أقيم في الأرض، ولذا عُرف بالبيت العتيق الذي أزيلت جدرانه وبقيت أركانه في طوفان نوح عليه السلام.

واستجابة لأمر الله تعالى أعاد النبي إبراهيم عليه السلام بناء الكعبة الشريفة بمساعدة ابنه إسماعيل. وقد تعاون الأب والابن في هذا العمل الجليل، وأنجزاه، ثم دعا الناس للطواف حولها، والسعي بين الصفا والمروة، والقيام

(١) قرآن كريم، سورة طه، آية ١٢٣.

(٢) يذكر بعض الرواة أن البيت أُعيط بأفونة واحدة أو فزة واحدة من السماء، حتى إذا أُنقِضَ الله

قوم نوح زلّته وبقي أساءه، فَبَنَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لإبراهيم فَبَنَاهُ.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، الجزء الأول، تحقيق محمد أبو

الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٣٢.

يَكُلُّ الْمَنَاسِكُ الْمَقْرُوضَةَ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، وَالصَّلَاةَ، وَالْإِتِمَامَ بِفَرَائِضِ الدِّينِ  
الْحَبِيبِ، دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا  
يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْكِبَرَةِ وَيَسْتَعِينُ رَبُّهُ أَيُّهَا الْمَلَأَ الْأَرْضَ إِنَّكَ أَنتَ  
رَبُّنَا وَأَعْتَقْنَا مُسْلِمِينَ لَهُ دِينُ دُورَيْنَا أُولَئِكَ مَنَعْنَا لَكُمُ التَّابِتَ وَآوَيْنَا تَتَابِعَتْنَا وَبَعَثْنَا فِيكُمْ  
أَنْتَ أَكْثَرُ الرَّحِيمِ ﴿١٥﴾ رَبُّنَا وَأَبْنَيْتَ فِيهِمْ رُؤُوسًا فَهُمْ يَغْتَوُونَ عَلَىكَ تَابِعْتَهُمْ إِلَى كَيْفَ  
وَأَلْجَأْتَهُمْ زُرْعَتَهُمْ إِنَّكَ أَنتَ الْغَنِيُّ الْكَافِرُ﴾ ﴿١٦﴾.

وعلى هذا الأساس نكون مكة في الحجاز الموطن الأول لآدم وحواء  
ومركز انطلاقهما وانطلاق ذريتهما إلى الأقاليم المجاورة. وتكون البلاد العربية  
كلها قلب العالم القديم الذي لعب منذ أقدم العصور دور الأمان؛ فكان المخزون  
البشري الهائل الذي مد العالم بفراخ البشرية. كما كان المكان الطيب الذي باركه  
الله تبارك وتعالى، وبعث عليه رسوله وأنبياءه الذين قضى القرآن الكريم قصصهم  
وأخبارهم، والذين نشروا فيه تعاليمهم وقيمهم وأديانهم...

وتبث المكتشفات الأثرية الحجرية التي تعود إلى العصر الحجري القديم  
الأدنى، أن الإنسان وجد في عصر ما قبل الآشولي<sup>(١٤)</sup> منذ أكثر من مليون سنة  
تقريباً، في المنطقة الجنوبية - الغربية في شعيب بحصنة (فرع من وادي نجران)،  
وفي وادي ثعلبك، وجنوب غرب قرية الشويحطية على مسافة ثلاثين كيلومتراً

(١٣) قرآن كريم، سورة القدر، آية ١٦٧، ١٦٨.

(١٤) إن كلمة آشولي (Acheuléen) تعود نسبها إلى القديس آشول (Saint Acheul) الذي عاش في  
نفساء الشوم من أعمال فرنسا الشمالية. وهي بقية زمنية بدأت قبل نهاية العصر الجليدي  
المعروف برئيس (Riss)، واستمرت حتى عصر ثلجي (Cheléen). وتتميز أدواته الحجرية التي  
تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأدنى (Paléolithique inférieur)، بترققها على الوجهين  
(Bifaces) بكثير من العناية. ويأخذ بعضها شكل الذرة (amande). كما يأخذ عدد كبير منها  
شكل اليخفط (Racloir) والمسامير (Pointes) والسكاكين أو التنديات (Cousteaux).

وقد انتقل إنسان هذا الحقبة إلى أفريقيا منذ ما يقارب المليون سنة قبل الميلاد، وانتشر في  
أوروبا منذ حوالي ٥٠٠ ألف عام قبل الميلاد.

Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse, Tome I, Librairie Larousse,  
Paris 1982, P72.

من مدينة سكاكا. في الوقت الذي كانت فيه شبه الجزيرة العربية وفيها النباتات  
والحيوانات<sup>(١٥)</sup>.

ومن هناك أخذ هذا الإنسان وذريته ينتشرون في المناطق المجاورة في  
العصور الآشولية التالية. العصر الآشولي المبكر (١٢٠٠.٠٠٠ - ٣٥٠.٠٠٠ قبل  
الميلاد)، والعصر الآشولي الأوسط (٣٥٠.٠٠٠ - ٢٥٠.٠٠٠ قبل الميلاد)،  
والعصر الآشولي الأعلى (٢٥٠.٠٠٠ - ١٠٠.٠٠٠ قبل الميلاد).

وكذلك تبث المكتشفات الأثرية الحجرية التي تعود إلى العصر الحجري  
القديم الأوسط المoustériي<sup>(١٦)</sup> (٧٠.٠٠٠ - ٣٥.٠٠٠ ق.م) أن مستوطنات الإنسان  
كانت تنتشر في معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام<sup>(١٧)</sup>.

ومنذ عشرين ألف سنة من الوقت الحاضر أعقب هذا العصر عصر  
الإعصار الجليدي (الهولوسين)<sup>(١٨)</sup> في صحاري شرق الأردن، والذي يتميز بتطابق

(١٥) محمد عبد النعيم، آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الرحيم  
محمد خير، مؤسسة الحراسي للتوزيع والإعلان، الرياض ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م، ص ٥٨.  
مكتب الترية العربي لدول الخليج: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، الرياض  
١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٢٢٢.

(١٦) المoustériي (Moustérien)، نسبة إلى موستير (Moustier) التي تقع على الضفة اليمنى لنهر فزير  
(Vézère)، في الجهة الجنوبية - الغربية من فرنسا. وفي هذا الموضع اكتشف عام ١٩٠٨ بقايا  
إنسان متحجر يُعرف بإنسان موستير (L'homme du Moustier)، وهو من جنس إنسان  
نيوندرتال (l'espèce de Néandertal)، وتقع فترة المoustériي في النصف الثاني من العصور  
الجليدية (Interglaciaire) المعروفة باسم ريس وويرم (Riss-Würm) وتتميز أدواته الحجرية،  
التي تنتمي إلى ثقافة العصر الحجري القديم الأوسط (Paléolithique moyen)، بتطابقها المثلث  
والمرؤسة كالمسامير (Pointes)، وسكاكينها البيضاء التي تشبه المكاينات (Racloirs)،  
وبأشكالها المرتقة على وجهين صغيرين: (Petit bifaces).

Grand Larousse encyclopédique, Tome 7, Librairie Larousse Paris 1963,  
P366-367.

(١٧) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٢٢، ٢٢٧.

(١٨) الهولوسين (Holocène)، وهو الحقبة الأعلى من التطور الجيولوجي الرابع (Système  
quaternaire) التي تقع بين فترة البليستوسين (Pleistocène) وبداية التاريخ الإنساني، والتي  
دامت أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد.

Grand Larousse encyclopédique, tome 5, Paris 1962, P930.



العصر الحجري القديم الأعلى. والفترة التي تلتها حتى العصر الحجري الحديث، الذي تميز بنبذة المواقع الأثرية، واستمرار الصناعة الموسمية في شبه الجزيرة العربية، ربما اختفى هذا الأسلوب في بلاد الشام.

وتشير الدلائل الأثرية أيضاً، إلى وجود المستوطنات البشرية في العصر الحجري القديم الأعلى (٣٥٠٠٠ - ١٢٠٠٠ ق.م) في شبه الجزيرة، وخاصة في المنطقة الشمالية في وادي السرحان، وفي إقليم حائل، وفي جنوب وادي الأردن، وفي شرق الحجاز ومنطقة الطائف، وفي المنطقة الوسطى في إقليم الدوادمي. وفي جنوب وشرق عسير، وفي المنطقة الجنوبية في بئر حما ووادي ثلث<sup>(٩٩)</sup>.

ويبدو أن الأنماط الموسمية قد استمر وجودها في هذا العصر، ولكن مع سيطرة متزايدة في الترفيق، وطريقة الضغط، ووجود الأطراف الدقيقة الصنع المشابهة لورق الصفصاف التي تنتمي إلى الصناعات السلولونية<sup>(١٠٠)</sup>.

أما المستوطنات البشرية في العصر الحجري الحديث (Néolithique) (٧٥٠٠ - ٥٥٠٠ ق.م) فقد ظهرت في مختلف أقاليم شبه الجزيرة العربية، وخاصة في الربع الخالي في القسم الشمالي - الغربي منه، وفي المنطقة الجنوبية الغربية في وادي ثلث ومرتفعات عسير وبئر حما، وفي منطقة تربة ومنطقة الطائف وبيشة ورنبة ووادي الدواسر، وفي ظلم والخماسين، وفي منطقة الرياض. وفي أقصى الشمال بصحراء النفود، وفي منطقة ضرماء ومنطقة الدوادمي، وفي مناطق جبة وكثرة والحناكية وحائل ونبولك، وفي المنطقة

(٩٩) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(١٠٠) السلولونية (Solutréen) نسبة إلى سولوتر (Solutré) التي اكتُشفت فيها ستة مياكن عظيمة للإنسان العاقل (Homo-Sapiens) الذي عاش في العصر الحجري الأعلى (Paléolithique supérieur) في فترة الأورنياسية (Aurignacien)، والتي تقع في منطقة الشون والوار (Saône-et-Loire) من مقاطعة بورغونية (Bourgogne) في شرقي فرنسا. وهي تُطلق على مرحلة زمنية من العصر الحجري الأعلى، وتمتد تحديداً بين الفترة الأورنياسية وبين الفترة الماغداننية (Magdalénien)، من عام ٢٥٠٠٠ إلى ١٥٠٠٠ قبل الميلاد. وتتميز أدواتها الحجرية بشكلها المسطح كورقة شجرة الصفصاف أو القور، وريشة أطرافها، وصقل وجهها (Bifaces).

Grand Larousse encyclopédique, Tome 9, Paris 1964, P899.

الشمالية الغربية، وفي المنطقة الشرقية في عين دار ومواقع المبيد وناروت وبيرين، وفي منطقة الخور في قطر، وفي إقليم عُمان خاصة في الجزء الأوسط منه، وفي اليمن وخاصة في جنوب البلاد وشماليها. كما ظهرت هذه المستوطنات في مناطق جنوبي العراق وبلاد الشام خاصة في جنوب الأردن.

ويؤكد وجود المستوطنات بكثرة في جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية، وفي سينخات قطر التي كانت بحيرات ومستنقعات صغيرة قديمة، ووجود بقايا الحيوانات كالأبقار وفرس النهر في بعض قيعان البحيرات الجافة بالربع الخالي منذ ١٢٠٠٠ سنة قبل الوقت الحاضر! يؤكد وجودها جميعاً على انتشار المباح المطير نسبياً في مختلف أقاليم شبه الجزيرة العربية الذي هو امتداد للعصر السابق.

وتشير المكتشفات الأثرية التي تعود إلى العصر النيوليتي، أن أدوات الإنسان الحجرية وصناعاته أخذت تتحسن وتصبح أكثر دقة وأكثر صقلًا، ثم تطورت إلى نوع جديد، يُعرف بخزف مواقع العُبيد التي ظهرت في العراق بعد ألف سنة من ظهورها في شرقي شبه الجزيرة العربية، والتي دامت في جنوب بلاد ما بين النهرين من حوالي سنة ٥٣٠٠ إلى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد. كما تشير إلى تغيرات كبيرة في حياة الإنسان حيث انتقل من حياة التنقل والصيد إلى حياة الاستقرار والزراعة وتدجين الحيوان<sup>(١٠١)</sup>.

وتتميز بلاد العرب في العصر الحجري النحاسي (Chalcolithique) (٥٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق.م) بنقلة نوعية نحو الحضارة والمعدنية، حيث ظهرت أدلة على عدة اختراعات وإبتكارات تقنية، أحرقتها مجتمعات فترة العُبيد، منها: اختراع الكتابة، وإقامة المباني بالأجر المشوي، وتأسيس اتصالات تجارية واسعة النطاق، والوصول إلى مستوى مرتفع في ميدان الصناعة التقنية، بما في ذلك

(١٠١) H. McClure: The Arabian Peninsula and Prehistoric Populations, F.R.P. 1971, P72.

محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وعمره، ص ٦٢، الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي ص ٢٢٨ - ٢٣٩.





العبادة (٥٠٠ ق.م) جاءت حجارة التدمريين والأنياط، فنزل التدمريون في بادية الشام، ونزل الأنياط في المناطق الواقعة إلى الشمال الشرقي من شبه جزيرة سيناء حيث استقروا وأسسوا حضارة عظيمة هناك، لا تزال آثارها ظاهرة للعيان في عاصمتهم البهاء المنحوتة في الصخور.

وتتابعت هذه الهجرات فكان آخرها خروج العرب من شبه جزيرةهم في أوائل القرن السابع الميلادي تحت راية الإسلام، لنشره خارج شبه الجزيرة، ولم يقتصر فيض الإسلام على الأقاليم العربية في آسيا وأفريقيا، وإنما غمر مناطق شاسعة من الأراضي، تمتد من إسبانيا غرباً إلى الصين شرقاً، وكوّنوا دولة إسلامية مترامية الأطراف<sup>(١٦)</sup>.

وفي العصور التاريخية القديمة، وفي أوقات مختلفة، نشأت في بلاد العرب دول وحضارات، كان أبرزها الممالك: السومرية والأكادية والبابلية والآشورية والكلدانية، والأمورية، والكنعانية، والفيتية، والميتية، والسبئية، والجبثية، وممالك: دلمون والجرهاء وتدمر والبهاء والحيرة وغسان وميسان والحضر والرها وغيرها.

وفي بحثنا عن تاريخ بعض هذه الحضارات ستقتصر على دراسة جوانبها الاقتصادية في عصور ما قبل الإسلام، وذلك لإظهار مشغولات هذا الاقتصاد ومفاعيله ومعطياته وآثاره، ومدى نظوره عبر هذه العصور التاريخية لإبراز دور العرب في تقدم البشرية في المجالات كافة، وخاصة في المجال الاقتصادي.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الدراسات التاريخية القديمة شاقة وتحتاج إلى صبر وجهد كبيرين، وخاصة الدراسات التاريخية الاقتصادية. وذلك يعود لندرة المصادر المكتوبة، وقلة الآثار المكتشفة، وصعوبة الانتقال والاطلاع على النصوص المكتشفة التي تركتها الشعوب القديمة وسجلتها بأحرف ولغات مختلفة. ولما كانت المكتبات العربية نادرة فيها مثل هذه الدراسات فقد حاولت

(١٦) وللمزيد من الاطلاع على هذه الهجرات يمكن الرجوع إلى:

Hugo Winckler: The history of Babylonia and Assyria, tr. James A. Craig, New York 1907, P18-22.

ارتداد هذا الطريق الصعب، لعلمي أستطيع أن أضيف لبنة صغيرة إلى الصرح العلمي الكبير للدراسات التاريخية الذي أرسى قواعده بعض مؤرخينا الأفاضل أمثال: اليلاذري والطبري والمسمودي واليعقوبي وابن الأثير وابن خلدون... وغيرهم. والذي رفع بعض مداميكه وجدرانه عدد من المؤرخين الأعلام الذين جاؤوا بعد هؤلاء في الماضي والحاضر، والذين يهتدي بعلمهم في كل زمان ومكان...

وفي نهاية المطاف فإن غايتنا من هذه المحاولة هي مقارنة الحقيقة العلمية المجردة، وتقديمها إلى الباحثين وطلاب العلم، لعلمهم بجدون بين مطورها ما يتقدم ويتبع الأجيال القادمة.

أما غايتنا القصوى فهي إرضاء لوجه الله تعالى الذي ترجع إليه الأمور كلها، فعمه نستمد العون والقدرة والعلم والمعرفة، ومن أجل رضا سبحانه نكتب ونعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

علي محمد معطي



## الفصل الأول

### الجغرافية الطبيعية لشبه الجزيرة العربية

#### ١ - الموقع:

تقع شبه جزيرة العرب في جنوب غربي آسيا، وتصل بأفريقيا عن طريق شبه جزيرة سيناء، وتوجد على إحدى الطرق الرئيسة التي تصل بين الشرق والغرب. ويغفل ارتفاع مياه المحيط الهندي لحول المنخفض البري الذي كان يصل بلاد العرب ببلاد فارس، إلى بحر واسع من الماء يمتد حوالي ١١٠٠ كيلومتر ضمن القارة الآسيوية. ويكاد نهرا دجلة والفرات اللذان كانا يجريان سابقاً في قاع ذلك المنخفض، يشكلان اليوم استطالتي هائبتين للذراع المحيط الهندي نحو الشمال الغربي، فيقرنان منطقة شبه الجزيرة العربية من قارة أوروبا ومن عالم حوض البحر المتوسط<sup>(١)</sup>.

وفي الماضي، وقبل أن يشق البحر الأحمر مجراه ويحدث الخسف العربي - الأفريقي فيعزل آسيا عن أفريقيا، كان إقليم الشرق العربي - النومي كتلة واحدة، وكانت شبه جزيرة العرب جزءاً من صحراء كبرى ممتدة في شمالي أفريقيا وغربي آسيا. وحتى اليوم، يلاحظ أن النصف الجنوبي - الغربي منها يشترك في كثير من الصفات مع مقاطعات أفريقيا الشرقية كالصومال والحبشة. وهو أقرب إلى هذه الأصفاح الأفريقية منه إلى القسم الشمالي من شبه الجزيرة في كثير من الخصائص.

أما أراضي القسم الشمالي منها فتتمثل بصورة انسيابية نحو آسيا العربية، خلال سهوب سورية ومرتفعات عمان التي تشمل سلاسل جبلية نشطة مدرجة

(١) مكتب التربة العربي لدول الخليج. الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي. ص ١٢

كبيرة تلك التي على جانبها الشرقي من قارة آسيا<sup>(٢١)</sup>. وعلى الرغم من أن الجزيرة العربية تشغل بقارة أفريقيا عن طريق سيناء إلا أنها من الناحية الجغرافية تُعد جزءاً من قارة آسيا.

لقد كان لهذا الموقع الجغرافي أهمية كبرى في القرون الطويلة التي سبقت سنّ قناة السويس، فكانت جزيرة العرب شريان التجارة والمواصلات الدولية الرئيس، ومحور العلاقات السياسية والاقتصادية بين مراكز الحضارات الأولى في العالم القديم، وخصوصاً بين وادي السند ووادي الرافدين ووادي النيل<sup>(٢٢)</sup>.

## ٢ - المساحة والحدود:

تبلغ مساحة شبه الجزيرة العربية (٣١٢٩٧٠٨) ثلاثة ملايين ومائة وتسعة وعشرين ألفاً ومبعمائة وثمانية كيلو مترات مربعة، وتأخذ شكل شبه مستطيل غير منتظم، يبلغ طوله من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ٢٢٠٠ كيلومتر، ويبلغ عرضه ١٢٠٠ كيلومتر ويحصر بين خطي عرض ١٥° و ٣٢°، ويقسم بين ثاباه ثلاثة أقاليم مناخية هي:

أ - الإقليم المداري: ويقع ما بين خطي عرض ١٥° و ١٨° شمالاً.

ب - الإقليم الصحراوي: ويشمل القسم الواقع بين خطي عرض ١٨° و ٣٠° شمالاً.

ج - الإقليم المعتدل القريب من البحر المتوسط: ويحصر بين خطي عرض ٣٠° و ٣٢° شمالاً<sup>(٢٣)</sup>.

وهذا الشكل شبه المستطيل وغير المتوازي الأضلاع تعترضه في الشرق مرتفعات عُمان التي تصل إلى الساحل الإيراني. ويحيط به من الغرب البحر الأحمر الذي كان يُعرف قديماً باسم بحر القلزم، ومن الجنوب خليج عدن

وبحر العرب والمحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي وخليج عُمان. أما حدودها الشمالية فغير واضحة وغير متفق عليها، وقد يوصلها البعض إلى نهر الفرات ونهر العاصي عند اقترابهما في أعالي بلاد الشام. وهذا ما يدخل بلاد الشام كلها وأجزاء من العراق في شبه الجزيرة العربية، ويزيد في مساحتها زيادة فاحشة. وعندما سُئل الشعبي عن جزيرة العرب فقال: «ما بين العُذيب إلى حضرموت». وقال الأصمعي: «جزيرة العرب ما لم تُظَلَّ فارس والروم». وقال الرياشي: «جزيرة العرب ما بين نجران إلى العُذيب». وقال أبو عُبيدة: «جزيرة العرب ما بين حَقَر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول، وفي العرض ما بين رمل نيرين إلى السماوة». وقال محمد بن الحسن: «بلاد العرب الذين لا تقبل منهم الجزيرة، ولا يُرضى منهم إلا بالدخول في الإسلام أو السيف من العُذيب إلى أبين عَدَن فذلك الجزيرة»<sup>(٢٤)</sup>.

ويرى ابن الفقيه الهمداني أن مجرى نهر الفرات الأسفل يشكل حذها الشمالي الشرقي، وأن شواطئ فلسطين على البحر المتوسط تشكل حذها الشمالي الغربي، وهذا يعني أن يادني العراق والشام كانتا جزءاً من شبه جزيرة العرب، وفي حوزة سكانها<sup>(٢٥)</sup>. ويُؤيد الجغرافي العربي ابن حوقل قول الهمداني في هذا الشأن<sup>(٢٦)</sup>.

يُسمي العرب بلادهم باسم الجزيرة، لأن مياه البحر تحيط بها من ثلاث جهات، ولأن أنهار دجلة والفرات والعاصي تعقد لها حدوداً مائية في قسمها

(٥) أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه: كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، دار عالم الكتاب، بيروت ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، ص ١٧٦.

محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وعصره في المملكة العربية السعودية، ص ٣٤.

نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت ١٩٧٥، ص ١٧.

(٦) أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الفقيه الهمداني: مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل - ليدن ١٨٨٤، ص ٧٤.

(٧) أبو القاسم محمد التميمي بن حوقل البغدادي: كتاب صورة الأرض، مطبعة بريل - ليدن ١٩٣٨، ص ١٨ - ١٩.

(٢) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وعصره في المملكة العربية السعودية، ص ٣١ - ٣٢.

(٣) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٢.

(٤) محمد أحمد الرويثي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، دار الواحة العربية، المدينة المنورة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ م، ص ٣٧ - ٣٩.



الشمالي. ويؤيد ذلك ما يورده الجغرافي العربي الحسن الهندي في مؤلفه «صفة جزيرة العرب» حيث يقول: «وأما سميت بلاد العرب «الجزيرة» لإحاطة الأنهار والبحار من أقطارها وأطرافها، وصارت منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر. وذلك أن الفرات القادم من بلاد الروم ويظهر بناحية فنسرين، ينحط على الجزيرة (أي يميز عبر أراضيها) وسواد العراق حتى يصب في البحر من ناحية البصرة والأبلة، ومنها على شاطئ الخليج العربي، بطوف على سفوان والقطيف وهجر وأسياف (سواحل) البحرين وقطر وعمان، ثم ينحط خط الحدود بشواطئ بحر العرب على الشحر وحضرموت وناحية أبين وعدن، وينحط على شواطئ بحر القلزم (الأحمر)، ماراً بسواحل تهامة اليمن وعسير والحجاز إلى خليج أبلة وساحل الطور (في سيناء) وساحل راية حتى قلزم مصر، ومنها إلى بحر الروم (المتوسط)، ويسير فيه على شواطئ فلسطين وسورية، فيميز بسواحل عسقلان والأردن وبيروت وذوائها من سواحل دمشق وحمص إلى سواحل فنسرين حيث بدأ<sup>(٨)</sup>. وينتهي باقوت الحموي في موسوعته الجغرافية تهج الهنداني في تحديده لأقاليم شبه جزيرة العرب<sup>(٩)</sup>. وبذلك تصبح جزيرة العرب شاملة القسم الأكبر من بلاد الشام وبادية العراق.

وهكذا نجد أن جزيرة العرب خلال العصور القديمة كانت تمتد حتى سواحل البحر المتوسط، وأن حضارات بلاد الشام في تلك العصور كانت امتداداً لمجموعة الحضارات التي ازدهرت في الأقاليم الواقعة بين البحر العربي جنوباً، والبحر المتوسط شمالاً، والخليج العربي شرقاً، وساحل البحر الأحمر غرباً. غير أن حدود شبه الجزيرة العربية اليوم قد رُسمت لتفصل المملكة العربية السعودية والكويت عن الأردن والعراق، ولتتمتد شمالاً حتى خط العرض ٣٠ -

(٨) أبو محمد الحسن بن أحمد الهندي: سفة جزيرة العرب، مطبعة بريل - ليدن ١٨٨٤، ص ٤٧.

(٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، الجزء الثاني، دار صادر، بيروت ١٩٥٦ - ١٩٦٦، ص ١٣٧ - ١٣٨.

٣١ درجة مختوفة مثلث الصحراء السورية الواسع (الحمام) الذي كان يعدّه قدماء الجغرافيين امتداداً لها<sup>(١٠)</sup>.

### ٣ - سطح شبه جزيرة العرب:

يأخذ سطح شبه الجزيرة العربية شكل هضبة عالية، تتكون من صخور قديمة صلبة، وتغطي الصخور البلورية مساحات شاسعة من أراضيها. وتنحدر الانحدارين: أحدهما نحو الغرب، والآخر نحو الشرق. ويبدأ الانحداران من سلسلة جبال السراة التي تقع غربي شبه الجزيرة، وتمتد من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب<sup>(١١)</sup>. وانحدار هذه الهضبة من جهة الشرق هو تدريجي ويعبر وادي دجلة. أما الانحدار من جهة الغرب فهو سريع. وتحضر سلسلة جبال السراة بينها وبين ساحل البحر الأحمر سهولاً وعدة أودية ضيقة، يصل متوسط عرضها إلى خمسة عشر ميلاً، ويبلغ أقصى اتساع لها ثلاثين ميلاً. وتشكل قيعانها العميقة المتعززة عائقاً طبيعياً لحركة النقل، كما أن مياهها ليست صالحة للري والملاحة؛ أما الأودية التي تهبط باتجاه الخليج العربي فهي شاسعة وضحلة ويمكن اجتيازها بسهولة. وتعتبر الشعاب والأودية الواسعة والضحلة إحدى السمات المميزة لتضاريس شبه الجزيرة العربية<sup>(١٢)</sup>.

وفي الطرف الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب جبال هي جزء من الكتلة الصخرية في شرقي أفريقيا. وتنفرع هذه الجبال إلى فرعين كبيرين: أولهما يذهب شمالاً على طول الساحل الغربي حتى يتصل بجبال بلاد الشام،

(١٠) G.M. Lees: The Physical Geography of South eastern Arabia, G.J., May 1928, P442 and 534.

- محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٣٢.

(١١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢ و ١٣٧.

(١٢) محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الثاني، المنطقة الخيرية بمصر، ١٣٠٦ هـ، ص ٦١٥. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٣ راج ٥ ص ٦٦٣.

- محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره...، ص ٣٢ - ٣٤.

- نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم...، ص ١٩.



ويُسمى بالحجاز لأنه يحجز بين تهامة وهي المنطقة الساحلية المنخفضة، وبين نجد. وليس في هذا القمع قسم عالية<sup>(١٣)</sup>. وثانيهما يمتد شرقاً وينخفض تدريجياً، حتى إذا ما وصل إلى منطقة ظفار شرقي حضرموت ضاعت معالمه، ثم يعود ليرتفع في عُمان حيث يبدو وكأنه يتصل بجبال الأهواز في إيران. وفي هذه السلسلة قمتان عاليتان: إحداهما عند صنعاء، عاصمة اليمن، يصل ارتفاعها إلى ٣٧٠٠ متر، والأخرى في الجبل الأخضر بالقرب من عُمان، ويصل ارتفاعها إلى ٣١٠٠ متر تقريباً<sup>(١٤)</sup>.

وتخلل الهضبة اليمنية أودية كثيرة تنحدر إلى البحر الأحمر وخليج عدن وصحراء الربع الخالي، ومن هذه الأودية: وادي مور ووادي زبيد ووادي مأرب. وعلى امتداد ساحل البحر الأحمر في اليمن يمتد شريط ساحلي خصب تتصل عنده الأودية بالشاطئ البحري وخلف هذا الشاطئ يوجد العديد من المتحدرات ذات الأشكال البرجية التي تهطل فيها أمطار "العانسون" الموسمية<sup>(١٥)</sup>. وتشجع الأجواء المناخية في جبال اليمن على زراعة البن، وخصوصاً في المرتفعات الجبلية التي يمتد علوها ٤٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. كما يشجع انتظام هطول الأمطار وكفايتها على المناطق الجبلية العليا، سواء القريبة من البحر أو التي تقع في أقصى الشرق من أواسط الهضبة اليمنية، على زراعة الحبوب مثل: القمح والدخن والشعير. وتزرع الكرومة، من أجل الحصول على الزبيب، في المناطق السفلى من الهضبة<sup>(١٦)</sup>.

(١٣) الحسن الهنتاني: صفة جزيرة العرب، ص ٤٨. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٩.

(١٤) الحسن الهنتاني: صفة جزيرة العرب، ص ٧١ - ٨٠. نبيه هائل: تاريخ العرب القديم... ص ١٩ - ٢٠.

(١٥) الحسن الهنتاني: صفة جزيرة العرب، ص ٥١.

Duddley L. Stamps: A regional Geography, pt. IV-Asia, London 1964, P144-150.

• الدخن: نبات من فصيلة النجيليات. حبة صغير يتقدم طعماً للطير والدجاج.

(١٦) Stamps: A Regional Geography, P143-153.

• محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٣٧.

ويتكوّن إقليم حضرموت في شرق اليمن:

أ - من سهل ساحلي جاف، ومرتفعات رملية قصيرة.

ب - ومن هضبة جافة تبعد حوالي ٣٠ كيلومتراً عن مياه البحر، ويتراوح متوسط ارتفاع معظم الأجزاء التي تعلو بشكل فجائي من السهل الساحلي ما بين ٤٠٠٠ و ٥٠٠٠ قدم.

ج - ومن أودية عميقة تنفود إلى الوادي الرئيسي الخصب الذي يمكن الحصول على المياه فيه من الآبار الضحلة والذي تُزرع حقوله وبساتينه في الصيف والشتاء.

د - ومن المنحدرات التي تمتد في الجهة الشمالية من الوادي، والتي تمنع زحف الصحراء هناك.

وفي شرق حضرموت يقع إقليم ظفار الذي اشتهر منذ أقدم العصور بأنه موطن اللبان (البخور)، والذي يتميز بغنى أشجاره النضرة وبمتحدرات جباله التي تطل على البحر وتغطيها الغابات<sup>(١٧)</sup>.

وإلى جانب الجبال التي تلتف على شكل منحني في موازاة المحيط الهندي، والتي تقع في الركن الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية، يوجد في منطقة رأس الخيمة، الساحل الشروسي (Trucial Coast) الذي يبعد ٢٥ ميلاً عن رأس الحمراء. كما توجد في الجهة الشمالية الغربية من هذا الساحل أراضي شبه جزيرة قطر التي تدخل في مياه الخليج العربي<sup>(١٨)</sup>.

تقع قطر في منتصف الساحل الغربي للخليج العربي، وهي عبارة عن شبه جزيرة قاحلة، تبلغ مساحتها ١١٤٣٧ كيلومتراً مربعاً، وتتكوّن بصورة رئيسية من هضبة غير مستوية من الحجر الجيري، وتسيطر على معظم سطوح أوضاعها الصحاري الحصوية التي تتخللها مساحات كثيرة من البقاع الرملية. وتتشكل

(١٧) الحسن الهنتاني: صفة جزيرة العرب، ص ٥١. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٧٠ و ج ٤، ص ٦٠. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٣٧ - ٣٨.

(١٨) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره... ص ٣٨.

سواحلها المنخفضة من السنة رملية وخصوية ومبسات ملحية، تُعزّز في بعض المناطق بالهضاب المنخفضة ذات التكوين الجيري، ويتخلّل هذه السواحل الكثير من الخلجان الصغيرة الضحلة والبحيرات المالحة والمداخل الضيقة. وتكثر فيها الأودية المشكّنة من السيول والكتبان الرملية المنحركة والأخوار (الحياض) وبرك المياه المشكّنة من مياه الأمطار. وتفتقر قطر إلى خزانات المياه الجوفية كائني في الأحساء والبحرين<sup>(١٩)</sup>.

وتشايح السهول الساحلية في الإقليم الشرقي من شبه الجزيرة العربية تمثّلها شمالاً، وترتفع ٢٠٠ متر عن مستوى سطح البحر في معظم الأجزاء الداخلية التي تبعد ما بين ٣٠ و ٦٠ ميلاً عن مياه البحر. وتتميز هذه السهول بالانتماء، كما تتميز بالطقس الحار والرطوبة العالية في فصل الصيف، وبقلّة الأمطار وعدم انتظامها في فصل الشتاء. وعلى الرغم من وجود بعض الطبقات الرملية الطويلة والأودية التي تشجّه نحو المناطق الداخلية، فإنّه لا يوجد في هذه السهول أنهار وأخوار تجري غيرها نحو الخليج العربي.

ويُعدّ سهل الأحساء امتداداً لهذه السهول الساحلية، مع وجود الألسنة المتداخلة من الرمل والحصي، والسيخات المالحة والمختلطة بالأراضي الرسوبية. وتشكّل المياه الأرتوازية الموجودة في رسوبيات الجزء الأوسط من منطقة الهفوف الدعامة الأساسية لواحات الأحساء الواسعة التي تزيد عن الأربعين ميلاً. وتتميّز أراضي جبل قار، الذي يقوم في وسط واحة الهفوف ويأخذ شكل تل مسطح القمّة، لتكوّن خنادق وأعمدة. ويتخلّل هذا التل كهف ضخم في جهته الجنوبية ليشتكّل مرفأً طبيعياً رطباً<sup>(٢٠)</sup>.

وفي منطقة متوسطة من الخليج العربي، يقع أرخبيل جزر البحرين الذي

(١٩) Peveril Meigs: Geography of Coastal Deserts, Belgium, Unesco 1966, P47.

الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٥٥٥.

محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وقهره... ص ٤٢.

Meigs: Geography of Coastal Deserts, P39-42.

محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وقهره... ص ٣٨، ٣٩.

يضمّ ثلاثاً وثلاثين جزيرة بين صغيرة وكبيرة. وقد تكوّنت هذه الجزر مع ارتفاع مستوى مياه المحيط الهندي وتغيّرها لأجزاء كبيرة من الوادي الذي يُطلق عليه اصطلاحاً اسم «ما قبل الخليج»، وكان ذلك حوالي ١٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد. وعندما تمّ تحوّل هذا الوادي إلى خليج كبير (هو الخليج العربي اليوم) حوالي سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد، تحوّلت المرتفعات والجبال والهضاب إلى جزر. وغدت الأرض العربية شبه جزيرة. ويبدو أنّ جزيرة البحرين كانت حوالي ٦٠٠٠ قبل الميلاد تفصل بزا بساحل شبه الجزيرة العربية الشرقي، فلا يتجاوز عمق البحر في هذه المنطقة الفاصلة اليوم أكثر من ٢٥ متراً<sup>(٢١)</sup>. ولا تبعد عن ساحل الأحساء أكثر من أربعة وعشرين كيلومتراً. ويغلب على البنية الطبيعية لجزر البحرين الصحاري الجرداء التي يغطي معظمها حجارة وصخور كلسية تسترّها الرمال في بعض المناطق. وتعدّ جزيرة البحرين أكبر ثلاثة جزر في هذا الأرخبيل، وهناك جزيرة المحرق المنخفضة التي تقع في الجهة الشمالية الشرقية منها، ثمّ جزيرة سترّة التي تقع بجوار شاطئ البحرين الشرقي، وجزيرة النبي صالح التي توجد في خليج خور الكعب العريض، وجزر: أم الشجر، وأم الشجيرة التي كانت موطناً لصيادي الأسماك، وجدة التي تقع في الجهة الغربية وتتألف من صخور رمادية مصفّرة وشريط مسطح من الأرض، وتأتي جزيرة جدة مجموعة كبيرة من الطيور، كما تعيش حولها أسراب وفيرة من السمك، وأبرز ما يميّز هذه الجزيرة هو مقالع الحجارة التي استغلّت لأعمال البناء والتحصين في مختلف المهود. وإلى الجنوب من جزيرة جدة توجد جزيرة أم النعسان، ثاني جزيرة في البحرين من حيث المساحة، وهي جزيرة صخرية كلسية منبسطة السطح باستثناء هضبتين صغيرتين في وسطها تنمو فيها أشجار النخيل. هذا إلى جانب عدد آخر من الجزر<sup>(٢٢)</sup>.

وفي الزاوية الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة العربية تقع الكويت التي

(٢١) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٧٥ و ٧٨.

(٢٢) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وقهره... ص ٣٩، ٤٠.

الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٥ - ٢٦.



تضم إقليماً مثلاً من البر الرئيسي، وجزيرة قبلكا، وعوثة، ومسكان، وكبر، وأم الحرام، وسريان، ووربة، وقاروه. ويلاحظ أن هذا الإقليم يتكوّن في معظمه من أراضي حصوية صلبة، وخصوصاً في الأصقاع التي تمتدّ شمالي مدن الكويت والجهراء والرفعي، وغربي منطقة الشفاء. بينما تتحوّل طبيعة هذا الإقليم إلى أراضي رملية في الأصقاع الأخرى. أما الخليج الطبيعي، الذي يوجد في الركن الشمالي الغربي من الخليج العربي، فهو عبارة عن فجوة عميقة في الخط الساحلي للخليج، ويمثّل شمالاً بالشواطئ الغربية للمخور والصبية التي تقع فيها جزيرة فيلكا على بعد ٢٥ كيلومتراً من البر الكويتي، ويبلغ طول مدخله بين هذه الأراضي الطبيعية المسطحة ورأس الأرض، حوالي ٤ أميال<sup>(٢٣)</sup>.

ومن تضاريس شبه الجزيرة العربية البارزة هضبة نجد التي تقع في وسط شبه الجزيرة، بين صحراء النفوذ الكبرى في الشمال والغربي، والذهناء (أو النفوذ الصغرى) في الجنوب والشرق، وأطراف العراق في الشمال الشرقي، والحجاز في الغرب. وقد سُمّي العرب أواسط شبه الجزيرة «نجداً» لأنّ أراضيها مرتفعة، وذلك تمييزاً لها عن الغور أو تهامة التي تعني الأرض المنخفضة<sup>(٢٤)</sup>.

وتتميّز صحور هذه الهضبة بأنّها من عصور جيولوجية مختلفة، لعلّ من أهمّها الصخور الرملية التي تعود إلى الزمن الأول (الباليوزي) في الشمال والغرب، وهي صحور خازنة للمياه، وتزوّد واحات هذه الهضبة بكميات وافرة منها. وتتركز الأطراف الغربية لهذه الهضبة على أطراف إقليم المرتفعات الغربية وتخلّلها مرتفعات بركانية حديثة. ويمتدّ هذا الإقليم من الغرب إلى الشرق، أي بين المرتفعات الغربية والذهناء مسافة تبلغ نحو ٦٥٠ كيلومتراً، ويتراوح ارتفاعها ما بين ١٢٠٠ - ١٨٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر، وينخفض إلى حوالي ٧٠٠ متر في منطقة التفاه برمال الدهناء.

(٢٣) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٣١.

- محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره، ص ٣٩.

- عمر ذيب مصطفى: جزيرة فيلكا، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٩٨٨م، ص ٣٥-١٤.

- غاثم سلطان: الملاحة البحرية وأهميتها للكويت قديماً وحديثاً، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٩٨٨، ص ٩٥.

(٢٤) باتوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ١٦٢.

وفي القسم الغربي منها يوجد جيلاً أجاً وسلمى المنسوبان إلى قبيلة طيء<sup>(٢٥)</sup> وصخورهما من الغرانيت الأحمر، وقد اشتهرا بالمناعة وبصعوبة النفوذ إليهما، ويفصل بينهما سهل واسع تقع فيه مدينة حائل، ويصل ارتفاع قمة جبل أجاً إلى ١٦٥٠ متراً. وتُسمّى هذه المنطقة الجبلية الآن بجبل شمر<sup>(٢٦)</sup>، وفيها يقول الشاعر العربي زيد بن مهلهل الطائي:

جلينا الخيل من أجاً وسلمى      تحب نرائعاً خيب الركاب  
ويقول لبيد:

كأركان سلمى إذ بدت أو كائنها      هضاب أجاً إذ لاح فيه مواسل<sup>(٢٧)</sup>

ويمتدّ إقليم نجد من أوسع أقاليم شبه الجزيرة العربية. وقد قسّمه العرب إلى قسمين: نجد العالية وهو ما ولي الحجاز وتهامة من جهة الغرب، وقد قطعت الأودية هذا القسم وحولته إلى هضاب، ومن أوديته وادي الرمة الكبير وروافده الذي يمتدّ القصيم ومدبنتي عنيزة وبريدة وعدد من القرى المجاورة بالمياه<sup>(٢٨)</sup>. ونجد السافلة وهو ما ولي العراق والخليج العربي من جهة الشرق، ويتكوّن هذا القسم من الصخور الرسوبية الرملية والجيرية والطفيلية، وتبرز فيه سلسلة جبال «طويق» التي تأخذ شكل قوس كبير تشبه وتحدّر بشدّة نحو الغرب وتدرّجي نحو الشرق، ويبلغ امتدادها ٨٠٠ كيلومتر، وتصل إلى ارتفاع ٣٢٠٠ قدم، وتتخلّلها مجموعة من الأودية والواحات أهمّها: وادي حنيفة، وكان يُسمّى قديماً<sup>(٢٩)</sup>، ووادي حريملاء، ووادي نساخ. وكانت هضبة نجد من أخصب أراضي شبه الجزيرة العربية وأغناها<sup>(٣٠)</sup>.

(٢٥) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢١٦. نبيه عاتل: تاريخ العرب القديم، ص ٢٠. الرويحي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٦٨.

(٢٦) باتوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩٦.

(٢٧) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره، ص ٣٩.

(٢٨) عبد الوهاب عزّام: مهد العرب، القاهرة ١٩٤٦، ص ٧٧.

(٢٩) محمود شكري الألويسي: بلوغ الأوب في معرفة أحوال العرب، الجزء الأول، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٢٤، ص ٢٩٩.

الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢١٦.



ويقلب على شبه الجزيرة العربية الدارات والصحاري التي تخلو في معظمها من المياه والغطاء النباتي بحيث يصبح من الضرورة توفير المياه والأغلاف من الواحات القريبة للرحلات العابرة لهذه الفيافي الفاحلة. ومن أهم هذه الصحاري: صحراء النفود الكبرى، وصحراء الدهناء (النفود الصغرى)، وصحراء الربع الخالي...

تقع صحراء النفود الكبرى شمالي مضيق نجد بين بادية الشام وشمالي الحجاز. وتمتد من الشمال إلى الجنوب ١٤٠ ميلاً، وتسير نحو الشرق لمسافة ٦٥٠ كيلومتراً، بعرض يبدأ من ٤٠ كيلومتراً في الشرق ليصل إلى ٣٢٠ كيلومتراً في الغرب، وتبلغ مساحتها ٥٧٠٠٠ كيلومتر مربع، ويصل ارتفاعها في الجنوب الغربي إلى ١٠٠٠ متر ويقل عن ٦٠٠ متر في الشمال والشرق<sup>(٣٠)</sup>. وكانت تعرف قديماً باسم بادية السماوة أو رملة عالج<sup>(٣١)</sup>. وهي عبارة عن عروق عميقة من الرمل والحصى تشكلت بفعل التفرعة الجوية والتكوينات الرسوبية المختلفة التي يرجع بعضها إلى الزمن الجيولوجي الرابع. ورمل النفود الكبرى أحمر وأبيض ومنتوَج يحمله الرياح من مكان إلى آخر، ويشكله على هيئة مختلفة، ويوجد فيها كثبان رملية ناعمة. ويصعب على المرء أن يسير فيها، ويصل ارتفاع بعضها إلى ١٥٠ متراً. وفيما تتميز صحراء النفود بالجفاف في نصف السنة الصيفي فإنها تتحول في فصل الشتاء إلى مراعي غنية بعد سقوط المطر. ويتجه تصريف مياه السطوح الصخرية الكلسية نحو الشمال الشرقي، وتصرف معظم مياهها إلى سلسلة من الأحواض الداخلية التي تساعد على حفر الآبار وتشكيل الواحات<sup>(٣٢)</sup>.

(٣٠) الرويحي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٧١. جواد عل: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، مطبعة المجمع العلمي ببغداد، ص ٩٣. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجر...، ص ٣٦.

(٣١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٧٠.

(٣٢) الرويحي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٧١. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجر...، ص ٣٦. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العثمانية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦، ص ١٤.

وتقوم صحراء الدهناء (النفود الصغرى) بين منطقة الأحساء ونجد، وهي عبارة عن قفلة واسعة، وتشكل من أراضي حصوية صلبة تغطيها، بصورة متقطعة، أحزمة رملية مختلفة الأحجام. وتبدأ الدهناء ممراً ضيقاً في جنوبي صحراء النفود الكبرى، ثم تسير في قوس طويل ضيق يقع شرقي جبل طويق، ويصلها بصحراء الربع الخالي جنوباً، ويبلغ طول الدهناء من الشمال إلى الجنوب ١٣٠٠ كيلومتر، ويتراوح عرضها بين هضبي العرمة والصمان ما بين ٣٠ و ٨٠ كيلومتراً، كما يتراوح متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ متر. وتضم الدهناء أشكالاً متنوعة من الكثبان الرملية الطولية والأودية التي تتحد بانحياز الشرق، ويكون امتداد الكثبان الرملية الطولية على سطحها من الغرب إلى الشرق، ويفصل بينها عروق صخرية صلبة قليلة الارتفاع<sup>(٣٣)</sup>.

وعلى الرغم من خلو الماء فيها وجفاف بعض أجزائها إلا أن الدهناء تتميز عن الربع الخالي بتنوع أعشابها وغزاره مراعيها، وهي كثيرة الكلا، ليس في بلاد العرب مربع مثلها، وإذا أخضت رُبعت العرب فيها<sup>(٣٤)</sup>. ففيها ينمو العشب والزهر، كما تنمو بعض الأشجار القصيرة على متون التلال الرملية، مما يجعلها مرعى سائغاً لدى البدو والقاطنين هناك. وفيها مراعي جيدة حتى في فصل القيظ، فهناك بقاع خضراء تنبت فيها أعشاب طويلة الساق حتى في الفصول التي تسبق نزول المطر، كما تنبت فيها أشجار الشيح الوفير الذي يصلح علفاً للجمال<sup>(٣٥)</sup>. ولعل الدهناء من الدهان الذي يعني الأديم الأحمر، وذلك لاختلاف النباتات والأزهار في أراضيها<sup>(٣٦)</sup>.

وهناك قوس صحراوي آخر يصل صحراء النفود الكبرى بصحراء الربع

(٣٣) الرويحي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٧٠. الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢١٧. راجع أيضاً خريطة شبه الجزيرة العربية الطبيعية في باب الملاحق، ملحق رقم...

(٣٤) الزبيدي: تاج العروس، ج ٩، ص ٢٠٥.

(٣٥) أ.ي. بليانيف: العرب والإسلام والخلافة العربية في الفرون الوسطى، ترجمة أنيس فريجة، دار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣، ص ٧٠ - ٧٥.

(٣٦) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٩٢.



الخالتي، ويقع غربي جبل طويق، ولكن هذا القوس ليس مستمراً كالقوس السابق بل كثيراً ما ينحني ويعود للظهور ثانية. ويلاحظ في صحراء النفود الكبرى وصحراء الدهناء تلال رملية أو كتبان تتوزع مع الرياح، وتنتقل معها عند هبوبها، ويكون تحرك الرمال دوماً باتجاه الجنوب، وتحدد باتجاه الريح الخالتي<sup>(٣٧)</sup>.

وتوجد صحراء الربع الخالتي في القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية، بين اليمن وعمير غرباً، وعُمان والجبل الأخضر شرقاً، وبين صحراء الدهناء وهضبة نجد شمالاً، وحضرموت وطفار جنوباً. وتطلق على صحراء الربع الخالتي اسم الصحراء العربية الكبرى. ويترأخ عرضها من الشمال إلى الجنوب ما بين ٦٠٠ و ٨٠٠ كيلومتر، وطولها من الشرق إلى الغرب ١٢٠٠ كيلومتر، وتصل مساحتها إلى حوالي ٦٤٧٥٠٠ كيلومتر مربع<sup>(٣٨)</sup> وهي عبارة عن منخفض واسع من الأرض تحيط به المرتفعات ويغمرها غطاء كثيف من الرمال الجرداء الجافة في ثلثي مساحتها، والتي تأخذ شكل كتبان عالية هلالية وطولية معقدة. وقد استخرج من أطرافها الشمالية البترول، كما احتفظ بها بحوي باطنها من البترول كاحتياطي ضخم للمستقبل<sup>(٣٩)</sup>. وكان الناس إلى زمن قريب، يعتبرونها أرضاً مخيفة، ولا يتجرؤون على اجتيازها، وقد عبرها الرحالة الإنكليزي برترام توماس لأول مرة في عام ١٩٣١، وجون فليبي عام ١٩٣٢<sup>(٤٠)</sup>. ويظهر من المتحجرات والأصداف التي عثر عليها في الربع الخالتي أن البحر كان يغمر أجزاءها في العصور الجيولوجية القديمة، واستدل على ذلك بالبحيرة المالحة التي اكتشفها توماس نفسه<sup>(٤١)</sup>.

(٣٧) تيه حافل: تاريخ العرب القديم... ص ٢١.

(٣٨) الرويني: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٦٩.

(٣٩) الدليل الأثري والحفاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢١٦.

(٤٠) الرويني: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٧٠. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١ ص ٦٨.

(٤١) الرويني: المرجع السابق، ص ٧٠.

ويحيط بالربع الخالتي من أطرافه مناطق: بيرين وهي رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة (مدينة باليمامة) وويار (أو ويار) هي أرض بين اليمن ورمال بيرين. والأحفاف بناحية الشجر في الجانب الغربي الجنوبي من الربع الخالتي، بناحية حضرموت اليمن، وهي سلسلة من الكتبان الرملية الدقيقة النعومة التي يتعذر على المرء اجتيازها إلا في بعض الجهات وذلك لانعدام الماء<sup>(٤٢)</sup>. وفي الأحفاف كانت منازل عاد<sup>(٤٣)</sup>.

أما الدارات فهي سهول رملية مستديرة بين التلال أو الجبال، تستقر تحت سطحها المياه، وقد تكون الدارة مكاناً ضيقاً فيه ماء غامر دائم، كدارة تجليل. ودارات شبه الجزيرة كثيرة لا يمكن إحصاؤها لأنها أماكن محلية، وقد أوصلها البعض إلى مائة وعشر دارات، كدارة الآرام، ودارة أبرق، ودارة أحد، ودارة قنون<sup>(٤٤)</sup>.

ويبدو أن الجرار قد انتشرت في شبه الجزيرة في الفترة القريبة جداً من ظهور الدعوة الإسلامية. والحزة هي أرض ذات حجارة ثخيرة، تتشكل من الحجارة والمعادن المصهورة التي تسيل من البراكين<sup>(٤٥)</sup>. وتأخذ الجرار شكل مخاريط بركانية على سطح الأرض. أو تكون عادة مستديرة الشكل؛ فإذا كان فيها شيء مستطيل غير واسع فذلك الكراع واللايه<sup>(٤٦)</sup>. والجرار وعرة المسالك، تتوزع على أطراف الحجاز ومدین وشجد، من جنوبي تبوك حتى جنوب شرقي مكة. وقد اشتهرت بعض هذه الحزات بالخصب وكثرة المياه، ولا سيما حزات المدينة المنورة وخيبر. واستخرج العرب من هذه الحزات أحجار الرحي والمسان والمعادن<sup>(٤٧)</sup>.

(٤٢) Stamps: A regional Geography, P144.

(٤٣) أبو الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق لجنة من العلماء، طبعة ثانية، دار القلم، بيروت ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ص ٩٧.

(٤٤) عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، ص ٢٠ - ٣١.

(٤٥) Henri Lammens: Le Berceau de l'Islam, Rome 1914, P73.

(٤٦) باقرت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٥.

(٤٧) باقرت الحموي: المصدر السابق، ص ٢٤٦. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الأول، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨، ص ١٩٨.



وتقع الجرار الواسعة المشهورة بالقرب من المدينة، وهي خمس: الخذرية وهي حرة لبني سليم، وحرة واقم، وحرة ليلى، وحرة شوزان، وحرة النار قرب خيبر<sup>(٤٨)</sup>. وهناك حرات أخرى أقل اتساعاً، وقد أحصى باقوت الحموي تسعاً وعشرين حرة في شبه جزيرة العرب، من بينها حرات: أوطاس، وتبوك، رثدة، وحقل، والحمار، وراجل، ورماح بالذهناء، وضرع في جبال طيء، والويرة التي تقع على ثلاثة أميال غربي المدينة المنورة في أول الطريق إلى مكة، وتصل بين المدينة ووادي العقيق، وكان وادياً كثيراً المياه والآبار والعيون، وكثير الثقل والأغراس والأشجار<sup>(٤٩)</sup>.

#### ٤ - نظرة العرب والجغرافيين القدماء لطبيعة شبه الجزيرة العربية:

لم تكن نظرة الجغرافيين القدماء، وبخاصة اليونان والرومان منهم، متفقة مع نظرة جغرافي العرب لبلادهم. ذلك أن الجغرافيين القدماء من غير العرب لم تظأ أفداهم أرض شبه الجزيرة العربية، فلذا جاء تقسيمهم لها يختلف عن التقسيم الذي وضعه العرب أنفسهم، ولكنه يتسجم مع الأحوال السياسية التي كانت عليها الشعوب العربية في القرن الأول الميلادي<sup>(٥٠)</sup>. ووفقاً لنظرة هؤلاء يمكننا حصر هذا التقسيم بثلاث مناطق:

أ - بلاد العرب الصخرية (Arabia Petraea)، وتشمل شبه جزيرة سيناء، والمنطقة التي تليها إلى الشمال والشمال الشرقي، حيث قامت مملكة الأنباط وكانت عاصمتها مدينة البتراء (Petraa).

ب - بلاد العرب الصحراوية (Arabia Deserta)، وكانت تشمل بادية الشام، والمناطق الصحراوية التي كانت تسكنها القبائل العربية في ذلك الوقت.

(٤٨) باقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٤٨. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، ص ٢٩ - ٣٠.  
(٤٩) باقوت الحموي: المصدر السابق. أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٥، ص ٢٨٩. عبد الوهاب عزام: مهد العرب، ص ١٢.

(٥٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١١٧.

ج - بلاد العرب السعيدة (Arabia Felix)، وهي بلاد اليمن أو الأرض الخضراء التي تقع في القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية<sup>(٥١)</sup>.

أما العرب فقد قسموا شبه جزيرة العرب إلى خمسة أقسام كبرى هي: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن<sup>(٥٢)</sup>. ويضيف ابن حوقل على هذه الأقسام بوادي العراق والشام والجزيرة فيما بين دجلة والفرات<sup>(٥٣)</sup>.

ويطلق اسم تهامة على الأرض الممتدة من غرب جبال السراة إلى ساحل البحر الأحمر، ومن العقبة شمالاً إلى عدن جنوباً. وهي تتألف من نهاتم، منها ما يدخل في اليمن، ومنها ما يدخل في الحجاز. وتهامة اليمن سهل خصيب، تنحدر إليه الأودية من الجبال، وتكثر فيه الأشجار والزروع، ومن مدنه الساحلية الحديدية ومخا وقنفذة<sup>(٥٤)</sup>. وقصبة نهاتم زبيد، ومبناؤها على البحر<sup>(٥٥)</sup>. ومن مدن تهامة الحجاز جدة التي بناها عثمان بن عفان، وهي ميناء مكة، وينبع ميناء المدينة المنورة<sup>(٥٦)</sup>.

وقد سُميت تهامة بهذا الاسم من التهم وهو شدة الحر وركود الريح، وقيل هي الأرض المنصوبة (المنحدرة) إلى البحر، ولانخفاض أرض تهامة التي سُميت بالغور<sup>(٥٧)</sup>.

(٥١) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ، ص ٣٩. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي الجزء الأول، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١، ص ٩. نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم، ص ٢٨.

(٥٢) الحسن الهندي: صفة جزيرة العرب، ص ١٧. باقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٧. الألويسي: بلوغ الأرب، ص ١٠٠، ج ١، ص ١٨٧.

(٥٣) ابن حوقل: كتاب صورة الأرض، ص ١٩.

(٥٤) عبد الوهاب عزام: مهد العرب، ص ٩٣.

(٥٥) الألويسي: بلوغ الأرب، ص ١٠٠، ج ١، ص ٢٠٦.

(٥٦) الألويسي: المصدر نفسه، ص ١٩٥. ابن حوقل: المصدر نفسه، ص ٣٩. نبيه عاقل: تاريخ العرب القديم، ص ٢١.

(٥٧) باقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٣، وج ٤، ص ٢١٧.



والحجاز بمنطقة جبلية تقع غربي تهامة، وتحاذيها من الشمال إلى الجنوب، وتفصل أو تحجز بينها وبين نجد، ولهذا سُميت بالحجاز. وتحجز بين اليمن والشام، لأنها تحوي سلسلة جبال السراة التي تمتد من اليمن إلى الشام<sup>(٤٨)</sup>. ومن مدن الحجاز: مكة والمدينة والطائف ومخاليقها، ومن هذه المخاليق العلا وهي بلد بناحية وادي القرى؛ كما يضم خيبر وفدك وتهام والجار وهي ميناء المدينة المنورة<sup>(٤٩)</sup>.

وتشمل نجد المنطقة التي تقع شرقي الحجاز حتى الخليج العربي. وحدودها واسعة تصل إلى أطراف العراق شرقاً، والدهناء جنوباً. وهي عبارة عن هضبة مرتفعة، وسُميت بادية على الحصر، وفيها نشأت اللغة التي نتكلم بها، والأدب الذي نشأ به<sup>(٥٠)</sup>. وتمتد نجد من أوسع أقاليم شبه الجزيرة العربية وأغناها، وتشتهر بمراعيها الخصبة وحيولها العربية الأصيلة، وبرباها ورياضها ثمرتها الشعراء<sup>(٥١)</sup>.

وتضم العروص اليمامة والبحرين وما والاها، وتعرض ما بين اليمن ونجد والعراق. وتقع اليمامة في الجنوب الشرقي من نجد، وهي منطقة واسعة كانت تعرف قديماً باسم جواء، وقد سُميت باليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم بن طسم، وكانت قُصبتها مدينة حجر<sup>(٥٢)</sup>. أما البحرين فهي منطقة كبيرة، تمتد من البصرة شمالاً إلى عُمان جنوباً، ولها سبب (ساحل) ضيق على خليج البصرة.

(٤٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢١٩. الهنذلي: صفة جزيرة العرب، ص ٤٨. أبو العباس أحمد بن علي الغفقي: صبيح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الرابع، القاهرة ١٩١٣، ص ٢١٦.

(٤٩) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص ٢١٩. عمر قزوغ: تاريخ الجاهلية، ص ٣٦. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١٨.

(٥٠) عمر قزوغ: تاريخ الجاهلية، ص ٣٦.

(٥١) الألويسي: بلوغ الأرب ج ١، ص ٢٩٩. نيه عاقل: تاريخ العرب القديم، ص ٣١.

(٥٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١٢.

وكانت تتألف قديماً من كاظمة الكويت والأحساء وشبه جزيرة قطر، وكانت قاعدتها حجر<sup>(٥٣)</sup>.

أما اليمن فهي أرض واسعة تمتد حدودها من تهامة إلى العروص، ويحدها من الجنوب المحيط الهندي ومن الشمال الحجاز، وتضم أقاليم حضرموت وشجر وعُمان ونجران، ومن أشهر مدنها صنعاء<sup>(٥٤)</sup>. وكان القدماء يسمونها بلاد العرب السعيدة أو اليمن الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وثمارها. ويقول البعض أنها سُميت اليمن لأنها من يمنات الوادة في نص يرجع إلى أيام الملك شمر برعش الجُمَهرِي<sup>(٥٥)</sup> الذي حكم في الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي<sup>(٥٦)</sup>. وقال الكلبي بن السائب: «سُميت اليمن لأن يُقطن ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح أقبل بعد خروج ثلاثة عشر ذكراً من ولد أبيه، فنزل موضع اليمن فقالت العرب: «ثيمن بنو يُقطن» فسُميت اليمن». والأرجح أنها سُميت باليمن لأنها تقع على اليمن الكعبة<sup>(٥٧)</sup>.

(٥٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص ٣٩٣. عمر قزوغ: تاريخ الجاهلية، ص ٣٦. الكاظمة موقع على سيف البحر في الطريق من البحرين إلى البصرة، بينها وبين البصرة مرحلتان (ما يقارب ١٢٠ كيلومتراً)، وموضع الكاظمة اليوم شمالي الكويت ضمن الأراضي الكويتية. أما البحرين فقد عُرِفَتْ بهذا الاسم لوجود لسان مائي يدخل في البابس، وقيل إن اسم البحرين مشتق من اسم لبحيرة تقع بالقرب من مدينة الأحساء تبلغ مساحتها ثلاثة أميال مربعة، وتبعد عن مياه الخليج بحوالي عشرة فراسخ (٣٠ ميلاً) وكانت هذه البحيرة تبدو للتأخر إليها وإلى البحر المجاور لها كالبحرين، ومن هنا جاءت التسمية. وسمرور الزمن أصبح اسم البحرين علماً للبلاد التي تمتد من أسياط كاظمة في الشمال حتى عُمان في الجنوب. أحمد العزيزي: الرزاة والضرائب في الكويت قديماً وحديثاً، دار ذات التسلسل، الكويت ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م، ص ١١ - ١٢.

(٥٤) نيه عاقل: تاريخ العرب القديم، ص ٢٩ - ٣٠.

(٥٥) زكريا بن محمد الغزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة غرديتان وستيفيلد - لندن ١٨٤٨ م (نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت) ص ٤٣.

(٥٦) جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٣٥.

(٥٧) جرمي جيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٧٧.

(٥٨) ابن الفقيه (الهنذلي): كتاب البلدان، ص ٩١. الحسن الهنذلي: صفة جزيرة العرب، ص ٥١.

الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١، ص ٢٠٣.

ومن المفيد إبراء تحديد الجغرافي العربي أبي الفداء لهذه الأقسام كما يلي: يهامة وهي الناحية الجنوبية من الحجاز، ونجد وهي البلاد الواقعة بين الحجاز والعراق، والحجاز يشمل الأرض الجبلية الممتدة من اليمن إلى سورية وقبة المدينة وعُمان، ثم المروء وهي أرض اليمامة والبحرين، ويضم اليمن يهامة ونجد وحضرموت ومهرة وعمان<sup>(١٨)</sup>.

## ٥ - المناخ:

إن مناخ شبه الجزيرة العربية متفاوت جداً، ولكن الغالب عليه أنه فارسي صحراوي، يميل إلى الجفاف كما تميل الحرارة فيه إلى الاشتداد. وأشد المناطق حرارة شواطئ عُمان ويهامة والأحساء، ويرافق هذه الحرارة ارتفاع نسبة الرطوبة في الجو، ففي جدة مثلاً ترتفع الرطوبة ارتفاعاً كبيراً بحيث لو ترك المرء في أحد أيام أيلول قطعة من قماش في العراء لابتلت بعد انقضاء ساعتين فقط<sup>(١٩)</sup>.

والحرارة في شبه الجزيرة عرضة للتقلبات ليس بين الصيف والشتاء وحسب، بل وفي اليوم الواحد بين النهار والليل<sup>(٢٠)</sup>؛ ففي الشتاء تنخفض درجة الحرارة في معظم أرجاء شبه الجزيرة، وفي أشهر القاسية يتساقط الثلج ويتجمد الماء في بعض المرتفعات العالية، ويذكر جغرافيو العرب مكانين يتجمد فيهما الماء هما جبل غزوان الذي تقوم عليه مدينة الطائف، وصنعاء في اليمن<sup>(٢١)</sup>.

وتختلف الرياح بدرجة كبيرة في مختلف البقاع بسبب تحكم أوضاع المسطحات المائية المحيطة، والرياح الموسمية التي تهب من المحيط الهندي صوب شبه الجزيرة ذات تأثير فاعل ليس في الأقاليم الطبيعية فحسب بل وفي

(١٨) الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمود أبو الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة المطبوعة، باريس ١٨٤٠، ص ٧٨ - ٨٠.

(١٩) الرويني: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٧٩ - ٨٣.

بليانيف: العرب والإسلام والخلافة العربية في القرون الوسطى، ص ٧٦.

(٢٠) بليانيف: المرجع نفسه، ص ٧٧.

(٢١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٩٥.

حياة السكان أنفسهم. وعلى العموم فإن الرياح التي تهب على شبه الجزيرة العربية كثيرة ومتنوعة، فمنها الموسمية والعامة، والباردة والحارة، والممطرة والجافة... وذكر البعض أن الرياح أربع<sup>(٢٢)</sup>:

إحداها تهب من جهة الشرق وهي ريح القبول أو ريح الضياء، وهي ريح طيبة مقبولة والنفس تصبو إليها لتعومتها وروقتها، ولأنها تجلب السحاب والمطر وتروي الأرض وتخصب الزرع، وكانت تهب في الغالب على منطقة نجد، وهي عند العرب البعثانية<sup>(٢٣)</sup>.

والثانية تهب من جهة الغرب وهي الذبور، وقد سببت كذلك لأنها في زعمهم تأتي من المغرب أي من دُبر الكعبة، مصحوبة بأمطار ولذلك عُرفت بالذاريات والمعصرات. وتهب هذه الرياح صيفاً وشتاءً على مناطق شبه الجزيرة التي تقع إلى الجنوب الشرقي من شبه جزيرة سيناء، وعلى بلاد الحجاز وأواسط نجد وشماله، وعلى بلاد عُمان<sup>(٢٤)</sup>.

والثالثة تهب من جهة الجنوب وهي رياح التيفن التي تتحرك في الصيف على أقاليم شبه الجزيرة العربية الجنوبية، محملة بالسحب الآتية من المحيط، وتسقط مطراً غزيراً فوق الهضبة اليمنية وعلى ظفار ومهرة. وقد يثن العرب بها وجعلوها علامة للخصب والخير، ودعوا الجنوب لاقحاً لأنها تُلغح السحاب<sup>(٢٥)</sup>.

(٢٢) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: كتاب الأنواء، خيدر آباد - الدكن ١٩٥٩، ص ١٥٨. أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي المغربي الأفرقي: الأزمنة والأنواء، تحقيق الدكتور عزة حسن، دمشق ١٩٦٤، ص ١٢٦. أبو الحسن علي بن الحسين السعدي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الجزء الثاني، طبعة رابعة، م: السعادة بمصر، مصر - سفر ١٣٨٤، حزيران ١٩٦٤م، ص ٢٢٢.

(٢٣) عبد الوهاب عزام: مهد العرب، ص ٢٦، الألويسي: بلوغ الأرب، ج ١٠، ص ٣٦٠.

(٢٤) الألويسي: بلوغ أرب، ج ١٠، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢٥) ابن قتيبة الدينوري: كتاب الأنواء، ص ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٧.



والرابعة تهب من الشمال وهي ربح الثبتر التي تأتي باردة على الحجاز وشمالى شبه الجزيرة، بعد أن تكون قد اجتازت مضاب الأناضول المغطاة بالثلوج. وكان العرب يكرهون ربح الشمال، لأنها تهب بالبرد، وتفسح الغيم، وتذهب بالحياة والخصب<sup>(٧٦)</sup>. وقد عرفت هذه الرياح بالخذواء لأنها تحدر السحاب أي تسوقه، وعرفت بالعقيم أيضاً لأنها لا تنتج مطراً<sup>(٧٧)</sup>.

ومن أشد الرياح أذى لسكان شبه الجزيرة العربية هي رياح السموم التي تهب من جهة الصحراء العربية الكبرى (الربع الخالي). وما إن تهب هذه الرياح حتى تجف مصادر المياه، وتيبس القرب التي يجمع فيها البدوي ماء شربه، وتتعطل حركة المواصلات والتنقلات بسبب ما تحمله من رمال وأتربة، وبسبب سرعتها التي تزيد على ستين كيلومتراً بالساعة<sup>(٧٨)</sup>.

## الفصل الثاني

### الثروات الطبيعية

#### ١ - الثروة المائية:

##### مياه الأمطار:

تقل المياه في شبه الجزيرة العربية بوجه عام، ويتفاوت وجودها من منطقة لأخرى حيث يتوفر في ناحية ويشح في ناحية ثانية. كما تقل الأمطار فيها أيضاً، ويقتصر موسمها الذي يكون عادة في فصل الشتاء على الأجزاء الشمالية، حيث تحظى الثلج والسهول الساحلية بنصيب وافر من هذه الأمطار. ويكون صيفاً على الأجزاء الجنوبية حيث تحصل المناطق المرتفعة على نسبة كبيرة منها، وخاصة مرتفعات عسير. ومن هنا يمكن القول إن الأمطار تسقط خلال فصلين على شبه الجزيرة وإن اختلف معدّل سقوطها وكمياتها وأماكن هطولها<sup>(٧٩)</sup>.

وتتميز الأمطار في شبه الجزيرة بهطولها المفاجيء والغزير الذي يؤدي أحياناً إلى سيول جارفة ومدمرة. كما تتميز باختلاف كمية الأمطار المساقطة من عام إلى عام، وينقطعها وعدم انتظامها وتوقفها عن الهطول لفترات طويلة. ولم تكن نسبة تساقط الأمطار في القديم كما هي عليه الآن، فهناك ما يشير إلى أن هذه النسبة في شبه الجزيرة كانت في الألف الأول قبل الميلاد أكثر مما هي عليه في الوقت الحاضر. ويلاحظ أن شبه الجزيرة قد تعرضت لفترات من القحط والجفاف والتغيرات المناخية، كان آخرها ما حدث في

(٧٩) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢١٧.

(٧٦) ابن قتيبة الدينوري: كتاب الأثر، ص ١٦١، الألويسي: بلوغ الأرب، ج ٣، ص ٣٦.

(٧٧) ابن قتيبة الدينوري: المصدر نفسه، ص ١٥٩ و ١٦٣ و ١٦٦.

(٧٨) أبو حسن علي بن إسماعيل بن سفيان: المختصر، الجزء التاسع، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت لا تاريخ، ص ٨٥.

الرواشي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٨٢.



## القرن الثالث الميلادي واستمر حتى أدى إلى التصحر الذي سبق ظهور الدعوة الإسلامية<sup>(٢)</sup>.

John Dayton: The Problem of Climatic change in the Arabian Peninsula, (١) vol. 5, London 1975, PP35, 45, 84.

نور عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الضوافة، الرياض ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٦٠. لقد اتفقت آراء المختصين على أن عصر البليستوسين (Pleistocene) قد عثر حوالي مليون سنة. كما اتفقت على أن الثلث الأول من هذا العصر، الذي يسمى فترة فيلافراش (Villafranch) كانت تتميز بأمطار غزيرة على سطح الأرض، بحل محله في فترات متقطعة انتشار الجليد. وحين بدأت فترة فيلافراش في الانتهاء أخذت الكرة الأرضية في البرودة تدريجياً. وقد ساعد ذلك على زحف الجليد القطبي على الفارات المجاورة في صورة غطاءات سمكية من الجليد. وترتب على ذلك أن الأنعام الشمالية من أوروبا وآسيا وأميركا الشمالية قد لفظها الجليد بصورة مشابهة للغطاء الجليدي السيك في غرينلاند الحالية.

وقد أثر الجليد الواضع على الحياة النباتية والحيوانية، وكذلك على الأنهار والبحيرات وسواحل البحار. فاضطرت أنواع من الثبات والحيوان إلى الهجرة بعيداً عن هذه الظروف المناخية القاسية، وإن كان بعضها قد انقرض لعدم قدرته على التكيف. أما الأنهار والبحيرات فقد قلت كمية المياه فيها نظراً لاجتماع كميات هائلة من الرطوبة الجوية وانحسارها في الغطاءات الجليدية الواسعة. كذلك هبط مستوى ماء البحار والمحيطات لنفس الأسباب. فنظام الدورة (تبخير - أمطار - تصريف نهري إلى البحار - ثم تبخير) قد اختل. وأدى هذا الاختلال إلى ظهور كثير من الأراضي التي يغطيها البحر حالياً في صورة أرض يابسة، خاصة تلك التي تسمىها المعابر الأرضية (مثل المعابر بين شمال أفريقيا وجنوب أوروبا) وتحول البحر المتوسط إلى هذه بحيرات صغيرة.

وقد تدهورت أمطار الإقليم المعتدل من الأرض إلى مناطق أكثر امتداداً نحو الجنوب، وتحولت أجزاء كثيرة من العالم الحار المعروف حالياً، إلى مناطق مطيرة شبيهة بأمطار العروض المعتدلة في أيامنا. وببطء شديد بدأت هذه الصورة تتغير، بشرايع الجليد إلى المناطق القطبية، وعودة الدفء والأمطار إلى العروض المعتدلة. وذويان كميات هائلة من الجليد يؤدي إلى دفع هذا الثقل عن سطح الأرض، فتعود إلى الارتفاع التدريجي، وتتملى البحار بالمياه، فيرتفع مستواها وتغمر المعابر الأرضية بمياه البحر مرة أخرى، وتعود الصحارى إلى جفافها، وتهاجر الحيوانات والنباتات إلى الشمال.

وقد تكررت هذه الصورة أربع مرات خلال عصر البليستوسين، بالإضافة إلى ذبذبات عديدة وصغيرة نسبياً.

محمد ريان: الإنسان، دواة في الشرع والحضارة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢، ص ٨٩ - ٩٠.

ومن خلال التصريف المائي في الربع الخالي من منحدرات جبال حضرموت وظفار في أقصى جنوب الجزيرة العربية، ومن التصريفات المائية للجبال الغربية، ومنحدرات طويق، يصبح من السهولة ملاحظة أن صحراء الربع الخالي كانت فيما مضى عبارة عن حوض رسوبي عظيم الاتساع، يزخر بالمسطحات المائية وليس صحراء جرداء كما هي الآن. وتأخذ هذه المسطحات شكل البحيرات التي يعود تاريخها إلى عصر البليستوسين (Pleistocene)، كما يعود تاريخ بحيرات منطقة وادي الدواسر إلى عصر الهولوسين (Holocene). وقد عثر في قيعان أودية هذه البحيرات التي ترجع إلى العصر الهولوسيني في منطقة وادي الدواسر على أدوات صوانية من النحط النيوليني. ويشير ارتباط هذه المعثورات الحجرية بهذه الأودية والبحيرات القديمة، إلى أن الاستيطان البشري قرب البحيرات والربع الخالي يمكن أن يعود إلى الفترة المطيرة للعصر الحجري الحديث (Néolithique)<sup>(٣)</sup>.

والى جانب ذلك تشير بعض المصادر القديمة إلى الطقس المطير الذي كان يسيطر على طبيعة شبه الجزيرة في العصور القديمة؛ فعند كلامه عن مناطق إنتاج اللبان يتحدث ثيوفراستوس عن مرتفعات تغطيها غابات كثيفة من الأشجار ويغمرها الجليد وتتحدر منها أنهار إلى السهول المجاورة<sup>(٤)</sup>. ويذكر صاحب كتاب الطواف أن الضباب والسحب تغطي ظفار منطقة اللبان<sup>(٥)</sup>، ويصف استرابون، نقلاً عن ايراتوسينس، منطقة جنوبي شبه الجزيرة بالخصوبة وأن الأمطار تنساقط عليها غزيرة في فصل الصيف وأن الأنهار والبحيرات تتوزع فيها بكثرة. وتحدث أوثيميدورس عن خصوبة هذه المنطقة ووفرة متوجاتها الزراعية وكثافة الأشجار في مرتفعاتها<sup>(٦)</sup>. وعدد ديودورس الصقلي الكثير من الأنهار

(٣) محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ ونحوه... ص ٥٢ و ٦٣.

(٤) Theophrastus: Enquiry into plants, translation Sir Arthur Hort, vol. 2, Loeb classical Library, London 1980, P235.

(٥) The Periplus of the Erythraean Sea, Translation by wilfred Schoff. New Delhi, Oriental Book reprint 1954, 5th Edition, P33.

(٦) Strabo: The Geography of Strabo, Translation by H.L. Jones, Loeb classical Library, London 1983, P307-309.



والبحيرات التي تتكوّن من الأمطار<sup>(٧)</sup>. وذكر بليتيوس عدداً من الأنهار الجارية<sup>(٨)</sup>. ووردت في بعض المصادر العربية - الإسلامية أسماء مواضع كانت كثيرة المياه، فهجرت وتحولت إلى صحارى فاحلة في الوقت الحاضر<sup>(٩)</sup>.

وتؤيد الدراسات الأثرية الحديثة بعض ما جاء في هذه المصادر، وتشير إلى وجود أنهار في معظم أقاليم شبه الجزيرة كانت تجري مياهها طوال العام، ففي الشرق كان يوجد نهر يمتد من الهفوف حتى ساحل الخليج العربي. وفي الجنوب كان يجري عدد من الأنهار الصغيرة التي تغذيها أمطار المرتفعات كنهر الخارد في جوف اليمن الذي قامت عليه دولة معين<sup>(١٠)</sup>، ونهر موو الذي يُعد من أغزر أنهار اليمن والذي يمزّ بالقرب من صيبا حيث تتجمع فيه عدّة روافد ويُعرف لذلك بميزاب اليمن<sup>(١١)</sup> ونهر وادي الحجر الذي يجري جنوبي حضرموت<sup>(١٢)</sup>.

#### مياه الأودية:

وعلى العموم فإن الأنهار الدائمة الجريان ليس لها وجود في شبه الجزيرة العربية، إنما هناك أودية تفيض بالمياه كلما سقطت أمطار غزيرة. ولا يعود عدم وجود المجاري المائية السطحية الدائمة الجريان إلى قلة كميات الأمطار لحسب، وإنما أيضاً إلى ظروف السطح والتركيب الجيولوجي في الأجزاء

(٧) Diodorus Siculus: Library of History, Translation by Russel M. Greer and C.H. Oldfather, Loeb Classical Library London 1979, P63.

(٨) Pliny Gaius: Natural History, translation by H. Rackham, Loeb Classical Library, London 1967, P157.

(٩) الحسن الهنتاني: صفة جزيرة العرب، من ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧،



الصفراء (بليل) الذي يتكون من مجموعة أودية ويُعرف أكبر فروعها باسم وادي الصفراء أيضاً، ونشأت عليه قرى ومزارع كثيرة، وينقسم عند طرفه إلى فرع شمالي يتصل بالبحر الأحمر عند قرية الرايس وإلى فرع جنوبي، ويقبض في رمال الخيت، وفيه عين كبيرة عذبة تخرج من جوف رمل<sup>(١٧)</sup>. ومنها وادي الظهران (وادي فاطمة) وفيه عدد من القرى والعيون، وكانت مياهه تنصب في البحر الأحمر جنوب جدة<sup>(١٨)</sup>. وروادي زينة الواسع الذي تنصب مياهه في سرة تهامة<sup>(١٩)</sup>.

وفي الركن الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة عدد كبير من الأودية التي تنحدر غرباً وتنحدر من المرتفعات والسهول الداخلية إلى السهول الساحلية، وتعد من أكثر الأودية ضخامة وغزارة في المياه، وقد ازدهرت الزراعة على أطرافها سواء في السهول الداخلية أو في سهول تهامة، ومن أهمها: وادي جازان الذي يتحدر من جبال السراة إلى تهامة، وعليه أقيمت السدود والمصارف منذ القدم، وتنصب مياهه في البحر الأحمر شمالي مدينة جازان<sup>(٢٠)</sup>. وروادي الحرض الذي تقع على حافته مدينة حرض، وهي مدينة عريقة ومن مدن العهد الحميري<sup>(٢١)</sup>. وروادي مور الذي يعد من أنهار اليمن الجارية معظم أيام السنة. وروادي سرور الذي تكثر فيه الشلالات التي استخدمت قديماً في إنشاء مطاحن الحبوب. وروادي سهام الذي كانت تنصب مياهه في البحر الأحمر جنوبي ميناة الحديدية الحالي. وروادي زبيد الذي تنصب مياهه في البحر الأحمر غربي مدينة زبيد.

(١٧) هرام بن الأصبح السلي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما يبيت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق عبد السلام محمد حارون، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة ١٣٧٣هـ، ص ٩. الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٢٠٦.

(١٨) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية المنطقة الشرقية الجزء الثالث، دار البعثة، الرياض ١٩٧٩، ص ١١٩.

(١٩) نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي، ص ٦٢.

(٢٠) محمد بن أحمد عيسى العقيلي: تاريخ المخلات السلطاني، مطابع الرياض، الرياض ١٣٧٨هـ، ص ٣٣-٣٦.

(٢١) إبراهيم أحمد المنقفي: معجم المدن والقبائل اليمنية، منشورات دار الحكمة صنعاء ١٩٨٥، ص ١١٦.

ووالدي الخنجر الذي يقع في جنوب غربي حضرموت، وكان دائم الجريان، ويتحدر من المرتفعات الجنوبية، وتنصب مياهه في بحر العرب، وأهم مصادره: يتابع أم سدرة وتشكل دلتاه إقليم ميفعة<sup>(٢٢)</sup>. وروادي ميفعة وروادي سنام اللذان نشأ على مصبيهما في بحر العرب عدد من المدن ومراكز الاستقرار الزراعي كميفعة وقتنا (بير علي) والحدود ومرقد<sup>(٢٣)</sup>. وروادي حضرموت الذي يعد من أكثر الأودية أهمية وتجري مياهه من الغرب إلى الشرق ثم ينحطف جنوباً بزاوية حادة حيث يُعرف بعدها باسم وادي مسيلة ويصل طوله إلى ٣٠٠ ميل، أما عرضه في أقصى اتساعه فيبلغ ٤٠ ميلاً. وفي هذه الأجزاء تتركز النشاط الزراعي وازدهرت القرى والمدن، من أهمها: سيئون ونريم وشيبام، ومن روافده الجنوبية وادي عمد وروادي أصب وروادي عروة<sup>(٢٤)</sup>. وإلى الشرق من هضبة حضرموت الشمالية يقع وادي الخزع الذي يجتمع إليه عدد من الروافد، وتنصب مياهه في خليج القمر بالغرب من جبل فرتك<sup>(٢٥)</sup>.

وفي السواحل الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة يوجد عدد من الأودية التي نشأت على مياهها المدن والقرى. وأهم هذه الأودية، وادي حلقين وروادي البطحاء وروادي سمائل، ويتحدر هذه الأودية الثلاثة من مرتفات عمان، وتنصب مياهها في بحر العرب، ويُعتبر وادي البطحاء وروادي سمائل أهم طريقين يصلان بين الساحل والداخل عبر الجبل الأخضر<sup>(٢٦)</sup>. ومنها وادي جزى الذي يصل

(٢٢) الحسن الهنقالي: حفة جزيرة العرب، ص ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٩. محمد علي الأكوع: اليمن الخضراء، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٧٦، ص ٤٨-٥٠.

(٢٣) محمود طه أبو العلاء: جغرافية شبه الجزيرة العربية، الجزء الثالث والرابع، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٢، ص ٣٠.

(٢٤) Beeston, A.F.L: «Hadramount» In Encyclopidia of Islam, vol.3, Leiden, (٢٤) J.Brill 1971, P51. Western Arabia and the Red Sea, P.31-32.

J.C.Wilkinson «water and tribal Settlement in South Arabia A study of the (٢٥) Aflaj of Oman. Clarendon Press, Oxford, London 1977, P46.

Thomas Bertram: the South Eastern Border Land of Rube Al khali, Geo- (٢٦) graphical Journal, London, RGS 1979, 236 Tosi M.

ج.ج. لوريسر: دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، الجزء السادس، مطبعة علي بن علي، الدوحة لا تاريخ، ص ٢١١٩.



مدينة صحار على ساحل خليج عُمان بواحات البريمي، ووادي العبادلة وهو وادٍ كبير تصب مياهه في خليج وبا وقد نشأت عند هذا المصب مدينة وبا<sup>(٢٧)</sup>. ومنها وادي المليح الذي يقع شمال حرض ويمتد شمالاً إلى حشاش الخليفة بمحاذاة جبل الحرملين غرباً. ووادي السبهاء الذي يقع أعلاه في الخرج وفروعه من جبال العارض، ويتصل شرقاً إلى ساحل الخليج مخترقاً الأرض التي غطتها رمال الريح الخالي شرق بيرين<sup>(٢٨)</sup> ويوجد في شمال شبه الجزيرة عدد من الأودية تنحدر نحو الشمال الشرقي، وتصب مياهها في نهر الفرات، من أهمها وادي بُل ووادي عرعر ووادي الخثر<sup>(٢٩)</sup>.

أما الأودية التي تنحدر داخلياً ويكون نصريفها هناك فهي كثيرة نذكر منها: وادي القرى الذي يقع بين العلا والمدينة ويقال له وادي ديدان نسبة لمملكة ديدان التي قامت عليه مع مملكة لحبان، وهو وادٍ متسع تكثر فيه منابع المياه العذبة، وتروقه روافد كثيرة كوادي الجزل من الشمال ووادي الحمض من الجنوب، ويمر به الطريق العالمي للقوافل التجارية الذي يصل بين جنوب شبه الجزيرة وشمالها، ولهذا كان هذا الوادي مركزاً تجارياً مهماً. وقد تركت عليه بعض الشعوب: كالدندانين واللحيانين والمعينين والتموديين والأنباط، بصمات مدنية ظاهرة<sup>(٣٠)</sup>. ومنها وادي السرحان الذي تكثر فيه السيخات التي يستخرج منها الملح، وتجتمع فيه سيول كثيرة تنحدر إليه من الغرب ومن الشرق، ويسيل من حوران صوب الجنوب والشرق حتى الجوف، ويصل طوله إلى ٢٠٠ ميل ويتراوح عرضه ما بين ٢٨ و٤٣ ميلاً، ويقوم على جانبيه واحات خصبة، ويقع عليه أحد طرق المواصلات الهامة التي تصل بين وسط شبه الجزيرة وبين بلاد

(٢٧) محمد متري، ومحمود عبد الوهاب: جغرافية الخليج، الطبعة الثانية، مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٥، ص ١٠٨ و ١١٠ و ١١٢.

(٢٨) حمد الجاسر: المعجم الجغرافي... الجزء الرابع، ص ١٧٨.

(٢٩) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٠.

(٣٠) Charles Doughty: travel in Arabia Deserta, vol.1, Dover Publications, New York 1979, P187.

نور الله عبد الله العلمي: التعميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ٦٦ - ٦٧.

الشم وبلاد الرافدين، وكان يُعرف قديماً باسم وادي الأزرق وذلك بسبب وجود واحة الأزرق في طوقه الشمالي<sup>(٣١)</sup>. ومنها وادي الرمة الذي يمتد من شرق المدينة باتجاه الشمال الشرقي حتى نفوذ الثويرات، حيث تظمس هذه النفوذ معالمة، ويعدّها يأخذ نفس الاتجاه إلى الشمال الشرقي حتى رمال الدهناء تحت اسم وادي الأجردي، وبعد رمال الدهناء يسير هذا الوادي في نفس الاتجاه باسم وادي الباطن حتى مدينة البصرة على شط العرب. وتروى هذا الوادي مجموعة ضخمة من الروافد التي تنحدر من شمال غربي هضبة نجد. ونشأت عليه العديد من المدن والقرى التي كانت محطات تجارية ومستوطنات زراعية تصل وسط شبه الجزيرة بشمالها<sup>(٣٢)</sup>. ومنها أيضاً وادي العرض (وادي حنيقة) الذي يمتد من جبال طويق غرباً إلى هضبة العرمة شرقاً، بطول ٢٥٠ ميلاً، وتقوم عليه مدينة الحخر الذي تُعرف اليوم باسم مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية. وكانت منطقة العرض قديماً من أكثر مناطق شبه الجزيرة خصوبة وأكثرها زرعاً ونخلاً<sup>(٣٣)</sup>. ويمتد وادي تثليث الدواسر من السفوح الشرقية لمرتفعات عسير الغربية، ويتجه إلى الشمال الشرقي حتى يتصل بوادي الدواسر الذي يتجه شرقاً عبر وديان جبال طويق، وتنتهي مياهه عند أطراف الريح الخالي، وكان قديماً يُدعى بوادي عقيق عقيق<sup>(٣٤)</sup>. ويبدأ وادي بيشة من شرق قبوان حيث يُعرف باسم طفقحان، ويتجه نحو الشرق ثم نحو الشمال وهناك يُدعى باسم وادي المربع، وفي نهايته يتجه نحو الشمال الشرقي حتى يلتقي بوادي رُبَيْة حيث يغوصان معاً في رمال الصحراء، ولا يتعدى طوله

(٣١) الجاسر: في شمال غرب الجزيرة العربية، ص ٦٠٨.

لوريمر: دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج ٦، ص ٢٤٨٣.

(٣٢) الحسن بن عبد الله الأصمعي: بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، دار البعثة، الرياض ١٣٨٨هـ، ص ٦٩.

لوريمر: دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج ٦، ص ٢٠٠٦ و ٢٠٠٨.

Western Arabia and the Red Sea, P28.

(٣٣) حمد الجاسر: مدينة الرياض، دار البعثة، الرياض ١٣٨٦هـ، ص ١٥.

(٣٤) نور الله عبد الله العلمي: التعميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٦٧ - ٦٨.

Western Arabia and Red Sea, PP.29-30.



الخمس والثلاثين كيلومتراً<sup>(٣٦)</sup>. وكانت مياه وادي الجوف تجري معظم أيام السنة، وتجتمع فيه سيول وغيلان عديدة ومن أهم روافده الخاردر. وينحدر وادي أذنة (وادي مارب) من جبل بلق ويتجه شرقاً ماراً بمدينة مارب التي أقيم عندها على هذا الوادي سدّ مارب الشهير، ونمت حوله الدولة السبئية وازدهرت، ومن أهم الأودية الفرعية التي تتصل به: رادع وجهران<sup>(٣٧)</sup>.

وينحدر وادي بيجان من مرتفعات لواء البيضاء، ويتجه إلى الشمال الشرقي نحو صحراء السبعين (صيهدي)، ويمر بمدينة بيجان القصب، ويتصل به عدد من الروافد قبل أن ينتهي في رمال الصحراء، ونشأت على ضفافه العديد من المدن التابعة لدولة قتيبان التي كان هذا الوادي محورها الأساسي، والتي كان من أهم مدنها تمنع (هجر كحلان) وهجر بن حميد<sup>(٣٨)</sup>. ويأتي وادي أبين من مرتفعات باريم، ويرفده عدد من الأودية الصغيرة، ثم يتجه جنوباً نحو ساحل بحر العرب حيث تقع منطقة أبين الزراعية على دلتاه<sup>(٣٩)</sup>. ويمر وادي العين من الأودية السهية، ويقع في شرق شبه الجزيرة وتنتهي مياهه في الربع الخالي، وتقوم عليه مدينة عبري<sup>(٤٠)</sup>.

وهناك عدد آخر من الأودية التي تنحدر من هضبة حضرموت وتتجه نحو صحراء الربع الخالي كوادي صغير ووادي الصدارة. وهناك أيضاً أودية نهريّة تنبع مياهها من المرتفعات الساحلية كجبل فر في ظفار، وتتجه إلى الشمال

(٣٦) القبلي: تاريخ المخلاف السليماني، ص ٣٩.

Western Arabia and Red Sea, P28.

(٣٧) الأكرم: اليمن الخطراء، ص ٥٣ - ٥٤.

Western Arabia and Red Sea, P23.

(٣٨) محمد مثالي ومحمود طه أبو العلا: جغرافية شبه الجزيرة العربية - جغرافية اليمن الشمالي، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٢٩.

Le Baron Richard Bowen: «Archaeological Survey of Beihans» Archaeological Discoveries in South Arabia, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958, P3.

(٣٩) الأكرم: اليمن الخطراء، ص ٥٢.

(٤٠) متولي وأبو العلا: جغرافية الخليج العربي، ص ١١٢.

الشرقي موازية لحافة الربع الخالي مثل وادي مرخة ووادي العارض<sup>(٤١)</sup>. أما وادي المياه فهو منخفض طويل يمتد من الشمال إلى الجنوب نحو ٦٥٠ كيلومتراً في الجزء الأوسط لمقاطعة الأحساء، وقد أطلق عليه اسم وادي المياه لكثرة عيونه وآبارها، وكان يُعرف قديماً بوادي السقارين، ويختلف عما يحيط به من مناطق صحراوية بخصوبته ووفرة مياهه، ولذا نشأت عليه قرى زراعية عامرة يسكنها مثل: ثاج والحناء والعقير<sup>(٤٢)</sup>.

وأقيمت على بعض الأودية في اليمن السدود، لتخزين مياه الأمطار الصيفية والإفادة منها أيام الجفاف في ري الحقول والبساتين والمزروعات، مثل وادي زبيد ووادي سور ووادي أذنة الذي أقيم عليه سدّ مارب المذكور سابقاً<sup>(٤٣)</sup>.

#### مياه العيون والينابيع:

وكانت أراضي شبه الجزيرة العربية غنية بعيونها وينابيعها وآبارها وبركها التي كانت تمثلها بالماء في فترات تساقط الأمطار، والتي كانت تكثر في المناطق التي يتوفر فيها مخزون مياه جوفية صحيحة وكثيفة كبطون الأودية والأراضي المنخفضة، وبخاصة الإقليم الشرقي الذي يُعد من أكثر أقاليم شبه الجزيرة انخفاضاً. وتشتهر البحرين في هذا الإقليم بعيونها منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وتتفجر فيها ما يقارب من ٢٠٠ عين، وأكثر هذه العيون نسيج وتغوص في البحر<sup>(٤٤)</sup>. وأقدم ذكر لهذه العيون ورد عند ثيوفراستوس الذي تحدث عن البحرين وعيونها الطبيعية<sup>(٤٥)</sup>. ويوجد عدد من العيون في الأحساء كما توجد في مرتفعات عمان وفي جنوب شرقي خليج السويس بصحراء سيناء حيث تتفجر

(٤١) محمود طه أبو العلا: جغرافية شبه الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧، ص ٣٢.

(٤٢) الجاسر: المعجم الجغرافي - المنطقة الشرقية، ج ١، ص ١٧٨٠ - ١٧٨١.

(٤٣) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠١.

(٤٤) الحسن الهذلي: صفة جزيرة العرب، ص ٢٧ - ٢٨، نورة عبد الله العلي التميمي: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٧٠ - ٧١.

(٤٥) Theophrastus: Enquiry into plants, P35.



عيون موسى<sup>(٤٥)</sup>. وتكثر العيون في الغاية التي تنحدر فيها سبيل أودية المدينة، كما تكثر في وادي القرى: كمين غالب وعين زيات، وتظهر عيون صغيرة في وادي الأجر<sup>(٤٦)</sup>. وتتفجر العيون في إقليم الجو والأفلاج الذي يقع في وسط شبه الجزيرة مثل عين العرب في الأفلاج التي يخرج منها سبعة عشر نهراً صغيراً<sup>(٤٧)</sup> وتوجد عيون وينابيع طبيعية كثيرة في المناطق الشمالية الغربية من شبه الجزيرة مثل عين الحمية في خيبر التي تمتاز بغزونها<sup>(٤٨)</sup>، كما توجد عين كبيرة في وادي بليل (الصفراء) تخرج من جوف الأرض من أعذب ما تكون العيون، وتزرع عليها الحبوب والبقول، وتسمى هذه العين بالبحيرة<sup>(٤٩)</sup>. وتكثر العيون والينابيع الطبيعية في مناطق الجنوب الغربي، وقد ذكر الحسن الهنتاتي عدداً من المناطق هناك اشتهرت بعيونها مثل: المليخنة التي تمتاز بنبابيحها الغزيرة، ووادي شربة الذي تكثر فيه الينابيع، وعذب بعض الجبال التي ينبع منها عيون: فوط وعرامي وغراين وهنوم من بلاد همدان والشرف وحضور وضوران وتخلي وغيلان<sup>(٥٠)</sup>.

#### مياه الآبار:

وتعد الآبار مصدراً رئيساً من مصادر الحصول على المياه من باطن الأرض في إقليم شبه الجزيرة العربية، ذلك أن الإنسان العربي القديم قد لاحظ، من خلال مشاهداته للمياه التي تتسرب إلى داخل الشربة في بطون الأودية، أنه لو حفر الأرض بيديه لينبع الماء. كما لاحظ أن حفرته تمتلئ من جديد بعد تفريغها، فأدرك وجود هذا المصدر المهم للمياه الجوفية.

- (٤٥) حمد الجاسر: أبو علي الهجري وأبعاده في تحديد المواضع، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م ص ١٨٦ و ٣٠٢ و ٣٩٧.
- (٤٦) الحسن الهنتاتي: صفة جزيرة العرب، ص ٣٠٥. إبراهيم بن إسحاق الحريري: كتاب المناياك وأماكن طرق الحج ومعالج الحج، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩هـ، ص ١٠٧.
- (٤٧) الحريري: كتاب المناياك وأماكن طرق الحج، ص ٥٤٠.
- (٤٨) السلمي: كتاب أسماء جبال يمامة وسكانها، ص ٨ - ٩.
- (٥٠) الحسن الهنتاتي: صفة جزيرة العرب، ص ١٠٢ و ١٤٤ و ٢٦٦.

وتتكون المياه الجوفية من تسرب مياه الأمطار والمياه الجارية في الأودية وشعابها، في طبقات الحصى والرمال، وفي مسام الصخور التي تتشكل منها الطبقة السطحية للثربة، وتتجمع فوق الطبقات الصلبة الصماء غير المسامية، والتي تتعمق أحياناً إلى عشرات الأمتار تحت سطح الأرض، ثم تتفجر هذه المياه عيوناً ونبابيع في بعض الأماكن، كما تتفجر من الآبار بعد حفرها.

وكانت المياه الجوفية المخزنة قد تجمعت في تلك الطبقات خلال العصر المطير الذي كانت فيه شبه الجزيرة أغزر مطراً، والتي يتراوح عمرها ما بين ١٣٠٠٠ و ١٧٠٠٠ سنة تسربت في الصخور الرسوبية السطحية، وتجمعت في أحواض داخل الأرض تتكون من طبقات مسامية تنتمي إلى عصور جيولوجية مختلفة، وتساعد على اختزان قسم كبير من الأمطار المشافطة خلال السنين، وهي تختلف من مكان لآخر اختلافاً كبيراً من حيث نوعيتها، وبعدها عن السطح، وكمية المياه المخزنة فيها. ففي المنطقة الوسطى، على سبيل المثال، يصل سمك طبقة الماء حسيماً أوضحت عمليات الحفر هناك إلى ٦٥ متراً، ويتراوح عمق مستوى سطح المياه فيها عن مستوى سطح الأرض ما بين ٢٣ و ٢٦ متراً. إلا أن اعتماد هذه الطبقات على الأمطار للحصول على الماء جعل مستواها كثير التغير موسمياً.

وكانت الآبار في الماضي تقاس بطول الرشاء (الحيل) المستخدم في رفع الماء منها، ويقدر قامة الرجل فيقال يثر على قامة أو قامين...<sup>(٥١)</sup>، ويقال يثر أنشاط: وهي يثر قريبة القمر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة لقرب قعرها<sup>(٥٢)</sup>. ويقال يثر نشوط أو يثر الجور: وهي يثر بعيدة القعر لا يخرج الغزب (الدلو العظيمة) منها حتى يجز الجمل الرشاء في الأرض من بعد مذهبه<sup>(٥٣)</sup>. وهناك آبار الفقير: وهي مجموعة من الآبار المتناسقة التي يفصل بعضها ببعض بقناة

- (٥١) عبد الله يوسف الغنيم: جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري، دار ذات السلاسل، الكويت ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٢٨.
- (٥٢) عوام السلمي: كتاب جبال يمامة وسكانها، ص ٧٣.
- (٥٣) الأصمعي: بلاد العرب، ص ٣١٨.



جوفية مثل آبار الهباء<sup>(٥٤)</sup>، وتُعرف هذه الآبار بنظام القنوات الجوفية أو الفلج. وعندما يتصل بئران بمجرى في باطن الأرض يُطلق عليه اسم الكاظمة<sup>(٥٥)</sup>.

ونثبت الدراسات الأثرية وجود عدد هائل من الآبار في بلاد العرب، وخاصة في جوف اليمن مقر دولة معين حيث نجد معظم النقوش التي تتحدث عن حفر الآبار هي نقوش معينة<sup>(٥٦)</sup>. وفي نجران تم تدمير ٦٠ بئراً في حملة واحدة تحدث عنها نفس الملوك سبأ<sup>(٥٧)</sup>. وفي مدينة بيجان التي تقع بين حضرموت وعدن والتي توجد فيها آثار ونقوش على الخجر، تكثر الآبار التي تعود إلى فترة ازدهار مملكة ثبآن<sup>(٥٨)</sup>. وفي مدينة ذمار جنوبي صنعاء آبار كثيرة يقال لماؤها بالبد<sup>(٥٩)</sup>. وفي الجنوب أيضاً اشتهرت آبار المليكة: وهي ماء عليها خمسون بئراً، وآبار العقلاق والغطاة وهي ماء تُسقى بالغروب، ومنها بئر ثيريد وبئر شرافة في براقش في أسفل الجوف، طولها خمسون باعاً، وماؤها عذب فرات لا تُكفرها الدلاء، وبئر سام بن نوح بصنعاء، وبئر وأدي برهوت بأسفل حضرموت<sup>(٦٠)</sup>. ومن المرتفعات التي اشتهرت بالآبار والسواقي، مرتفعات برد وتنعمة حيث يوجد فيها أكثر من مائة بئر<sup>(٦١)</sup>.

ويذكر ويلكنسون الذي قام بدراسة مصادر المياه في عُمان أنَّ الآبار الباطنية كانت تروي مساحات شاسعة من مزارع النخيل، وهي آبار تعتمد على

وسائل رفع المياه المعروفة حينذاك مثل السانية<sup>(٦٢)</sup>. ويشير القرآن الكريم إلى آبار كثيرة تعطلت في أماكن مختلفة من بلاد العرب، بسبب إنباء أهلها الظالمين، فلا يُستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة إربدها والازدحام عليها، وبقيت فقط آثارها التي كانت ظاهرة للعيان عند بدء الدعوة الإسلامية. ولقت القرآن الكريم نظر مشرقي مكة إلى هذه الآبار المعطلة، والمساكن المهذمة سقوفها، ليتفكروا في آثار الأقوام التي أهلكها الله تعالى، فلعلهم يتعظون بها ويعشرون. يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَكَاكُنْ مِنْ فَرَنَكٍ أَفَلَا تَنبَهُ﴾ <sup>(٦٣)</sup> <sup>(٦٤)</sup> <sup>(٦٥)</sup> <sup>(٦٦)</sup> <sup>(٦٧)</sup> <sup>(٦٨)</sup> <sup>(٦٩)</sup> <sup>(٧٠)</sup> <sup>(٧١)</sup> <sup>(٧٢)</sup> <sup>(٧٣)</sup> <sup>(٧٤)</sup> <sup>(٧٥)</sup> <sup>(٧٦)</sup> <sup>(٧٧)</sup> <sup>(٧٨)</sup> <sup>(٧٩)</sup> <sup>(٨٠)</sup> <sup>(٨١)</sup> <sup>(٨٢)</sup> <sup>(٨٣)</sup> <sup>(٨٤)</sup> <sup>(٨٥)</sup> <sup>(٨٦)</sup> <sup>(٨٧)</sup> <sup>(٨٨)</sup> <sup>(٨٩)</sup> <sup>(٩٠)</sup> <sup>(٩١)</sup> <sup>(٩٢)</sup> <sup>(٩٣)</sup> <sup>(٩٤)</sup> <sup>(٩٥)</sup> <sup>(٩٦)</sup> <sup>(٩٧)</sup> <sup>(٩٨)</sup> <sup>(٩٩)</sup> <sup>(١٠٠)</sup> <sup>(١٠١)</sup> <sup>(١٠٢)</sup> <sup>(١٠٣)</sup> <sup>(١٠٤)</sup> <sup>(١٠٥)</sup> <sup>(١٠٦)</sup> <sup>(١٠٧)</sup> <sup>(١٠٨)</sup> <sup>(١٠٩)</sup> <sup>(١١٠)</sup> <sup>(١١١)</sup> <sup>(١١٢)</sup> <sup>(١١٣)</sup> <sup>(١١٤)</sup> <sup>(١١٥)</sup> <sup>(١١٦)</sup> <sup>(١١٧)</sup> <sup>(١١٨)</sup> <sup>(١١٩)</sup> <sup>(١٢٠)</sup> <sup>(١٢١)</sup> <sup>(١٢٢)</sup> <sup>(١٢٣)</sup> <sup>(١٢٤)</sup> <sup>(١٢٥)</sup> <sup>(١٢٦)</sup> <sup>(١٢٧)</sup> <sup>(١٢٨)</sup> <sup>(١٢٩)</sup> <sup>(١٣٠)</sup> <sup>(١٣١)</sup> <sup>(١٣٢)</sup> <sup>(١٣٣)</sup> <sup>(١٣٤)</sup> <sup>(١٣٥)</sup> <sup>(١٣٦)</sup> <sup>(١٣٧)</sup> <sup>(١٣٨)</sup> <sup>(١٣٩)</sup> <sup>(١٤٠)</sup> <sup>(١٤١)</sup> <sup>(١٤٢)</sup> <sup>(١٤٣)</sup> <sup>(١٤٤)</sup> <sup>(١٤٥)</sup> <sup>(١٤٦)</sup> <sup>(١٤٧)</sup> <sup>(١٤٨)</sup> <sup>(١٤٩)</sup> <sup>(١٥٠)</sup> <sup>(١٥١)</sup> <sup>(١٥٢)</sup> <sup>(١٥٣)</sup> <sup>(١٥٤)</sup> <sup>(١٥٥)</sup> <sup>(١٥٦)</sup> <sup>(١٥٧)</sup> <sup>(١٥٨)</sup> <sup>(١٥٩)</sup> <sup>(١٦٠)</sup> <sup>(١٦١)</sup> <sup>(١٦٢)</sup> <sup>(١٦٣)</sup> <sup>(١٦٤)</sup> <sup>(١٦٥)</sup> <sup>(١٦٦)</sup> <sup>(١٦٧)</sup> <sup>(١٦٨)</sup> <sup>(١٦٩)</sup> <sup>(١٧٠)</sup> <sup>(١٧١)</sup> <sup>(١٧٢)</sup> <sup>(١٧٣)</sup> <sup>(١٧٤)</sup> <sup>(١٧٥)</sup> <sup>(١٧٦)</sup> <sup>(١٧٧)</sup> <sup>(١٧٨)</sup> <sup>(١٧٩)</sup> <sup>(١٨٠)</sup> <sup>(١٨١)</sup> <sup>(١٨٢)</sup> <sup>(١٨٣)</sup> <sup>(١٨٤)</sup> <sup>(١٨٥)</sup> <sup>(١٨٦)</sup> <sup>(١٨٧)</sup> <sup>(١٨٨)</sup> <sup>(١٨٩)</sup> <sup>(١٩٠)</sup> <sup>(١٩١)</sup> <sup>(١٩٢)</sup> <sup>(١٩٣)</sup> <sup>(١٩٤)</sup> <sup>(١٩٥)</sup> <sup>(١٩٦)</sup> <sup>(١٩٧)</sup> <sup>(١٩٨)</sup> <sup>(١٩٩)</sup> <sup>(٢٠٠)</sup> <sup>(٢٠١)</sup> <sup>(٢٠٢)</sup> <sup>(٢٠٣)</sup> <sup>(٢٠٤)</sup> <sup>(٢٠٥)</sup> <sup>(٢٠٦)</sup> <sup>(٢٠٧)</sup> <sup>(٢٠٨)</sup> <sup>(٢٠٩)</sup> <sup>(٢١٠)</sup> <sup>(٢١١)</sup> <sup>(٢١٢)</sup> <sup>(٢١٣)</sup> <sup>(٢١٤)</sup> <sup>(٢١٥)</sup> <sup>(٢١٦)</sup> <sup>(٢١٧)</sup> <sup>(٢١٨)</sup> <sup>(٢١٩)</sup> <sup>(٢٢٠)</sup> <sup>(٢٢١)</sup> <sup>(٢٢٢)</sup> <sup>(٢٢٣)</sup> <sup>(٢٢٤)</sup> <sup>(٢٢٥)</sup> <sup>(٢٢٦)</sup> <sup>(٢٢٧)</sup> <sup>(٢٢٨)</sup> <sup>(٢٢٩)</sup> <sup>(٢٣٠)</sup> <sup>(٢٣١)</sup> <sup>(٢٣٢)</sup> <sup>(٢٣٣)</sup> <sup>(٢٣٤)</sup> <sup>(٢٣٥)</sup> <sup>(٢٣٦)</sup> <sup>(٢٣٧)</sup> <sup>(٢٣٨)</sup> <sup>(٢٣٩)</sup> <sup>(٢٤٠)</sup> <sup>(٢٤١)</sup> <sup>(٢٤٢)</sup> <sup>(٢٤٣)</sup> <sup>(٢٤٤)</sup> <sup>(٢٤٥)</sup> <sup>(٢٤٦)</sup> <sup>(٢٤٧)</sup> <sup>(٢٤٨)</sup> <sup>(٢٤٩)</sup> <sup>(٢٥٠)</sup> <sup>(٢٥١)</sup> <sup>(٢٥٢)</sup> <sup>(٢٥٣)</sup> <sup>(٢٥٤)</sup> <sup>(٢٥٥)</sup> <sup>(٢٥٦)</sup> <sup>(٢٥٧)</sup> <sup>(٢٥٨)</sup> <sup>(٢٥٩)</sup> <sup>(٢٦٠)</sup> <sup>(٢٦١)</sup> <sup>(٢٦٢)</sup> <sup>(٢٦٣)</sup> <sup>(٢٦٤)</sup> <sup>(٢٦٥)</sup> <sup>(٢٦٦)</sup> <sup>(٢٦٧)</sup> <sup>(٢٦٨)</sup> <sup>(٢٦٩)</sup> <sup>(٢٧٠)</sup> <sup>(٢٧١)</sup> <sup>(٢٧٢)</sup> <sup>(٢٧٣)</sup> <sup>(٢٧٤)</sup> <sup>(٢٧٥)</sup> <sup>(٢٧٦)</sup> <sup>(٢٧٧)</sup> <sup>(٢٧٨)</sup> <sup>(٢٧٩)</sup> <sup>(٢٨٠)</sup> <sup>(٢٨١)</sup> <sup>(٢٨٢)</sup> <sup>(٢٨٣)</sup> <sup>(٢٨٤)</sup> <sup>(٢٨٥)</sup> <sup>(٢٨٦)</sup> <sup>(٢٨٧)</sup> <sup>(٢٨٨)</sup> <sup>(٢٨٩)</sup> <sup>(٢٩٠)</sup> <sup>(٢٩١)</sup> <sup>(٢٩٢)</sup> <sup>(٢٩٣)</sup> <sup>(٢٩٤)</sup> <sup>(٢٩٥)</sup> <sup>(٢٩٦)</sup> <sup>(٢٩٧)</sup> <sup>(٢٩٨)</sup> <sup>(٢٩٩)</sup> <sup>(٣٠٠)</sup> <sup>(٣٠١)</sup> <sup>(٣٠٢)</sup> <sup>(٣٠٣)</sup> <sup>(٣٠٤)</sup> <sup>(٣٠٥)</sup> <sup>(٣٠٦)</sup> <sup>(٣٠٧)</sup> <sup>(٣٠٨)</sup> <sup>(٣٠٩)</sup> <sup>(٣١٠)</sup> <sup>(٣١١)</sup> <sup>(٣١٢)</sup> <sup>(٣١٣)</sup> <sup>(٣١٤)</sup> <sup>(٣١٥)</sup> <sup>(٣١٦)</sup> <sup>(٣١٧)</sup> <sup>(٣١٨)</sup> <sup>(٣١٩)</sup> <sup>(٣٢٠)</sup> <sup>(٣٢١)</sup> <sup>(٣٢٢)</sup> <sup>(٣٢٣)</sup> <sup>(٣٢٤)</sup> <sup>(٣٢٥)</sup> <sup>(٣٢٦)</sup> <sup>(٣٢٧)</sup> <sup>(٣٢٨)</sup> <sup>(٣٢٩)</sup> <sup>(٣٣٠)</sup> <sup>(٣٣١)</sup> <sup>(٣٣٢)</sup> <sup>(٣٣٣)</sup> <sup>(٣٣٤)</sup> <sup>(٣٣٥)</sup> <sup>(٣٣٦)</sup> <sup>(٣٣٧)</sup> <sup>(٣٣٨)</sup> <sup>(٣٣٩)</sup> <sup>(٣٤٠)</sup> <sup>(٣٤١)</sup> <sup>(٣٤٢)</sup> <sup>(٣٤٣)</sup> <sup>(٣٤٤)</sup> <sup>(٣٤٥)</sup> <sup>(٣٤٦)</sup> <sup>(٣٤٧)</sup> <sup>(٣٤٨)</sup> <sup>(٣٤٩)</sup> <sup>(٣٥٠)</sup> <sup>(٣٥١)</sup> <sup>(٣٥٢)</sup> <sup>(٣٥٣)</sup> <sup>(٣٥٤)</sup> <sup>(٣٥٥)</sup> <sup>(٣٥٦)</sup> <sup>(٣٥٧)</sup> <sup>(٣٥٨)</sup> <sup>(٣٥٩)</sup> <sup>(٣٦٠)</sup> <sup>(٣٦١)</sup> <sup>(٣٦٢)</sup> <sup>(٣٦٣)</sup> <sup>(٣٦٤)</sup> <sup>(٣٦٥)</sup> <sup>(٣٦٦)</sup> <sup>(٣٦٧)</sup> <sup>(٣٦٨)</sup> <sup>(٣٦٩)</sup> <sup>(٣٧٠)</sup> <sup>(٣٧١)</sup> <sup>(٣٧٢)</sup> <sup>(٣٧٣)</sup> <sup>(٣٧٤)</sup> <sup>(٣٧٥)</sup> <sup>(٣٧٦)</sup> <sup>(٣٧٧)</sup> <sup>(٣٧٨)</sup> <sup>(٣٧٩)</sup> <sup>(٣٨٠)</sup> <sup>(٣٨١)</sup> <sup>(٣٨٢)</sup> <sup>(٣٨٣)</sup> <sup>(٣٨٤)</sup> <sup>(٣٨٥)</sup> <sup>(٣٨٦)</sup> <sup>(٣٨٧)</sup> <sup>(٣٨٨)</sup> <sup>(٣٨٩)</sup> <sup>(٣٩٠)</sup> <sup>(٣٩١)</sup> <sup>(٣٩٢)</sup> <sup>(٣٩٣)</sup> <sup>(٣٩٤)</sup> <sup>(٣٩٥)</sup> <sup>(٣٩٦)</sup> <sup>(٣٩٧)</sup> <sup>(٣٩٨)</sup> <sup>(٣٩٩)</sup> <sup>(٤٠٠)</sup> <sup>(٤٠١)</sup> <sup>(٤٠٢)</sup> <sup>(٤٠٣)</sup> <sup>(٤٠٤)</sup> <sup>(٤٠٥)</sup> <sup>(٤٠٦)</sup> <sup>(٤٠٧)</sup> <sup>(٤٠٨)</sup> <sup>(٤٠٩)</sup> <sup>(٤١٠)</sup> <sup>(٤١١)</sup> <sup>(٤١٢)</sup> <sup>(٤١٣)</sup> <sup>(٤١٤)</sup> <sup>(٤١٥)</sup> <sup>(٤١٦)</sup> <sup>(٤١٧)</sup> <sup>(٤١٨)</sup> <sup>(٤١٩)</sup> <sup>(٤٢٠)</sup> <sup>(٤٢١)</sup> <sup>(٤٢٢)</sup> <sup>(٤٢٣)</sup> <sup>(٤٢٤)</sup> <sup>(٤٢٥)</sup> <sup>(٤٢٦)</sup> <sup>(٤٢٧)</sup> <sup>(٤٢٨)</sup> <sup>(٤٢٩)</sup> <sup>(٤٣٠)</sup> <sup>(٤٣١)</sup> <sup>(٤٣٢)</sup> <sup>(٤٣٣)</sup> <sup>(٤٣٤)</sup> <sup>(٤٣٥)</sup> <sup>(٤٣٦)</sup> <sup>(٤٣٧)</sup> <sup>(٤٣٨)</sup> <sup>(٤٣٩)</sup> <sup>(٤٤٠)</sup> <sup>(٤٤١)</sup> <sup>(٤٤٢)</sup> <sup>(٤٤٣)</sup> <sup>(٤٤٤)</sup> <sup>(٤٤٥)</sup> <sup>(٤٤٦)</sup> <sup>(٤٤٧)</sup> <sup>(٤٤٨)</sup> <sup>(٤٤٩)</sup> <sup>(٤٥٠)</sup> <sup>(٤٥١)</sup> <sup>(٤٥٢)</sup> <sup>(٤٥٣)</sup> <sup>(٤٥٤)</sup> <sup>(٤٥٥)</sup> <sup>(٤٥٦)</sup> <sup>(٤٥٧)</sup> <sup>(٤٥٨)</sup> <sup>(٤٥٩)</sup> <sup>(٤٦٠)</sup> <sup>(٤٦١)</sup> <sup>(٤٦٢)</sup> <sup>(٤٦٣)</sup> <sup>(٤٦٤)</sup> <sup>(٤٦٥)</sup> <sup>(٤٦٦)</sup> <sup>(٤٦٧)</sup> <sup>(٤٦٨)</sup> <sup>(٤٦٩)</sup> <sup>(٤٧٠)</sup> <sup>(٤٧١)</sup> <sup>(٤٧٢)</sup> <sup>(٤٧٣)</sup> <sup>(٤٧٤)</sup> <sup>(٤٧٥)</sup> <sup>(٤٧٦)</sup> <sup>(٤٧٧)</sup> <sup>(٤٧٨)</sup> <sup>(٤٧٩)</sup> <sup>(٤٨٠)</sup> <sup>(٤٨١)</sup> <sup>(٤٨٢)</sup> <sup>(٤٨٣)</sup> <sup>(٤٨٤)</sup> <sup>(٤٨٥)</sup> <sup>(٤٨٦)</sup> <sup>(٤٨٧)</sup> <sup>(٤٨٨)</sup> <sup>(٤٨٩)</sup> <sup>(٤٩٠)</sup> <sup>(٤٩١)</sup> <sup>(٤٩٢)</sup> <sup>(٤٩٣)</sup> <sup>(٤٩٤)</sup> <sup>(٤٩٥)</sup> <sup>(٤٩٦)</sup> <sup>(٤٩٧)</sup> <sup>(٤٩٨)</sup> <sup>(٤٩٩)</sup> <sup>(٥٠٠)</sup> <sup>(٥٠١)</sup> <sup>(٥٠٢)</sup> <sup>(٥٠٣)</sup> <sup>(٥٠٤)</sup> <sup>(٥٠٥)</sup> <sup>(٥٠٦)</sup> <sup>(٥٠٧)</sup> <sup>(٥٠٨)</sup> <sup>(٥٠٩)</sup> <sup>(٥١٠)</sup> <sup>(٥١١)</sup> <sup>(٥١٢)</sup> <sup>(٥١٣)</sup> <sup>(٥١٤)</sup> <sup>(٥١٥)</sup> <sup>(٥١٦)</sup> <sup>(٥١٧)</sup> <sup>(٥١٨)</sup> <sup>(٥١٩)</sup> <sup>(٥٢٠)</sup> <sup>(٥٢١)</sup> <sup>(٥٢٢)</sup> <sup>(٥٢٣)</sup> <sup>(٥٢٤)</sup> <sup>(٥٢٥)</sup> <sup>(٥٢٦)</sup> <sup>(٥٢٧)</sup> <sup>(٥٢٨)</sup> <sup>(٥٢٩)</sup> <sup>(٥٣٠)</sup> <sup>(٥٣١)</sup> <sup>(٥٣٢)</sup> <sup>(٥٣٣)</sup> <sup>(٥٣٤)</sup> <sup>(٥٣٥)</sup> <sup>(٥٣٦)</sup> <sup>(٥٣٧)</sup> <sup>(٥٣٨)</sup> <sup>(٥٣٩)</sup> <sup>(٥٤٠)</sup> <sup>(٥٤١)</sup> <sup>(٥٤٢)</sup> <sup>(٥٤٣)</sup> <sup>(٥٤٤)</sup> <sup>(٥٤٥)</sup> <sup>(٥٤٦)</sup> <sup>(٥٤٧)</sup> <sup>(٥٤٨)</sup> <sup>(٥٤٩)</sup> <sup>(٥٥٠)</sup> <sup>(٥٥١)</sup> <sup>(٥٥٢)</sup> <sup>(٥٥٣)</sup> <sup>(٥٥٤)</sup> <sup>(٥٥٥)</sup> <sup>(٥٥٦)</sup> <sup>(٥٥٧)</sup> <sup>(٥٥٨)</sup> <sup>(٥٥٩)</sup> <sup>(٥٦٠)</sup> <sup>(٥٦١)</sup> <sup>(٥٦٢)</sup> <sup>(٥٦٣)</sup> <sup>(٥٦٤)</sup> <sup>(٥٦٥)</sup> <sup>(٥٦٦)</sup> <sup>(٥٦٧)</sup> <sup>(٥٦٨)</sup> <sup>(٥٦٩)</sup> <sup>(٥٧٠)</sup> <sup>(٥٧١)</sup> <sup>(٥٧٢)</sup> <sup>(٥٧٣)</sup> <sup>(٥٧٤)</sup> <sup>(٥٧٥)</sup> <sup>(٥٧٦)</sup> <sup>(٥٧٧)</sup> <sup>(٥٧٨)</sup> <sup>(٥٧٩)</sup> <sup>(٥٨٠)</sup> <sup>(٥٨١)</sup> <sup>(٥٨٢)</sup> <sup>(٥٨٣)</sup> <sup>(٥٨٤)</sup> <sup>(٥٨٥)</sup> <sup>(٥٨٦)</sup> <sup>(٥٨٧)</sup> <sup>(٥٨٨)</sup> <sup>(٥٨٩)</sup> <sup>(٥٩٠)</sup> <sup>(٥٩١)</sup> <sup>(٥٩٢)</sup> <sup>(٥٩٣)</sup> <sup>(٥٩٤)</sup> <sup>(٥٩٥)</sup> <sup>(٥٩٦)</sup> <sup>(٥٩٧)</sup> <sup>(٥٩٨)</sup> <sup>(٥٩٩)</sup> <sup>(٦٠٠)</sup> <sup>(٦٠١)</sup> <sup>(٦٠٢)</sup> <sup>(٦٠٣)</sup> <sup>(٦٠٤)</sup> <sup>(٦٠٥)</sup> <sup>(٦٠٦)</sup> <sup>(٦٠٧)</sup> <sup>(٦٠٨)</sup> <sup>(٦٠٩)</sup> <sup>(٦١٠)</sup> <sup>(٦١١)</sup> <sup>(٦١٢)</sup> <sup>(٦١٣)</sup> <sup>(٦١٤)</sup> <sup>(٦١٥)</sup> <sup>(٦١٦)</sup> <sup>(٦١٧)</sup> <sup>(٦١٨)</sup> <sup>(٦١٩)</sup> <sup>(٦٢٠)</sup> <sup>(٦٢١)</sup> <sup>(٦٢٢)</sup> <sup>(٦٢٣)</sup> <sup>(٦٢٤)</sup> <sup>(٦٢٥)</sup> <sup>(٦٢٦)</sup> <sup>(٦٢٧)</sup> <sup>(٦٢٨)</sup> <sup>(٦٢٩)</sup> <sup>(٦٣٠)</sup> <sup>(٦٣١)</sup> <sup>(٦٣٢)</sup> <sup>(٦٣٣)</sup> <sup>(٦٣٤)</sup> <sup>(٦٣٥)</sup> <sup>(٦٣٦)</sup> <sup>(٦٣٧)</sup> <sup>(٦٣٨)</sup> <sup>(٦٣٩)</sup> <sup>(٦٤٠)</sup> <sup>(٦٤١)</sup> <sup>(٦٤٢)</sup> <sup>(٦٤٣)</sup> <sup>(٦٤٤)</sup> <sup>(٦٤٥)</sup> <sup>(٦٤٦)</sup> <sup>(٦٤٧)</sup> <sup>(٦٤٨)</sup> <sup>(٦٤٩)</sup> <sup>(٦٥٠)</sup> <sup>(٦٥١)</sup> <sup>(٦٥٢)</sup> <sup>(٦٥٣)</sup> <sup>(٦٥٤)</sup> <sup>(٦٥٥)</sup> <sup>(٦٥٦)</sup> <sup>(٦٥٧)</sup> <sup>(٦٥٨)</sup> <sup>(٦٥٩)</sup> <sup>(٦٦٠)</sup> <sup>(٦٦١)</sup> <sup>(٦٦٢)</sup> <sup>(٦٦٣)</sup> <sup>(٦٦٤)</sup> <sup>(٦٦٥)</sup> <sup>(٦٦٦)</sup> <sup>(٦٦٧)</sup> <sup>(٦٦٨)</sup> <sup>(٦٦٩)</sup> <sup>(٦٧٠)</sup> <sup>(٦٧١)</sup> <sup>(٦٧٢)</sup> <sup>(٦٧٣)</sup> <sup>(٦٧٤)</sup> <sup>(٦٧٥)</sup> <sup>(٦٧٦)</sup> <sup>(٦٧٧)</sup> <sup>(٦٧٨)</sup> <sup>(٦٧٩)</sup> <sup>(٦٨٠)</sup> <sup>(٦٨١)</sup> <sup>(٦٨٢)</sup> <sup>(٦٨٣)</sup> <sup>(٦٨٤)</sup> <sup>(٦٨٥)</sup> <sup>(٦٨٦)</sup> <sup>(٦٨٧)</sup> <sup>(٦٨٨)</sup> <sup>(٦٨٩)</sup> <sup>(٦٩٠)</sup> <sup>(٦٩١)</sup> <sup>(٦٩٢)</sup> <sup>(٦٩٣)</sup> <sup>(٦٩٤)</sup> <sup>(٦٩٥)</sup> <sup>(٦٩٦)</sup> <sup>(٦٩٧)</sup> <sup>(٦٩٨)</sup> <sup>(٦٩٩)</sup> <sup>(٧٠٠)</sup> <sup>(٧٠١)</sup> <sup>(٧٠٢)</sup> <sup>(٧٠٣)</sup> <sup>(٧٠٤)</sup> <sup>(٧٠٥)</sup> <sup>(٧٠٦)</sup> <sup>(٧٠٧)</sup> <sup>(٧٠٨)</sup> <sup>(٧٠٩)</sup> <sup>(٧١٠)</sup> <sup>(٧١١)</sup> <sup>(٧١٢)</sup> <sup>(٧١٣)</sup> <sup>(٧١٤)</sup> <sup>(٧١٥)</sup> <sup>(٧١٦)</sup> <sup>(٧١٧)</sup> <sup>(٧١٨)</sup> <sup>(٧١٩)</sup> <sup>(٧٢٠)</sup> <sup>(٧٢١)</sup> <sup>(٧٢٢)</sup> <sup>(٧٢٣)</sup> <sup>(٧٢٤)</sup> <sup>(٧٢٥)</sup> <sup>(٧٢٦)</sup> <sup>(٧٢٧)</sup> <sup>(٧٢٨)</sup> <sup>(٧٢٩)</sup> <sup>(٧٣٠)</sup> <sup>(٧٣١)</sup> <sup>(٧٣٢)</sup> <sup>(٧٣٣)</sup> <sup>(٧٣٤)</sup> <sup>(٧٣٥)</sup> <sup>(٧٣٦)</sup> <sup>(٧٣٧)</sup> <sup>(٧٣٨)</sup> <sup>(٧٣٩)</sup> <sup>(٧٤٠)</sup> <sup>(٧٤١)</sup> <sup>(٧٤٢)</sup> <sup>(٧٤٣)</sup> <sup>(٧٤٤)</sup> <sup>(٧٤٥)</sup> <sup>(٧٤٦)</sup> <sup>(٧٤٧)</sup> <sup>(٧٤٨)</sup> <sup>(٧٤٩)</sup> <sup>(٧٥٠)</sup> <sup>(٧٥١)</sup> <sup>(٧٥٢)</sup> <sup>(٧٥٣)</sup> <sup>(٧٥٤)</sup> <sup>(٧٥٥)</sup> <sup>(٧٥٦)</sup> <sup>(٧٥٧)</sup> <sup>(٧٥٨)</sup> <sup>(٧٥٩)</sup> <sup>(٧٦٠)</sup> <sup>(٧٦١)</sup> <sup>(٧٦٢)</sup> <sup>(٧٦٣)</sup> <sup>(٧٦٤)</sup> <sup>(٧٦٥)</sup> <sup>(٧٦٦)</sup> <sup>(٧٦٧)</sup> <sup>(٧٦٨)</sup> <sup>(٧٦٩)</sup> <sup>(٧٧٠)</sup> <sup>(٧٧١)</sup> <sup>(٧٧٢)</sup> <sup>(٧٧٣)</sup> <sup>(٧٧٤)</sup> <sup>(٧٧٥)</sup> <sup>(٧٧٦)</sup> <sup>(٧٧٧)</sup> <sup>(٧٧٨)</sup> <sup>(٧٧٩)</sup> <sup>(٧٨٠)</sup> <sup>(٧٨١)</sup> <sup>(٧٨٢)</sup> <sup>(٧٨٣)</sup> <sup>(٧٨٤)</sup> <sup>(٧٨٥)</sup> <sup>(٧٨٦)</sup> <sup>(٧٨٧)</sup> <sup>(٧٨٨)</sup> <sup>(٧٨٩)</sup> <sup>(٧٩٠)</sup> <sup>(٧٩١)</sup> <sup>(٧٩٢)</sup> <sup>(٧٩٣)</sup> <sup>(٧٩٤)</sup> <sup>(٧٩٥)</sup> <sup>(٧٩٦)</sup> <sup>(٧٩٧)</sup> <sup>(٧٩٨)</sup> <sup>(٧٩٩)</sup> <sup>(٨٠٠)</sup> <sup>(٨٠١)</sup> <sup>(٨٠٢)</sup> <sup>(٨٠٣)</sup> <sup>(٨٠٤)</sup> <sup>(٨٠٥)</sup> <sup>(٨٠٦)</sup> <sup>(٨٠٧)</sup> <sup>(٨٠٨)</sup> <sup>(٨٠٩)</sup> <sup>(٨١٠)</sup> <sup>(٨١١)</sup> <sup>(٨١٢)</sup> <sup>(٨١٣)</sup> <sup>(٨١٤)</sup> <sup>(٨١٥)</sup> <sup>(٨١٦)</sup> <sup>(٨١٧)</sup> <sup>(٨١٨)</sup> <sup>(٨١٩)</sup> <sup>(٨٢٠)</sup> <sup>(٨٢١)</sup> <sup>(٨٢٢)</sup> <sup>(٨٢٣)</sup> <sup>(٨٢٤)</sup> <sup>(٨٢٥)</sup> <sup>(٨٢٦)</sup> <sup>(٨٢٧)</sup> <sup>(٨٢٨)</sup> <sup>(٨٢٩)</sup> <sup>(٨٣٠)</sup> <sup>(٨٣١)</sup> <sup>(٨٣٢)</sup> <sup>(٨٣٣)</sup> <sup>(٨٣٤)</sup> <sup>(٨٣٥)</sup> <sup>(٨٣٦)</sup> <sup>(٨٣٧)</sup> <sup>(٨٣٨)</sup> <sup>(٨٣٩)</sup> <sup>(٨٤٠)</sup> <sup>(٨٤١)</sup> <sup>(٨٤٢)</sup> <sup>(٨٤٣)</sup> <sup>(٨٤٤)</sup> <sup>(٨٤٥)</sup> <sup>(٨٤٦)</sup> <sup>(٨٤٧)</sup> <sup>(٨٤٨)</sup> <sup>(٨٤٩)</sup> <sup>(٨٥٠)</sup> <sup>(٨٥١)</sup> <sup>(٨٥٢)</sup> <sup>(٨٥٣)</sup> <sup>(٨٥٤)</sup> <sup>(٨٥٥)</sup> <sup>(٨٥٦)</sup> <sup>(٨٥٧)</sup> <sup>(٨٥٨)</sup> <sup>(٨٥٩)</sup> <sup>(٨٦٠)</sup> <sup>(٨٦١)</sup> <sup>(٨٦٢)</sup> <sup>(٨٦٣)</sup> <sup>(٨٦٤)</sup> <sup>(٨٦٥)</sup> <sup>(٨٦٦)</sup> <sup>(٨٦٧)</sup> <sup>(٨٦٨)</sup> <sup>(٨٦٩)</sup> <sup>(٨٧٠)</sup> <sup>(٨٧١)</sup> <sup>(٨٧٢)</sup> <sup>(٨٧٣)</sup> <sup>(٨٧٤)</sup> <sup>(٨٧٥)</sup> <sup>(٨٧٦)</sup> <sup>(٨٧٧)</sup> <sup>(٨٧٨)</sup> <sup>(٨٧٩)</sup> <sup>(٨٨٠)</sup> <sup>(٨٨١)</sup> <sup>(٨٨٢)</sup> <sup>(٨٨٣)</sup> <sup>(٨٨٤)</sup> <sup>(٨٨٥)</sup> <sup>(٨٨٦)</sup> <sup>(٨٨٧)</sup> <sup>(٨٨٨)</sup> <sup>(٨٨٩)</sup> <sup>(٨٩٠)</sup> <sup>(٨٩١)</sup> <sup>(٨٩٢)</sup> <sup>(٨٩٣)</sup> <sup>(٨٩٤)</sup> <sup>(٨٩٥)</sup> <sup>(٨٩٦)</sup> <sup>(٨٩٧)</sup> <sup>(٨٩٨)</sup> <sup>(٨٩٩)</sup> <sup>(٩٠٠)</sup> <sup>(٩٠١)</sup> <sup>(٩٠٢)</sup> <sup>(٩٠٣)</sup> <sup>(٩٠٤)</sup> <sup>(٩٠٥)</sup> <sup>(٩٠٦)</sup> <sup>(٩٠٧)</sup> <sup>(٩٠٨)</sup> <sup>(٩٠٩)</sup> <sup>(٩١٠)</sup> <sup>(٩١١)</sup> <sup>(٩١٢)</sup> <sup>(٩١٣)</sup> <sup>(٩١٤)</sup> <sup>(٩١٥)</sup> <sup>(٩١٦)</sup> <sup>(٩١٧)</sup> <sup>(٩١٨)</sup> <sup>(٩١٩)</sup> <sup>(٩٢٠)</sup> <sup>(٩٢١)</sup> <sup>(٩٢٢)</sup> <sup>(٩٢٣)</sup> <sup>(٩٢٤)</sup> <sup>(٩٢٥)</sup> <sup>(٩٢٦)</sup> <sup>(٩٢٧)</sup> <sup>(٩٢٨)</sup> <sup>(٩٢٩)</sup> <sup>(٩٣٠)</sup> <sup>(٩٣١)</sup> <sup>(٩٣٢)</sup> <sup>(٩٣٣)</sup> <sup>(٩٣٤)</sup> <sup>(٩٣٥)</sup> <sup>(٩٣٦)</sup> <sup>(٩٣٧)</sup> <sup>(٩٣٨)</sup> <sup>(٩٣٩)</sup> <sup>(٩٤٠)</sup> <sup>(٩٤١)</sup> <sup>(٩٤٢)</sup> <sup>(٩٤٣)</sup> <sup>(٩٤٤)</sup> <sup>(٩٤٥)</sup> <sup>(٩٤٦)</sup> <sup>(٩٤٧)</sup> <sup>(٩٤٨)</sup> <sup>(٩٤٩)</sup> <sup>(٩٥٠)</sup> <sup>(٩٥١)</sup> <sup>(٩٥٢)</sup> <sup>(٩٥٣)</sup> <sup>(٩٥٤)</sup> <sup>(٩٥٥)</sup> <sup>(٩٥٦)</sup> <sup>(٩٥٧)</sup> <sup>(٩٥٨)</sup> <sup>(٩٥٩)</sup> <sup>(٩٦٠)</sup> <sup>(٩٦١)</sup> <sup>(٩٦٢)</sup> <sup>(٩٦٣)</sup> <sup>(٩٦٤)</sup> <sup>(٩٦٥)</sup> <sup>(٩٦٦)</sup> <sup>(٩٦٧)</sup> <sup>(٩٦٨)</sup> <sup>(٩٦٩)</sup> <sup>(٩٧٠)</sup> <sup>(٩٧١)</sup> <sup>(٩٧٢)</sup> <sup>(٩٧٣)</sup> <sup>(٩٧٤)</sup> <sup>(٩٧٥)</sup> <sup>(٩٧٦)</sup> <sup>(٩٧٧)</sup> <sup>(٩٧٨)</sup> <sup>(٩٧٩)</sup> <sup>(٩٨٠)</sup> <sup>(٩٨١)</sup> <sup>(٩٨٢)</sup> <sup>(٩٨٣)</sup> <sup>(٩٨٤)</sup> <sup>(٩٨٥)</sup> <sup>(٩٨٦)</sup> <sup>(٩٨٧)</sup> <sup>(٩٨٨)</sup> <sup>(٩٨٩)</sup> <sup>(٩٩٠)</sup> <sup>(٩٩١)</sup> <sup>(٩٩٢)</sup> <sup>(٩٩٣)</sup> <sup>(٩٩٤)</sup> <sup>(٩٩٥)</sup> <sup>(٩٩٦)</sup> <sup>(٩٩٧)</sup> <sup>(٩٩٨)</sup> <sup>(٩٩٩)</sup> <sup>(١٠٠٠)</sup> <sup>(١٠٠١)</sup> <sup>(١٠٠٢)</sup> <sup>(١٠٠٣)</sup> <sup>(١٠٠٤)</sup> <sup>(١٠٠٥)</sup> <sup>(١٠٠٦)</sup> <sup>(١٠٠٧)</sup> <sup>(١٠٠٨)</sup> <sup>(١٠٠٩)</sup> <sup>(١٠١٠)</sup> <sup>(١٠١١)</sup> <sup>(١٠١٢)</sup> <sup>(١٠١٣)</sup> <sup>(١٠١٤)</sup> <sup>(١٠١٥)</sup> <sup>(١٠١٦)</sup> <sup>(١٠١٧)</sup> <sup>(١٠١٨)</sup> <sup>(١٠١٩)</sup> <sup>(١٠٢٠)</sup> <sup>(١٠٢١)</sup> <sup>(١٠٢٢)</sup> <sup>(١٠٢٣)</sup> <sup>(١٠٢٤)</sup> <sup>(١٠٢٥)</sup> <sup>(١٠٢٦)</sup> <sup>(١٠٢٧)</sup> <sup>(١٠٢٨)</sup> <sup>(١٠٢٩)</sup> <sup>(١٠٣٠)</sup> <sup>(١٠٣١)</sup> <sup>(١٠٣٢)</sup> <sup>(١٠٣٣)</sup> <sup>(١٠٣</sup>



وذلك لوجود أوجه شبه كبير بين نظامها ونظام بئر الحب في فلسطين التي يعود تاريخها إلى القرن السادس قبل الميلاد<sup>(٦٧)</sup>. وكان في نيماء عدد وأفر من الآبار، أمنها بئر هداج، وهي بئر غزيرة المياه، يعمل على رفع المياه منها عدد عظيم من الجمال، قد يصلون إلى المائة<sup>(٦٨)</sup>.

وعلى العموم فإن الآبار كانت في شبه الجزيرة العربية أكثر الوسائل انتشاراً للحصول على الماء، إذ يكاد لا تخلو قرية أو مدينة منها؛ وقد تحدثت نقوش عربية عديدة عن طريقة حفر هذه الآبار، وعن ملكيتها وأشكالها وتبطينها<sup>(٦٩)</sup>. ذلك أن الآبار التي كانت تُحفر في أرض رخوة غير صلبة كانت تُضرس وتُطَن بالهجارة حتى يُمنع تهدمها، كما كان بعضها يُحفر على شكل إحياصة، وتُسد أفواهها بالهجارة حتى يُمنع تبخرها، وخاصة في الأقاليم الصحراوية الشديدة الحرارة. ويبدو أن الأنباط كانوا أكثر الأنواع استخداماً لهذه الطريقة في حفر الآبار، وكانوا إذا ما تعرضوا لهجوم من الأعداء، يطعمون هذه الآبار بالتراب، كي لا يعترف عليها العدو ويستفي من مائها، فيهلك عطشاً<sup>(٧٠)</sup>.

## ٢ - الثروة النباتية:

يستفاد من الكتابات القديمة، ومن المصادر العربية الإسلامية، ومن نتائج الاكتشافات الأثرية أن الغطاء النباتي لشبه الجزيرة العربية في العصور القديمة كان أفضل مما هو عليه الآن، لكن الجفاف الذي سيطر على معظم أقاليم شبه الجزيرة، والقطع المستمر لأشجارها، والرعي غير المنظم لأعشابها قضى على معظم الثروة النباتية.

Abdullah A. Nasif: An Ancient Water System in Sakaka, Al Jawf, Saudi Arabia, Institute of Archaeology, London 1987, P11 and 130.

(٦٨) نوره عبد الله العملي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ...، ص ٧٢.

(٦٩) يحيى ناصي: نقوش خربة ميسن، ص ٢٢، ٢٤. أحمد شرف الدين: تاريخ اليمن الثقافي، ج ٢، ص ٥٢ - ٥٤.

(٧٠) Diodorus Siculus: Library of History, Bk2, P43-45. Evenari, M.: The Negev: The Challenge of the Desert, Mass, Harvard University press, Cambridge 1971, P156-157.

وكانت تثبت الأشجار والأعراج على سفوح جبال ظفار وحضرموت والشراة ولا سيما في مهرة وعسير، وفي أودية الجبل الأخضر بعمان. وكان بعض هذه الأشجار مثمرًا وبعضها الآخر غير مثمر، لكن خشبها كان يدخل في صناعة أواني الطعام والشراب والفسن والتال وأدوات البقاء والوقود، كما كان يدخل ورقها وقشور جذوعها في دباغة الجلود، أما ثمار بعضها فكانت تقوم عليها صناعة العطور والأدوية والبحور وما شابهها<sup>(٧١)</sup>.

وكانت تُزرع في الواحات الخصبة، وفي أقاليم نجد والحجاز وشرفي شبه الجزيرة العربية: الخضار والأشجار المثمرة مثل: البطيخ والموز وقصب السكر، والتين والرمان والشمش واللوب والبرتقال والزيتون والتخيل والعنب الذي أدخلت زراعته إلى شبه الجزيرة في القرن الرابع الميلادي<sup>(٧٢)</sup>. وكانت تُزرع الحبوب مثل القمح والشعير والذرة والدخن في شبه الجزيرة، وبخاصة في اليمن والواحات، وهذه تعتبر من المحاصيل الرئيسية؛ كما كانت تُزرع فيها محاصيل أخرى بدرجة أقل تشمل الفطن والأرز والتبغ ولا سيما في عمان والحجاز<sup>(٧٣)</sup>.

وتحدثت المصادر الأدبية والعلمية مثل كتب الجغرافيا والنبات عن أنواع كثيرة من النباتات والأشجار التي تعيش في شبه الجزيرة، نذكر منها شجرة التخيل التي تُعد من أهم المحاصيل الزراعية وأكثرها انتشاراً حيث توجد في كل مكان، ويُعتبر ثمرها الغذاء الرئيس للسكان. وينمو شجر جوز الهند جنباً إلى جنب مع أشجار التخيل في إقليم حضرموت وبعض البقاع الأخرى؛ وتوجد شجرة البن التي دخلت بلاد العرب في القرن الرابع عشر الميلادي، في منحدرات الجبال وخاصة في اليمن. أما اللبان (البخور) والمز (نوع من الصمغ) فيزرع في

(٧١) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٨٧ - ١٨٩. نورة عبد الله العملي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٧٦.

(٧٢) الحسن القحطاني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٥ - ١٥٧. تيب عاقل: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، ص ٢٦، ٢٧.

(٧٣) تيب عاقل: تاريخ العرب القديم، ...، ص ٢٦. محمد عبد النعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره، ...، ص ٥٧.



جنوب شبه الجزيرة<sup>(٧٤)</sup>، وينمو الجوز الذي يمتاز بصلابة خشبه وبكثرة وجوده في اليمن وجبال السراة. والثآليل شجر عظيم ينبت في جبال اليمن ويستظل به، ويصنع من عيدانه القسي، وإذا جُفَّت ثماره، التي تشبه عناقيد البطم، اعتصرت واستخدمت زيتونها في إنارة المصابيح. والثآليل الذي ينبت شجره في البادية وبطون الأودية وشبه الأتلى. والأسجل الذي هو نبات الصحراء يشبه الأتلى أيضاً وينمو في السهول ويُستاك به<sup>(٧٥)</sup>. أما الأتلى فهو شجر من فصيلة الطرفائيات، يكثر انتشاره في شبه الجزيرة ولا سيما قرب المياه وفي الأراضي الرملية، ويستخدم خشبه الصلب والجيد في كثير من الصناعات مثل: بناء المنازل وصناعة القوارب والمحارث الخشبية والآنية: كالفصاع والجفان، وتخلط أهدابه مع الطين في صناعة اللبن ليزيد من تماسكها<sup>(٧٦)</sup>.

ومنها البذر، وهو شجر التيق، يكثر في بطون الأودية وبخاصة في السفوح الشرفية لمرتفعات السراة، ويرتفع إلى عشرة أمتار، ويُستخدم أورافه في الغسل كالصابون، ويُؤكل ثمره. وشجر الطلح الذي ينبت في الأودية والأماكن المتوسطة الارتفاع، والذي يمتاز خشبه بالقوة لذا استخدم في البناء، وهو من البغضاء<sup>(٧٧)</sup> ويُتخذ من عيدانه السواك، وله يرمة طيبة الرائحة، وليس في البغضاء أكثر صمغاً منه. والعوسج وهو شجر كثير الشوك ينشر في الجبال المتوسطة الارتفاع، وله ثمر أحمر اللون حلو المذاق يأكله أهل الصحراء، ويُتخذ النساء من أغصانه منازل الصوف. وشجر السمر الذي هو من البغضاء، وليس هناك أجود منه خشباً، ينقل إلى القرى وتسقف به البيوت، وله يرمة صغيرة صفراء

اللون يأكلها الناس<sup>(٧٨)</sup>. والسلم هو شجر من البغضاء، يستخدم ورقه للدباغة، وينمو في المرتفعات وفي سهول تهامة، وله يرمة صفراء اللون طيبة الرائحة وتؤكل. والحلة شجرة شائكة، لا ثمر لها، وهي أصغر من العوسج، تنبت في غلاظ الأرض، ويسمونها أهل البادية الشبرق وأهل الحجاز الضريع بعد جفافها<sup>(٧٩)</sup>.

ومن الأشجار أيضاً ما يُعرف باسم حمر الذي يشبه الثمر الهندي وشجر الجوز، وثمره مثل ثمر القوط يستفاد منه بالطبخ، وهو ينبت بالسراة وفي بلاد عمان، وقد ذكره بلينيوس من ضمن أشجار البحرين<sup>(٨٠)</sup>. والقناد شجر ضخم، ينبت بنجد وتهامة، وهو صلب العود له شوك كالأبر. وشجر الضمران الذي يشبه الرمث، إلا أنه أصغر، وله خشب ضعيف يُحتطب<sup>(٨١)</sup>. والحلق شجر ينبت كنبات العنب، وله ورق كورق العنب، يطبخ مع اللحم، ويجعل في المعصر فيكون أجود له من حب الرمان، وقيل يُخلط بالوسمة للخضاب. والسرغ شجر من البغضاء ينمو في نجد ويستظل به، وتستخدم أخشابه في البناء. وشجر قصاص ينبت باليمن ويجرسه النحل. والثآليل شجر عظيم لا ثمر له. وشجرة الرقعة عظيمة كالجوز وساقها كالذئب، تنمو مع العرعر في الجبال، وتكثر في المرتفعات الغربية الجنوبية، ولها ثمر كالثين كأنه صغار الرمان يُجفف ويستخرج منه الفطران<sup>(٨٢)</sup>.

(٧٨) حمد الجاسر: في سراة غامد وزهران، دار البعثة، الرياض ١٩٧٧، ص ٣٨٠ و ٣٩٣. غرام السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، ما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، ص ٢٣ - ٢٤.

(٧٩) الديماطي: معجم أسماء النباتات... ص ١٥ و ٧١. حمد الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٣٧٦. غرام السلمي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها... ص ١٣.

(٨٠) الديماطي: المرجع السابق، ص ٤٥. الجاسر: المرجع السابق، ص ٣٧٧.

(٨١) Pliny: Natural history, BK 12, P22.

ويذكر المتجدد في اللغة والأعلام صفحة ١٥٣ أن الخمرة نبات سام من فصيلة الباذنجانيات يكثر في أوروبا وآسيا الغربية. التي تحوي شبه الجزيرة العربية. أزهاره ذات لون أحمر مغفر، يُؤزق للزينة ويستعمل لأمر طية وعلى الأخضر لأمراض العيون<sup>(٨١)</sup>.

(٨٢) الحسن الأحصهاني: بلاد العرب، ص ٥٨ و ١٩٠.

(٨٢) الديماطي: معجم أسماء النباتات... ص ١٧ و ٥٨ و ٦٣ و ٧١ و ٧٧.

(٧٤) عاقل: المرجع نفسه، ص ٢٦. محمد عبد النعيم: المرجع السابق، ص ٥٧.

(٧٥) أبو سعيد بن عبد الملك بن قريش الأصمعي: كتاب النبات، تحقيق عبد الله بن يوسف الغنيم، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٢، ص ٢٢ - ٢٤ و ٢٣ - ٢٤ و ٣٤ و ٣٦.

(٧٦) محمود مصطفى الديماطي: معجم أسماء النباتات الواردة في نافع العروس للزبيدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٥، ص ٩. المتجدد في اللغة والأعلام، دار الشروق، الطبعة الثلاثون، بيروت ١٩٨٨، ص ٣.

(٧٧) البغضاء: الواحدة: بغضاء وبغضة، وهو كل شجر يعظم وله شوك.

ومنها اللبان الذي ينبت في الهضاب، وقد عذّه البعض من شجر العضا، وله هذب كالآثل، ويستخرج من حبوب ثماره دهن طيب الرائحة، كما يستخدم في صناعة الأدوية، وليس لخشبه صلابة. والخزم شجر يشبه ساق النخل، وورقه ورق البردي، وكان يصنع من جذوعه خلايا للنحل، ومن خواصه وعشب الجبال والحطيم. والثشم شجر له عيدان قوية على هيئة خيطان، يصنع منه القسي والسهام، وهو خال من الورق وينبت في الجبال. وشجر الأثرار له ورق كورق البضغتر، وشوكه يشبه شوك الرمان، ويستخرج منه الفطران مثل العرعز<sup>(٨٣)</sup>.

ومنها الفرط وهو شجر عظيم، ينتشر في شبه الجزيرة بكثرة، وهو شبه بأشجار الجوز، ويتراوح ارتفاعه ما بين مترين إلى ثلاثة أمتار، وينبت في قيعان الأودية، وتدخل ثماره في صناعة الدباغة، ويستخدمه الناس وقوداً. وشجر العرعز عظيم ينبت في أعالي الجبال. ولا سيما جبال السراة، وفي الأجزاء الجنوبية منها مكوناً غابات كثيفة، ولكثرته في هذه المنطقة أطلق عليها سترابون بلاد العرعز، وتمتاز أخشابها بالقوة والصلابة لذا تدخل في صناعات كثيرة، ويستخرج منه الفطران<sup>(٨٤)</sup>. والرنف شجر ينبت في الجبال، ويكثر في شبه الجزيرة العربية، تنضم أوراقه إلى فضيانه بالليل وتنتشر بالنهار، وهو طيب الرائحة، ويُعرف أيضاً بالسوجر. ويستخرج من شجر البسنعور الذي ينبت في السراة المساويك، ومساويك البسنعور أشد إنفاة للأسنان وتبييضاً لها من غيرها. والصور شجر ينبت في الجبال، ويصنع من عيدانه القوية القسي. والضرو نبات ضخيم له خشب جيد، يستخدم في أعمال التجارة، وتصنع منه الآنية المنزلية،

(٨٣) حوام السلي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها... ص ٦ و ١١ و ١٥ و ١٧ و ٢٤.

Diodorus Siculus: Library of History... Bk2, P51.

Strabo: The Geography of Strabo... Bk16, P361.

نور عبد الله الغلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ٧٩.

ويدخل ورقه في صناعة العطور، ويستخدم خشبه وصمغه الذي يدعى الكمكم كبخور<sup>(٨٥)</sup>.

ومنها الطيان الذي له أزهار عطرية، وهو الياسمين البري الذي يمتاز بساقه الغليظة وشوكه الكثيف، ويرب الدمن في بلاد العرب بالطيان، ويدبح بورقه فيقال أديم مطيان، وينبت في أعالي الجبال ويحتطب، ويقال لموضعه الذي يكثر فيه مطيان ومظواه. ويظهر المظ ويثمر في جبال السراة، ولا يحمل ثمرأ، ويؤتى النحل عليه، وله حطب من أجود الحطب وهو رمان الير. والرقم نبات تروعه الأغنام، وهو أشبه ما يكون بالمرخ في أغصانه وورقه، وترتفع شجرته أطول من القامة، ويستظل بها، وحطبه من أجود أنواع الحطب. ويسمو الآس بكثرة في السهل والجبل، وخضرته دائمة، ويكبر حتى يصبح شجرة عظيمة، وفيل هو الرند<sup>(٨٦)</sup>. والقان شجر ينبت في جبال تهامة، ويصنع منه القسي، وكان يصدر إلى خارج شبه الجزيرة لجودته. ويسمو شجر الأذخر في الأرض الصلبة والسهلة، وفي حضيض الجبال المشرفة على سهول تهامة، وهو نبات طيب الرائحة، يدخل في صناعة الطيب، ويستخدم خشبه في تسقيف المنازل<sup>(٨٧)</sup>.

ومن أشجار شبه الجزيرة أيضاً شجر الكندر الذي هو من اللبان، ويقال له: العقل، وهو أنواع: منه العربي ومنه الهندي ومنه مقل مكبي، وينبت في المرتفعات مثل: مرتفعات طقار، وجل قهوان في عمان، وفي الشحر وحضرموت واليمن. وشجر سباع الذي هو شجر اللبان أيضاً، له صمغ مثل الكندر، يستخرج من الشجرة بعد تشقيق لحائها، ويجمد عند ملاسته

(٨٥) الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٢٨١ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٩١. محمود شاكر: شبه جزيرة العرب، غدير، المكتبة الإسلامية، دمشق ١٩٧٦، ص ٣٧. الديباضي: معجم أسماء النباتات... ص ٦٤ و ٩٠ و ٩٢ و ٩٣.

(٨٦) الأصمعي: كتاب النبات، ٢٢ و ٢٣ و ٣٦. الديباضي: معجم أسماء النباتات... ص ٨ و ٦٢ و ١٤٥. الجاسر: في سراة غامد وزهران، ص ٢٨٨.

(٨٧) عمر بن بحر الجاحظ: البصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني. عبد الوهاب، دار الكتاب، دمشق (لا تاريخ)، ص ٤٥. عبد الله يوسف القيم: جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري، ص ١١٨.



الهراء<sup>(٨٨)</sup>. وشجر الصندل الأبيض الذي يشبه الصندل الهندي، وخشبه معروف وله رائحة طيبة. ويشبه شجر الكاذي شجر النخل في أقصى بلاد اليمن، ويُصنع من طلعته الدهن، ويُترك حتى يأخذ الدهن ريحه<sup>(٨٩)</sup>. أنا الشام فهو شجر عطر الرائحة طيب الطعم، يُدق ورقه ويخلط مع الحناء، وله حب أحمر تُصنع به الثياب. ويُشاك بأغصانه، ويُعرف بالبلسم المكي، وبالعمر الحضرمي، ومنه ما ينبت في جبال نجد، ومنه ما ينمو في السراة، كما ينمو في جنوب شبه الجزيرة. والسنط شجر يُستخرج منه اللبان العربي<sup>(٩٠)</sup>.

ومن نباتات شبه الجزيرة العربية أيضاً: العُثم وهو الزيتون البري، والحماط وهو الثبن الجبلي، والشَوْحَط الذي تُؤكل ثماره الشبيهة بعنقود العنب، والأراك الذي يُشاك بفروعه، والعرفج الذي يعطي رائحة طيبة، والندغ وهو الصعتر البري، والحوك - الباذروج وهو بقلّة طيبة الرائحة، والحبث البري، والشوري الذي ينبت على سواحل البحر الأحمر، والسماق الذي ينبت في بلادنا ويسميه أهل الحجاز الضمخ وأهل نجد العرتن، والطرف الذي يُستخدم في حشو الوسائد والمساند، والزقوم وهو من نبات البادية يُعطي بعض أنواعه ثمرًا كالتمر ويُصنع من نواته دهن عظيم النفع، والأقحوان وهو البايونج أو القِرَاص له رائحة طيبة، والأرجل الذي ينبت بالرمل ويعطي رائحة طيبة، والكحل الذي ينبت في السهول وترعاء النحل، والوُزس الناهي الذي يُزرع سنة ويبقى عشرين سنة ويُتخذ منه الأصباغ التي تضعها النساء على وجوهها وتصنع

(٨٨) جمال الدين بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت (٧ تاريخ)، الجزء الخامس ص ١٥٣، والجزء الثامن ص ١٧١.

(٨٩) الحسن الهندي: صفة جزيرة العرب، ص ٣٥. أبو الفتح جمال الدين بن يعقوب بن الجياد: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز المسماة بتاريخ المستنصر، اعتنى بطبعه أوسكر لونغرين، مطبعة بريل، ليدن ١٩٥١، ص ٨١ و ٩٦.

(٩٠) الأصبهي: كتاب النبات، ص ٤.

Charles Froster: The Historical Geography of Arabia, vol I, Draft Publisher, London 1984, P151.

الديماطي: معجم أسماء النباتات... ص ٤٤.

به الملابس، والخطر وهو نبات يُختضب به ويخلط مع الحناء، والحناء نبات معروف يستخدمه الناس في الخضاب، والحنظل والبرسيم والأشنان والسنا والخُرَاس وشقائق النعمان... الخ<sup>(٩١)</sup>.

### ٣ - الثروة الحيوانية:

تتميز الجغبة التاريخية، التي تبدأ من الألف الثامن قبل الميلاد وتنتهي في الألف الثاني قبل الميلاد، بسمات حضارية بارزة في شبه الجزيرة العربية مثل: تدجين بعض الحيوانات وظهور الزراعة وصنع واستعمال الأواني الفخارية. ويبدو أن سكان شبه الجزيرة قد دجنوا في هذه الجغبة أنواعاً عديدة من الحيوانات والطيور، منها ما اتخذوه وسيلة نقلهم كالجمال والحمير، ومنها ما استفادوا من لحمه ولبنه وبيضه، وصنعوا من فرائه وشعره وبره الكثير من ملابسهم وحاجياتهم كالخيام والبط وبيوت الشعر وغيرها<sup>(٩٢)</sup>.

ومن أشهر حيوانات شبه الجزيرة الإبل التي يعود وجودها فيها إلى زمن بعيد، وقد كان هذا الوجود يزيًا في البداية كما يظهر من الرسوم التي تحكي قصة صيده<sup>(٩٣)</sup> وكان الإنسان العربي يصطاد الحيوانات والطيور البرية ليستغلها في الأمور الدنيئة، كاصطياد الوعل (التيس الجبلي) والبقر الوحشي لتفديتها قرابين للآلهة<sup>(٩٤)</sup>. كما كان يصطادها ليتنفع بلحومها وجلودها، فكان يصطاد الفهود والنمور والأسود للاستفادة من جلودها في الصناعات، ويصطاد النعام

(٩١) الأصبهي: كتاب النبات ٣٧، الحسن الهندي: صفة جزيرة العرب، ص ٦٣ و ٣٦٠، الجاحظ: البصير بالتجارة، ص ٣٥، غرام السلي: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، ص ٦٥ و ٦٩، ٢٧، ٤٧، ٦٣، الديماطي: معجم أسماء النباتات... ص ١١، ١٣، ١٧، ٦٨، ١٥٠، ١٧٠، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري: كتاب النبات باعتناء محمد خير الله، الجزء الثاني، نشر المعهد العلمي القرشي للأبحاث الشرقية، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٢٧، ١٤٦، ١٦٣، ٩٣، ١٢٨، ١٧٢، ٢٠٧، ٢١٤، ٢٥٠، ٢٨٠، ٣٢٥، ٣٥١.

Western Arabia and the Red Sea, PP194-195.

(٩٢) محمد عبد التميم: آثار ما قبل التاريخ وقبره... ص ٥٩ و ٦٠.

(٩٣) R.T.Wilson: The Camel, Longman, London 1984, P5-10.

(٩٤) نورة عبد الله الغلي التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٨٧.

التي تظهر صورها في الكثير من الرسوم والزخارف، ليستفيد من ربايتها، وليصدها إلى خارج شبه الجزيرة، وقد استعمرت هذه التجارة وانجذبت حتى العصور الإسلامية<sup>(٩٥)</sup>.

وكانت تعيش في براري شبه الجزيرة أيضاً حيوانات كثيرة من أكلة الأعشاب، منها: الغنزال، والماعز الجبلي، وحمر الوحش وإنتها، وثيران الوحش وبقرها، والأرانب، والأبائل<sup>(٩٦)</sup>. كما كانت تعيش حيوانات مفترسة مثل: الضبع، والذئب، والثعلب وبنات آوى والأسد والثعلب والفهد<sup>(٩٧)</sup>. وهناك الضب، والنور، والفنغد، والفطراء، والبوزخ، والمربوع، والحرباء، والهز البيزي، وهناك الحيات والمقارب<sup>(٩٨)</sup>.

وقبل تدجين الطيور كان يعيش في البراري: الدجاج، والأوز، والبط، والحمام، كما كانت تعيش طيور كاسرة وغير كاسرة مثل: العقاب، والنسر، والصقر، والبازي، والرخم، والحياري، والبوم، والغراب، والذراج، والنعام، والفهد، والفطاء، والفيرة، والعصافير...<sup>(٩٩)</sup>.

وانتشر الجراد والنحل في أقاليم شبه الجزيرة، واشتهرت بعض مناطقها، وخاصة وادي جرودا وجبل العود وجبل حضور، بجودة عسلها منذ القديم. وتحدث الهنّداني بإسهاب عن عسل جنوب شبه الجزيرة، فذكر أنّ جبل هنوم

(٩٥) الأصفهاني: بلاد العرب، ص ١١٩. الجاحظ: البصر بالتجارة، ص ٣١.

Albert Jamme: Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilgis (Marib), Johns Hopkins, Baltimore 1962, P245, 264.

(٩٦) نوري القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، بيروت ١٩٧٠، ص ١٢٣.

(٩٧) الحسن الهنّداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٢٧ و ٢٠٢، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري: شرح أشعار الهلاليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الجزء الأول، القاهرة ١٩٦٥، ص ٣١٩.

(٩٨) نوري القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ١٧٧ و ٢١٧.

(٩٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ١١٧. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، بيروت ١٩٦١، ص ٣١ - ٣٥. نوري القيسي: المرجع السابق، ص ٢١٧.

أكثر بلاد الله عسلاً<sup>(١٠٠)</sup>. كما تحدث الرحالة الأوروبيون عن عسل شبه الجزيرة، فذكر داوودي أنّ أهالي خيبر يجلبون العسل من المرتفعات الغربية منهم<sup>(١٠١)</sup>. وذكر ويلستيد أنّ خلايا النحل كانت توجد في كهوف المرتفعات الغربية وأنّ تحللها يتغذى من أزهار المواد العطرية<sup>(١٠٢)</sup>.

وكانت تعيش في البحار المحيطة بشبه الجزيرة العربية أنواع كثيرة من الأسماك، أبرزها القرش المفترس الذي يُعرف باسم «كلب البحر»<sup>(١٠٣)</sup>.

#### ٤ - الثروة المعدنية:

تميزت طبيعة بلاد العرب منذ القديم، بغنى ثروتها الباطنية، فإلى جانب الخامات النفطية التي اكتشفت حديثاً، فإنّ أراضي شبه الجزيرة كانت تحوي عدداً من المعادن التي عمل الإنسان العربي على استخراجها وتعبئتها، واستخدامها في قضاء بعض حاجاته منذ فجر تاريخه، والتي صدر ما فاض من خاماتها إلى الخارج، وأدخل بعضها في صناعاته المختلفة. وقد أشارت المصادر القديمة، من يونانية ورومانية وعربية، إلى هذه المعادن وأماكن وجودها، واكتشفت البعثات الأثرية الحديثة بعض مناجمها، وبعض المعامل التي كانت تتم فيها عملية التعدين؛ فأحصت هذه البعثات ما يقارب الأربعين مركزاً في عُمان وحدها، مما يدلّ على أهمية وغنى هذا الإقليم، وعلى الرقي الذي بلغه العرب في ذلك الحين<sup>(١٠٤)</sup>.

ومن أبرز معادن شبه الجزيرة التي عرفها العرب في القديم:

١ - النحاس: الذي بدأ استخراجه منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وتشير

(١٠٠) الحسن الهنّداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٤٧ و ٢١٥ و ٢٥٧.

(١٠١) Charles Doughty: Travel in Arabia Deserta, vol2, P108.

(١٠٢) J.R.Wellsted: Travel in Arabia, Akademisch Druck Uverlagsanstalt, Graz 1978, P256.

(١٠٣) نوري القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٢١٧. عمر فروخ: تاريخ الجاهلية، ص ٣٥.

(١٠٤) Weisgerber, G.: Evidence of Ancient Mining Site in Oman, vol.4, the Ministry of information and culture, Oman 1978, PP15-28.



الدراسات الأثرية إلى أن مناجم النحاس كانت منتشرة بكثرة في عُمان ونجران خاصة، وفي منطقة جنوب شبه الجزيرة عامة<sup>(١٠٥)</sup>.

ب - الحديد: بقل وجود خام الحديد في أراضي شبه الجزيرة العربية، ولكن بقايا المصنوعات الحديدية المحلية تدل على وجوده واستخراجه من بعض أقاليمها وخاصة من مرتفعات اليمن<sup>(١٠٦)</sup>.

ج - الرصاص: يكثر وجوده في جنوب شبه الجزيرة، وكانت تُصنع منه المسامير التي استُخدمت في تثبيت القطع الحجرية في أساسات أعمدة الأبنية<sup>(١٠٧)</sup>.

د - الذهب والفضة: يتوفر وجودهما بكثرة في بلاد العرب، وقد اكتشفت بعض مناجمهما في مناطق كثيرة من شبه الجزيرة وخاصة في منطقة الساحل الغربي واليمن. وكان معدنا الذهب والفضة بتصدران قوائم صادرات العرب، كما كانا بتصدران أيضاً لوائح النفود والسلع التي كانت القبايل العربية تدفعها كجزية أو مديا إلى ملوك آشور وبابل وبلاد الشام. وكان هذان المعدنان يُستخدمان في تزيين البيوت وصناعة الأنية والحلي والعربات وغيرها<sup>(١٠٨)</sup>. وقد أكد الكتاب الإغريق والرومان على وجود الذهب والفضة في شبه الجزيرة كمادة خام وكبادة مصنعة، فتحدث أجتار شيدس ودبودريس وغيرهما عن ذهب شبه الجزيرة وصفاته ووفرتها مما جعل شعوبها يقايضون به معادن أخرى أقل قيمة منه<sup>(١٠٩)</sup>.

(١٠٥) ثروة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ٨٩.

(١٠٦) الحسن الهنذلي: صفة جزيرة العرب، ص ٣١٤. الحسن الأصفهاني: بلاد العرب، ص ٢٢٦.

(١٠٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب... ج ٧، ص ٥١٦.

Western Arabia and the Red Sea, P527.

(١٠٨) الحسن الهنذلي: كتاب الجوهريين المتيقنين المالعنين، الصفراء والبيضاء، تحقيق كريم

لوزل، الطبعة الثانية، وزارة الإعلام والثقافة اليمنية، صنعاء ١٩٨٥، ص ١٢٢ - ١٢٤.

(١٠٩) Diodorus Siculus: Library of History... Bk2, PP49-50. Strabo: The Geo-

graphy of Strabo... Bk16, P349. Pliny: Natural history... BK6, P451.

ه - الكبريت: كانت مواطنه في جنوب شبه الجزيرة وخاصة في منطقة زمار، وكان في اليمن عيون جارية ذات مياه كبريتية. ويروى أن العرب كانوا يطلون الجمال بالكبريت مخلوطاً بالدم<sup>(١١٠)</sup>.

و - الإسفلت: كان العرب يستخرجونه من بحر الميت، فيدخلون فسلماً منه في صناعاتهم، ويصدرون القسم الآخر إلى الخارج. ويبدو أن الأنباط قد سيطروا، منذ ظهورهم في شمال شبه الجزيرة، على مصادره وتجارته حيث كانوا ينقلونه إلى مصر<sup>(١١١)</sup>.

ز - الملح: يوجد الملح في أراضي شبه الجزيرة العربية على شكل مناجم مطمورة داخل الأرض، مثل مناجم شبوة وحضرموت وتيماء وبرك جنوب القنفذة وأبو عريش، كما يوجد في السبخات المنتشرة في شمال وشرق ووسط شبه الجزيرة، وفي البحار المحيطة بها<sup>(١١٢)</sup>.

#### ٥ - الثروة الحجرية: الأحجار الكريمة والمقالع:

إلى جانب هذه المعادن كثر في أراضي شبه الجزيرة العربية وجود عدد من الأحجار الكريمة التي استخرج العرب كميات منها للتصدير وكميات أخرى للصناعة المحلية، كما كثر وجود مقالع من الأحجار الجيدة التي قُطعت واستُخدمت في البناء وفي بعض الصناعات، مثل: الأحجار الصابونية، والحجر الجيري، وحجر المسن، وحجر الكحل، والغرانيت، والبازلت، والمرمر، والديواريت، والبروم<sup>(١١٣)</sup>.

أما الأحجار الكريمة التي نعرف إليها الإنسان العربي واستخرجها من أراضي فهي:

(١١٠) ابن مغازي: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز... ص ١٩٠، جواد علي: المفصل في تاريخ العرب... ج ٧، ص ٥١٧.

(١١١) Diodorus: Library of history... Bk2, P48. Western Arabia and the Red Sea, P527.

(١١٢) الحسن الهنذلي: صفة جزيرة العرب... ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(١١٣) ابن مغازي: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز... ص ١٩٩، وما بعدها...

أ - العقيق: الذي يكثر وجوده في اليمن وخاصة في مقراً قرب صنعاء، والذي يكثر أيضاً في حضرموت وخاصة في جبل شبام. والعقيق أنواع منه الأصفر ومنه الأحمر، وأجود أنواعه الشديد الحمرة الذي يُرى على سطح شبه الخيوط<sup>(١١٤)</sup>. ويبدو أن العرب قد تعرفوا إلى العقيق واستخرجوه من شبه جزيرةهم منذ القرن الرابع قبل الميلاد<sup>(١١٥)</sup>.

ب - البقران: ويُعد البقران الذي يُستخرج من شبه الجزيرة، وخاصة من جبل أنس في جنوبها من أجود الأنواع. ويمتاز النوع الجيد بلونه الذي يكون له عرق أحمر وفوقه عرق أبيض وفوقه عرق أسود<sup>(١١٦)</sup>.

ج - الزمرد: يكثر وجود الزمرد في إقليم الحجاز وخاصة في أرض غير وأرض هدية ويرة العرب<sup>(١١٧)</sup>.

د - الدهنج: وهو من الفصوص الثمينة كالزمرد، ومن موطنه حرة سليم وحرة النار، ومن أجود أنواعه العُدس، وتُخذ الفصوص من حجره الأخضر<sup>(١١٨)</sup>.

هـ - الزبرجد: وهو حجر شديد الصلابة، يوجد في شبه الجزيرة بين العونيد والمحوراء، ومن ألوانه البردي والأحمر والأخضر، ويُعد الحجر الأخضر من أفضلها جودة<sup>(١١٩)</sup>.

و - الجزع: ألوانه كثيرة منه: الأسود والأبيض والأزرق السماوي،

(١١٤) الجاحظ: النضر بالتجارة، ص ٢٠. الحسن الهنتاتي: الإكليل، تحقيق محمد بن علي الحسن الأكرج، الجزء الثامن، مكتبة الكاتب العربي، دمشق ١٩٧٩، ص ١٧٥.

(١١٥) Pliny: Natural history, Bk6, P237.

(١١٦) الحسن الهنتاتي: الإكليل، ج ٨، ص ٧٦. وصف جزيرة العرب، ص ٣٦٣.

Pliny: op.cit, Bk37, P233.

(١١٧) يحيى بن حسان: كتاب الجواهر وصفاتها، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧، ص ٥٥.

Strabo: The Geography of Strabo..., Bk16, P352.

(١١٨) ابن حسان: المصدر السابق، ص ٦.

(١١٩) القتيبي: الجزيرة العربية في كتاب المسالك والمعالك، ص ١٢٤.

Pliny: Natural history, Bk37, P251.

واشتهرت به ظفار اليمن حتى نُسب إليها، وكان يُستعمل على هيئة فصوص لتزيين الحلى كالخواتم، وقد ذكره بلينيوس في تاريخه وعده من أحجار شبه الجزيرة العربية الكريمة<sup>(١٢٠)</sup>.

ز - العشاري: وهو حجر سماوي اللون يشبه حجر الجزع، ويكثر وجوده في وادي عشار جنوب غربي صنعاء<sup>(١٢١)</sup>.

ح - السعوانية: وهو فص أسود عرقه أبيض، توجد أحجاره في شهار وعيسن، وفي حاشد من أرض همدان، وفي وادي سعوان قرب صنعاء<sup>(١٢٢)</sup>.

ط - الجرتي: وهو حجر لونه أسود وأخضر، تُصنع منه نصب السكاكين<sup>(١٢٣)</sup>.

ي - الجشمت: يُشبه الياقوت البنفسجي، وبعضه مغشى بالبياض كالثلج، وعلى وجهه حمرة، كان يُستخرج من أرض الصفراء قرب المدينة، ومن حولان في جنوب شبه الجزيرة، ومن البراء عاصمة الأنباط<sup>(١٢٤)</sup>.

ق - الياقوت: كان يجلب من أرض جزيرة تقع في البحر الأحمر<sup>(١٢٥)</sup>.

ل - الشب: هو عبارة عن كيرينات مزدوجة متبلورة من البوتاسيوم والألمنيوم، ويوجد في جبل أسبيل من ديار عس من منبج، وفي جبل الأشقر، وأجود أنواعه البعاني<sup>(١٢٦)</sup>.

(١٢٠) الحسن الهنتاتي: صف جزيرة العرب، ص ٣٦٣.

(١٢١) الحسن الهنتاتي: الإكليل ج ٨، ص ٧٥.

(١٢٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(١٢٣) المصدر نفسه.

(١٢٤) المصدر نفسه.

Pliny: Natural history..., Bk37, P263.

Pliny: op.cit, PP237, 251. (١٢٥)

(١٢٦) حمد الجاسر: أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المراجع، ص ١٨٩.



## الإنتاج الزراعي ورعي الماشية في بلاد العرب قبل الإسلام

مارس العرب في بواديهم وسهوبهم حياة الرعي وتربية الماشية على أنواعها، وخاصة الإبل والغنم والخيول، ومارسوا في مدينتهم وقراهم حياة الزراعة والصناعة والتجارة، وأثرى البعض منها ثروة فاحشة.

وفي الفترة الزمنية التي قارب عمرها العشرين ألف سنة، والتي أعقبت الطور الجليدي الرابع، استفاد العرب وقتذاك من وجود المناخ الرطب ووفرة المياه، واستغلواهما في تنمية وتكوين اقتصاد زراعي متطور. ففي هذه الدورة التاريخية، أخذ سكان شبه الجزيرة العربية ينتقلون تدريجياً من طور الفئص والصيد، إلى طور الفلاحة والزراعة الذي يعتمد على أماليب الري، للحصول على قوتهم اليومي. فأرسوا بذلك قواعد لمجتمعات مستقرة تقوم على إنتاج المحاصيل الزراعية على اختلاف أنواعها وخاصة الحبوب<sup>(١)</sup>.

ونشير كثير من العلماء إلى الدور المهم الذي لعبه العالم العربي في تأسيس أقدم مدينة تقوم على الزراعة والرعي وتربية الماشية. ومن هؤلاء المؤرخ توينبي الذي يقول: «يمكننا القول بشيء من الثقة بأن الزراعة وتربية الماشية والتعدين وأيضاً تقنية قلع قطع كبيرة وثقيلة من الحجر ونقلها، هذه كلها قد اخترعت للمرة الأولى في جنوب غرب آسية وهي رفعة النقل الرئيسية في الجزء المعروف بالعالم القديم من الأويكومين. وباستطاعتنا حتى تحديد الرفعة في المنطقة بشكل أدق. إنها لا تشمل الجزيرة العربية، إلا في زاويتها الجنوبية. إذ

(١) أحمد مرسومة: حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، بغداد، لا تاريخ، ص ٦٤.

أنه لما كانت الزراعة وتربية الماشية في طريق اختراعهما كان الجزء الأكبر من الجزيرة العربية، بما في ذلك طرفها في أقصى الشمال، وهو يادية لاشام اليوم، قد أصبح جافاً بحيث لم يكن مسرحاً ملائماً لتدجين النبات والحيوان. والزاوية الجنوبية من الجزيرة العربية هي الجزء الوحيد الذي ظل خصباً بسبب الأمطار الموسمية. وهذه الزاوية من اليمن عزلتها عن غيرها تشقق بقية الجزيرة العربية قبل اختراع السفن البحرية وتدجين الجمال العربي. ويتابع توينبي:

«إن مهد الزراعة وتربية الماشية والتعدين في منطقة جنوب غرب آسية لم تشمل الغرين الذي حملته نهرا دجلة والفرات في مجريهما الأدنىين. . . ومن الناحية الثانية، فإن المنطقة التي اخترعت فيها الزراعة وتربية الماشية والتعدين لأول مرة كانت تشمل، إضافة إلى الجزيرة الفراتية وسورية ولبنان وفلسطين، جزءاً على الأقل من جنوب آسية الصغرى وغرب إيران وتركمنستان. والحبوب والحيوانات التي دُجنت في هذه المنطقة، خلال زمن العصر الحجري من تاريخها، كانت موجودة من قبل في حالتها البرية<sup>(٢)</sup>.

وفي ذلك يقول ول ديورانت: «إن الحضارة - وهي هنا زراعة الحبوب واستخدام الحيوانات المستأنسة - قد ظهرت في العهود القديمة غير المدونة في بلاد العرب، ثم انتشرت منها إلى صورة مثلث ثقافي إلى ما بين النهرين (سومر وبابل وآشور) وإلى مصر<sup>(٣)</sup> كما انتشرت بواسطة تجار ومغامرين ورعاة إلى الأقاليم والمناطق الأخرى التي انتقلت بدورها من حياة العصر الحجري القديم إلى حياة العصر الحجري الحديث، وأخيراً إلى حياة العصر الحفلكوليني فالعصر النحاسي فالعصر البرونزي<sup>(٤)</sup>.

(٢) أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، الجزء الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨١، ص ٥٥ - ٥٦.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدوان، الجزء الثاني، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨، ص ١٤.

(٤) أرنولد توينبي: تاريخ البشرية، ج ١، ص ٥٦.

ويرى الباحثون أن أوروبا وأمريكا الشمالية كانتا في العصر الجليدي الأخير، تغطيهما الثلوج وغير مأهولتين بالإنسان، في حين كانت شبه الجزيرة العربية تمتنع بالأجواء الممطرة، وتزدهر فيها الحياة، وتزخر مدنها بالسكان، وتجرى فيها أنهار دائمة<sup>(٥)</sup>. ويؤكد فيلبي (Philby) على أنه وجدت آثار من أصداف المياه العذبة، وبقايا الرواسب النهرية، وأدوات صوانية تعود إلى العصر النبوليتي، ويرى أن الجفاف الذي اجتاح اصقاع شبه الجزيرة العربية، أدى إلى هجرة السكان شمالاً وغرباً، وهذا ما ساعد على قيام أقدم الحضارات في مصر والعراق حسب رأيه<sup>(٦)</sup>.

ويبدو أن أماكن الاستقرار التي تم التنقيب عنها قد ابتدأ عمرها ما بين ١٠٠٠٠ - ٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد مثل أريحا في فلسطين، وما بين ٧٠٠٠ - ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد في أماكن أخرى غير أريحا. كما يبدو لنا أن الانتقال من جمع المواد الغذائية والصيد إلى الزراعة وتربية العاشية تم في واحات تغذيتها الشايخ أو في سهول فيضانية ذات تربة خصبة حملتها الأنهار إلى السهول الواقعة عند أطراف الجبال التي تنحدر منها تلك الأنهار، والتي كانت تروى بطريقة طبيعية من أمطار الشتاء، أو من الأمطار الموسمية كما هو الحال في بلاد اليمن<sup>(٧)</sup>.

وبلاحظ أن للمفرون السابقة لظهور الإسلام في بلاد العرب خصوصيتها المميزة، من حيث منحى التوجهات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. ففي تلك المرحلة تطورت القوى المنتجة وتوسعت أعمال الرعي الاصطناعية وازداد الإنتاج الزراعي وحدث تقسيم جديد للعمل، فانتقلت الحرف الصناعية اليدوية عن الزراعة وارتبط الإنتاج الصناعي بسوق التبادل، ونمت المدن، وتحول العديد من القرى إلى حواضر مدينية، واستغل الموقع الجغرافي لشبه

(٥) حسن خالفا: الساميون ولغاتهم، طبعة مصر، القاهرة ١٩٧١، ص ١٥. طه باقر: علاقات بلاد الرافدين بجزيرة العرب، سوبر ١٩٤٩، ص ١٢٨.

(٦) Philby: The Heart of Arabia, P31.

(٧) تويني: تاريخ البشرية، ج ١، ص ٥٥ - ٥٦.

جزيرة العرب عموماً، وبلاد الحجاز خصوصاً، الذي كان ملتقى للطرق البرية والبحرية، وللمبادلات التجارية، وتطلعت الأسواق الموسمية العامة، ورُتبت أوقاتها مع الأشهر الحرم، وعُقدت الاتفاقات التجارية بين القبائل العربية، وبينها وبين العالم الخارجي، ونشطت التجارة الداخلية والخارجية على حد سواء، وارتبطت أعداد وفئات كثيرة من سكان المدن والبادية بالعملية التجارية، مما أدى إلى قيام تحالفات سياسية قبلية على أساس من المصالح المشتركة والضرورات الدفاعية، ونما الشعور القومي بانتصار العرب على الفرس في يوم ذي قار سنة ٦٠٩ للميلاد، وبطرود الأحياء من اليمن عام ٥٧٥ ميلادية<sup>(٨)</sup>.

## أولاً: زراعة الأراضي:

### ١ - لساليب الزراعة ووسائلها:

عثر علماء الآثار في شبه جزيرة العرب، على بعض الفخار الجاهلية التي حُفرت عليها حيوانات، كالإبل والثيران والحمير، تجر المحراث أمام الفلاح، وتساعد في انتشال الماء من الآبار<sup>(٩)</sup>.

ويبدو أن الزراعة في العصر الجاهلي، كانت تعتمد، في كثير من المناطق، على مياه الري بصورة رئيسة، وخاصة في واحات الحجاز ونجد واليمامة. أما المناطق الزراعية التي تعتمد على مياه الأمطار والري معاً، فهي قليلة ولا سيما في بلاد اليمن وعمان جنوباً.

وكان الفلاح العربي يستخدم المحراث الخشبي، ذي السكة الحديدية في حراثة الأرض وزراعتها، كما كان يستخدم آلات حديدية أخرى كالمنسحاة (المجرفة من الحديد) والفأس والمنجل والمحول والمجرف في الحصاد،

(٨) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الثاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، ص ٦٣ - ٦٤. يروي أن النبي محمد ﷺ قال في وقعة ذي قار: هذا أزل يوم انصف العرب فيه من المجمع وبني كعبوا. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد الأول، دار صادر، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص ٤٨٢ - ٤٩٠.

(٩) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٤٢.



والجبلان (التَّوْزَج) ووسائل أخرى في عملية الدرس، والمهذبة (المهذرة) في فضل الثين (الفش) عن الحب، وكذلك كان المزارعون، في الحقول المروية وفي غياض النخيل والكروم، يستخدمون الحيوان في جز المحراث وفي منع الماء من الآبار، معتمدين في ذلك كله على وسائل وآلات حديثة<sup>(١٠)</sup>.

وكان المحراث عادة يُستخدم في حرثة الأرض الواسعة. أما القطع الصغيرة فتحرت من قبل المزارع بالمعول والمسحاة.

وكان الفلاح يعد أرضه إعداداً كافياً قبل زراعتها. فكان يحراثها قبل سقيها، ثم يحراثها مرة أخرى بعد عدة أيام من ريها، وذلك قبل أن تجف قشرتها الخارجية وتتشفق، ثم يتركها أياماً معدودة، يحراثها بعدها للمرة الأخيرة، وهكذا حتى تصبح خصبة وصالحة ليقر البذور. وتزال المدزجات ذات الثرية الزراعية الضعيفة غير السمكة اهتماماً خاصاً من الفلاح؛ ففي موسم الجفاف يحرت المزارع هذه المدزجات مرتين على الأقل، ويحفرها مسافة متر ويقلب ترابها بالمعول، وقد يجلب لها مزيداً من الثرية من مناطق أخرى؛ ثم يحراثها على شكل شبكي، ثم يعيد حرثتها في موسم الأمطار كي تمتص أكبر كمية من المياه، فيمنع بذلك جفاف قشرتها السطحية، وقد يضطر المزارع إلى الاستمرار في حرثها ليلاً ونهاراً، نظراً لما للحرثة من أهمية في استغلال مياه السيول<sup>(١١)</sup>.

وبعد عملية الإعداد هذه، كانت الأراضي السهلية أو المدزجة تقسم إلى قطع مستطيلة في المناطق التي تعتمد على مياه السيول. أما المناطق التي تعتمد على المياه الجوفية فكانت الأراضي فيها تصمم على شكل أحواض مرزعة أو مستطيلة، وتحفر في محيطها القنوات أو الجداول، ثم يقوم الفلاح بنكش ترابها بالمعول والمسحاة، ويذر الحبوب بيديه؛ وفي بعض الحالات كان يسير خلف المحراث مزارع آخر يتولى غرز الحبوب وطمعها في التراب، وقد يُعلّق

(١٠) ي. أ. بليانيف: العرب والإسلام والتخلف العربية في القرون الوسطى، ص ١١٣.

(١١) جواد علي: المنفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٤٦ - ٤٧.

بالمحراث قمع من الخشب يُملأ بالحبوب، فتساقط هذه الحبوب بالأقدام أثناء الحرثة، ثم تعمل سكة الحديد على طمرها بالتراب<sup>(١٢)</sup>.

وكانت عملية تسميد الأراضي تتم ما بين فترة وأخرى، كي تحافظ الأرض على خصوبتها وإنتاجها، وكان روث الحيوان وفضلات الإنسان من أهم أنواع السماد المستخدم في المصوّر القديمة. وقد يلجأ الفلاح حينذاك إلى إحراق بقايا النباتات والأعشاب اليابسة لتسميد أرضه<sup>(١٣)</sup>.

## ٢ - السدود وأساليب الري:

اعتمد العرب على مياه الأمطار والسيول، وعلى الآبار والبرك والمياه الجوفية لري مزرعتهم، وأنعموا بأساليب شتى لجمع المياه وتخزينها وجرها إلى الحقول حيث المزارع والبساتين. ومن هذه الأساليب ما يقسم باليدانية والبساطة، ومنها ما يدل على براعة وعلم ونطور.

وتحذد البيئة الطبيعية شكل الأسلوب المستخدم في جمع المياه وري المزروعات، فحيث تهطل الأمطار بغزارة بُني السدود وتحفر الآبار وتُجمع مياه السيول لسقي النباتات أيام الجفاف، وفي المناطق التي تتوافر فيها المياه الجوفية تحفر القنوات الجوفية لجر المياه إلى الأراضي العطشى حيث تُسقى الخضار وأشجار الفاكهة<sup>(١٤)</sup>.

وتعود المياه الجوفية في بلاد العرب إلى العصر المطير، ويترشح عمرها ما بين ١٣٠٠٠ - ١٧٠٠٠ سنة، وتنتزع على مساحة واسعة من شبه الجزيرة العربية في حوض الإحساء ونجد، وحوض الأفلاج، وحوض الدواسر.

(١٢) Gingrich, A. and Heiss, J.: A Note on Traditional Agriculture Tools in the Sa'adah Province, Institute of Archaeology, London 1986, P51.

(١٣) جواد علي: مصطلحات الزراعة والري في كتابات المسند، مجلة المجمع العلمي العراقي، المعهد العلمي العراقي، بغداد، المجلد السادس والثلاثون، الجزء الثاني سنة ١٩٨٥.

(١٤) Neil Robert: Water Conservation in Ancient Arabia, Institute of Archaeology, London 1977, P134-140.

بحرانه، وحوض وسط الحجاز، وحوض نبوك العلا<sup>(١٥)</sup>. وتختلف أحواض المياه الجوفية العميقة من مكان لآخر اختلافاً كبيراً من حيث بُعدها عن السطح، وكمية المياه المخزونة فيها وتنوعيتها، ففي المنطقة الوسطى مثلاً يبلغ سمك الطبقة المائية حسبما أوضحت عمليات الحفر التي قام بها الأهالي حديثاً ٦٥ متراً، وبشراوح عمق مستوى سطح الماء فيها (تحت مستوى سطح الأرض) ما بين ٢٣ - ٢٦ متراً، إلا أن اعتماد هذه الطبقات في التغذية على الأمطار يجعل مستواها كثير التغير موسمياً<sup>(١٦)</sup>. وللمياه الجوفية القريبة من السطح أهمية كبيرة في حياة العرب، فعلى المياه المستخرجة منها كانت تقوم الزراعة في معظم مناطق شبه الجزيرة، ولا سيما في المناطق التي يقل فيها معدل تساقط الأمطار عن ١٠٠ ملميمتر سنوياً<sup>(١٧)</sup>. وكانت أنظمة الري التي استخدمها العرب في القديم كثيرة، إلا أن نظام السدود ونظام القنوات كانا أهمها.

#### ١ - نظام السدود:

السّد أو السّد في اللغة هو الحاجز بين الشئين، ويعني أيضاً: الوادي فيه حجارة وصخور يبقى فيه الماء زماناً؛ وجمعه سُدود وسدّة وأسداد، فيقال: ضربت عليه الأرض بالأسداد أي سدّت عليه الطّريق وحُصّيت عليه المذاهب<sup>(١٨)</sup>. وورد في دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني أن السّد مر عبارة عن كفل بناء يمنع فيض المياه الجارية أو السيول. وهو نوعان: نوع يمنع جري المياه، ونوع آخر يمنع انجاسها ويُعرف بالحاجز<sup>(١٩)</sup>.

ومصطلح السّد في القطاع الزراعي هو جدار ضخم كان يُبنى في عرض الأودية لحجز مياه الأمطار والسيول والأنهار والينابيع ورفعها لري الحقول

والبساتين المحيطة بها. وقد عمد العرب إلى بناء الأسداد لضخالة المياه في شبه جزيرةهم التي رغبوا في تطوير زراعتها. فلم يتركوا وادياً يمكن استثمار جانيه بالماء إلا حجزوا ماءه بسدّاً، فتكاثرت السدود تكاثر الأودية حتى تجاوزت المئات. وكان أهل بلاد ما بين النهرين وأهل مصر أول من اشتغلوا في ذلك وعرفوا لزوم إقامة السدود على الأنهار<sup>(٢٠)</sup>.

ولم تكن هذه السدود على نسق واحد، فبعضها كان بسيطاً ومؤقتاً ويُبنى على الأودية الصغيرة الفرعية والشعاب، لتحويل مياه السيول نحو المزارع والحقول. وتختلف أشكال هذه الأسداد وطريقة بنائها من منطقة لأخرى. فمنها ما يكون في وسط مجرى الوادي بحيث تقسم التيار المائي إلى اتجاهين، ومنها ما يقوم على جانب واحد من حافة الوادي ويزايرة مائلة بحيث تحجز مجرى الوادي كله أو تحجز جزءاً منه. وقد تتعدّد أشكال هذه السدود في الوادي الواحد، وتُبنى من الأنربة والحجارة الصغيرة تنحرف مع السيول في كثير من الأحيان، ويُعاد بناؤها في الموسم التالي<sup>(٢١)</sup>.

أما بعضها الآخر فكان يُقام في بعض أقاليم شبه الجزيرة على هيئة حفر ف (٧) الفرسي أو الإنكليزي لحجز التربة والطين المنحرف مع مياه السيول<sup>(٢٢)</sup>.

ولمّا جازب هذين النوعين، كان يوجد في شبه الجزيرة نوع ثالث من السدود، يتميز بالضخامة والقوة والصلاية، ويحتاج إلى أحجار صلبة كثيرة ومواد بناء مختلفة، كما يحتاج إلى أعداد كبيرة من العمال، لذا كانت الدولة تشرف على إنشائه وتنفّس الإنفاق عليه وصيانته<sup>(٢٣)</sup>. وكان الغرض من هذا

(٢٠) لم تعرف أوروبا اختراع السدود إلا في القرن السابع عشر للميلاد. البستاني: دائرة المعارف، ٩٠، ص ٥٣٦.

(٢١) نورة عبد الله الملي التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ١٠٣ - ١٠٤.

(٢٢) J. Dayton: The Problem of climatic change in the Arabian Peninsula, Institute of Archaeology, London 1975, P54.

(٢٣) Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, P87.

M. Evenari: The Negev: The challenge of the desert, P.118.

(١٥) الزويحي: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٩٩ - ١٠٢.

(١٦) المرجع نفسه، ص ٩٩.

(١٧) المرجع نفسه، ص ٩٨.

(١٨) المنجد في اللغة والأعلام، ص ٣٢٦.

(١٩) المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف، المجلد التاسع، دار المعرفة، بيروت، لا تأريخ، ص ٥٣٠.



النوع رفع مستوى الماء في مجرى الوادي وتوجيهه في قنوات إلى مسافات طويلة عبر الأراضي الزراعية لري آلاف الهكتارات<sup>(٢٤)</sup>. كما كان الغرض من أيضاً حجز الماء في برك كبيرة أو آبار واسعة، لاستخدامه وقت الجفاف في سقي الماشية وري النباتات في الحقول والبساتين<sup>(٢٥)</sup>.

ويبدو أن البعثات العلمية الأثرية قد توصلت إلى اكتشاف آثار عدد من السدود في بعض أقاليم بلاد العرب، كان أهمها في إقليم صحراء النقب، حيث أنشأ الأنباط عدداً منها في وادي خرنوب وواي رمليا وواي أبيض<sup>(٢٦)</sup>، ووجدت في إقليم تدمر آثار سدود وقنوات، مثل سد جريف في وادي الكبير<sup>(٢٧)</sup>. كما وجدت في منطقة شمال الحجاز آثار بعض السدود مثل سد وادي المعتدل في العلا، وسدود خيبر والطائف وقرية، وسد وادي رم في وادي حسمي في بلاد الأنباط<sup>(٢٨)</sup>. ومن أشهر سدود خيبر سد قصر البنت (سد قصبة) الذي أقيم في مجرى وادي السلسلة بشكل مائل عن بطن الوادي، وكان هذا السد قد أنشئ من حجارة البازلت الأسود الموجودة بكثرة في المنطقة، وتغطي واجهته طبقة من الملاط، ويبلغ طوله ٣٠٠ متر وارتفاعه ٣٠ متراً، ولم يكن لهذا السد بوابات لإخراج المياه المخزنة فيه، بل كانت تُنقل إلى الأراضي المجاورة بواسطة قناة تمتد إلى مسافة ١٨ كيلومتراً تقريباً<sup>(٢٩)</sup> مما يدل على أنه كان سد تخزين كالبرك الواسعة، لا سد توجيه كسد مأرب.

وُنيت في أقاليم الجنوب والجنوب الغربي من شبه الجزيرة سدود كثيرة تذكر منها سد الجلاء الذي أقيم في مضيق طبعي عند انحدار وادي نجران، والذي يتصل به عدد من القنوات المنحوتة في الصخور لنقل المياه إلى الأراضي

(٢٤) Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, P69-70.

(٢٥) Western Arabia and the red Sea, P160.

(٢٦) Evenari: The challenge of the desert, P119.

(٢٧) نورة عبد الله العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٠٦.

(٢٨) المرجع نفسه، ص ١٠٥ - ١٠٧.

(٢٩) Dayton: The Problem of climatic change in the Arabian Peninsula, P50.

الزراعية المجاورة، وكان عرض القناة الواحدة منها يصل إلى ٩٠ سنتيمتراً، وعمقها إلى مترين، وتمتد إلى مسافة طويلة وتغطي جدارها طبقة من الجص، وتكثر فيها مخارج المياه<sup>(٣٠)</sup>.

وذكر الهخنداني في يحصب العلو من مخاليف اليمن ثمانين سداً، أشار إليها تبع بقوله<sup>(٣١)</sup>:

وبالزيرة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سداً تغذف الماء سائلا

ومن هذه السدود سد عروش لحج، وسد شرجان، وسد فصعان، وسد ربوان (قصاب)، وسد شحران، وسد طمحاء، وسد عباد، وسد سحر، وسد ذي شهال، وسد ذي رعين، وسد نقاطة عند قرية ذي ربيع، وسد نصار وهران، وسد الشعياي، وسد المليكي، وسد النواصي، وسد المهباد، وسد باقيها لطاف، وسد الخائق بصعدة - بناء نوال بن عتيك مولى سيف بن ذي يزن في القرن السادس للميلاد - ومظهره في الحفرين من رحبان، وقد هدمه إبراهيم بن موسى العلوي بعد هدم صعدة<sup>(٣٢)</sup>، وسد ريعان لابن ذي مأذن، وسد سيان. ومن أسداد بلاد عس: سد خيرة، وسد بيت كلاب في ظاهر فمعدان، وآخر في ظاهر دعان، وسد شبام قرب صنعاء على ثمانية فراسخ منها<sup>(٣٣)</sup>. ومن أشهر سدود اليمن سد مأرب الذي نهزم بسيل العرم الوارد ذكره في القرآن الكريم، وستناول هذا السد بالدراسة والتفصيل كنموذج لأسداد شبه الجزيرة العربية.

غير أن نظام السدود هذا، كان يتطلب عناية وصيانة دائمتين من الدولة والأفراد، ليس فقط للأبنية التي يتألف منها السد، بل لكل شبكة الري التي تنفزع عنه، ابتداء من السد وانتهاء بالأرض الزراعية التي تسقى من مياهه. ذلك

(٣٠) S.J.H. Philby, The Land of Sheba, Geographical Journal, Royal Geographical Society, London 1938, P16. J. Dayton: A discussion on the Hydrology of Marib, Institute of Archaeology, London 1979, P125.

(٣١) الحسن الهخنداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٧٣.

(٣٢) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠١.

(٣٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٠ - ٢٠١.

## سنة مارب:

شُيِّدَ سِنْدُ مَارِبَ فِي وادي أذنة الذي يقع بين جبلي أيلق القيلي (الأسمن) وأيلق الأوسط (الأسمر)، وتنتج عن هذه روافد من ذرار وجهران وخولان وبلاد مراد وردمان وغيرها<sup>(٣٨)</sup>. ويبعد هذا السند عن مدينة مارب أكثر من ثلاثة أميال حيث توجد المدينة على حافة الوادي الشمالية<sup>(٣٩)</sup>، ويوجد محرم بلقيس<sup>(٤٠)</sup> على الضفة المقابلة.

ويُبعد جبلا أيلق فرعاً من جبل السراة الذي يقع في الجهة الجنوبية - الغربية من مدينة مارب، والذي هو عبارة عن سلسلة جبال، تمتد منات من الأميال نحو الشمال - الشرقي، وبين هذه الجبال أودية تصب في واد كبير، يُعبر عنه العرب بالميزاب الشرقي (جميع ميازيب)، وهو قناة يجري فيها الماء تمييزاً له عن ميزاب موداء أعظم الأودية الغربية في بلاد اليمن المشغية من جبل السراة المذكور.

وتنحدر شعاب الميزاب الشرقي الكثيرة، وتصب في مصابها نحو الشمال - الشرقي، وأشهر مواقعها وجبالها: في ناحية رداغ العرش وردمان وقرن، والجبال المشرفة على سوق، وفي ناحية دمار بلد عرس، وهو بخلاف (كورة من اليمن) واسع وبه بيتون وهكر، وفيها المحافد العنسية وبلد كومان وبلد الحداء، وجبل أسبيل ورجمة، وجبال بني وايش من مراد وغيرها، وبخلاف ذي

(٣٨) الحسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣٩) تقع مدينة مارب في الجهة الجنوبية - الشرقية من صنعاء. ويقال أن مارب هي بلاد الأزده وقيل أيضاً هي اسم قصر، وقيل هي اسم لملك سبأ عبد شمس الملقب بسبأ.

محمد لمريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثامن، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت ١٩٧١م، ص ٤٠٧ - ٤٠٨.

(٤٠) يقع محرم بلقيس في الجهة الجنوبية - الشرقية من مارب، وعلى مسافة تصف ساعة منها، وهو غير قصر بلقيس، ويظهر من بقاياها أنه أعطي الشكل، طوله من الشرق إلى الغرب، ومحيطه ٣٠٠ قدم، وبني حوله سور له باب في الجهة الشمالية وباب في الجهة الجنوبية. وعلى السور نقوش كتابية بالحرف المسند يستدل منها أن المكان كان هيكلاً للعبادة.

يجري زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٩٣ - ١٩٤.

أن هذا النظام كانت تواجهه عوائق كثيرة، منها ارتفاع مستوى الحقول الزراعية مع مرور الزمن، نظراً لما تحمله السيول إليها من أتربة وطمي، بحيث تصبح القنوات غير صالحة لرفع المياه إلى هذه الحقول، مما يجعل القلاع مضطراً إلى رفع القنوات القائمة أو شق قنوات جديدة. وأيضاً قد يُسبب ارتفاع مستوى الحقول عن مستوى القنوات إلى ترسب الطمي في القنوات ممّا يؤدي إلى انسدادها، ومن ثم إلى توقف جريان الماء فيها. كما أن ترسب الطمي أمام السد يعرقل سرعة جريان الماء، نظراً لارتفاع سطحه، فلا بد وقتئذ من رفع يده السد كلما ازداد مستوى الطمي المترسب في قاع الوادي<sup>(٤١)</sup>.

هذه العوائق وغيرها كانت تؤدي، إذا لم يقم المزارعون أو الدول بإزالتها، إلى تعطيل عملية الري، ومن ثم إلى الجفاف وبياس المحاصيل، يعقبها هجرة الناس إلى مناطق زراعية جديدة أكثر خصباً. وقد حدث ذلك في بعض أنظمة الري الكبرى مثل أنظمة ميفعة والبريزة وبيحان وحريصا ومارب<sup>(٤٢)</sup>. وهناك من يرى أن قلة الأمطار وفترة الجفاف التي أعقبت العصر المطير في شبه الجزيرة كانت السبب في تصخر أجزاء كثيرة من بلاد العرب وبالتالي هجر السدود والحقول المحيطة بها التي كانت في السابق مناطق زراعية خصبة ومنتجة<sup>(٤٣)</sup>. ويبدو أن الاضطرابات السياسية التي أخذت تلوح في بعض أقاليم شبه الجزيرة العربية منذ القرن الثالث الميلادي قد ساعدت في إهمال الكثير من مشاريع الري التي كانت تقوم على دعم السلطات الحاكمة. فآذى ذلك إلى تدهور أنظمتها مع مرور الزمن<sup>(٤٤)</sup>.

(٤١) Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, P66, 72.

نورة عبد الله العلي التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٠٥ - ١٠٦.

B.Doe: Monuments of Southern Arabia, Falcon Olender, London 1983, (٣٥) P186.

نورة عبد الله العلي التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٠٦.

Dayton: The Problem of climatic change in Arabia, P45. (٣٦)

V.Kedar: Water and Soil from the Desert, Geographical Journal, Royal Geographical Society, London 1957, P181-182. (٣٧)



جرة وجهران ومهران، ومساقط بلد خولان من جنوبيه وما نيامن من القحف<sup>(١١)</sup>.

وحين تتساقط الأمطار في تلك النواحي تتجمع السيول وتندحر في الأودية المنتشرة هناك، حتى تنتهي أخيراً إلى وادي أدنة الذي يعلو ٦٦٠٠ متر عن سطح البحر، فتسير فيه المياه من الجنوب - الغربي إلى الشمال - الشرقي، ثم تصل إلى مكان ضيق، يقع بين جبلي أبلق المذكورين اللذين يستقيهما الهنذلي مأزمي مأرب، لأن المسافة بينهما لا تتعدى ٦٠٠ ذراعاً<sup>(١٢)</sup>.

وفي الجهة الشمالية - الشرقية، وعلى بعد ١٥٠ ذراعاً من هذا المضيق أقيم سد مأرب الشهير الذي هو عبارة عن جدار ضخيم بناه السبئيون في عرفة الوادي لغرضين:

الأول: حماية مدنهاهم وقراها من فيض السيول التي كانت تزيد عن حاجة الناس حينذاك، فبناهم من أذاها أكثر مما ينالهم من نفعها، حيث كان السيل: «ينحدر من أعالي الجبل هابطاً على رأسه حتى يهلك الزرع ويسوق له جفاته البناء» على حد ما قاله المسعودي<sup>(١٣)</sup>.

الثاني: اختزان المياه ورفعها وتوزيعها على قدر الحاجة لري ما يجاور مدينتهم من الحقول<sup>(١٤)</sup> والسفوح الجبلية التي كانت تظهر بعد انقراج جبل أبلق واتساع الوادي، وتتألف مساحة من الأرض (حوالي ٣٠٠ ميل مربع)، كانت جرداء قاحلة، فتحوّلت، بعد إقامة السد وحجز المياه، إلى غابات وسانين ملأى بالخضار وأشجار الفاكهة<sup>(١٥)</sup>.

(١١) الحسن الهمداني: صفوة جزيرة العرب، ص ٨٠.

(١٢) زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٥.

(١٣) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الثاني، ص ١٨٢.

(١٤) حُقُول: مفردها حَقْل، وهي الأرض الطيبة الصالحة للزراعة، وتقابلها الصحائل: ومفردها السَّحْلَة، وهي الحقل قد ذرع. المسجد في اللغة والأعلام، ص ١٤٥.

(١٥) زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٦.

ويروي المسعودي أن ملك سبأ، حينذاك، كان يقرب الحكماء ودينهم ويؤثرهم ويحسن إليهم، ويلجأ إلى آرائهم في الملطات، ويأخذ بأفكارهم ومعارفهم عندما يريد معالجة قضية، فجمعهم من أقطار الأرض، وشاورهم في دفع ذلك السيل وحصره؛ فاجتمعوا رأيهم على عمل مصارف للسيل إلى براري تقذف به إلى البحر، وأخبروا الملك أن الماء إذا خُفرت المصارف في الأماكن الراطنة، طليها وانحدر فيها، ولم يعد يتراكم حتى يعلو الجبال، لأن طبيعة الحياة تطلب في جريانها ما ينخفض من الأرض؛ فحفر الملك المصارف كما أشاروا حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع في تلك الجهة. ثم جاء من بني السد في الموضوع الذي كان فيه بدء جريان الماء من الجبل<sup>(١٦)</sup>.

ويروي المسعودي أيضاً أن لقمان الأكبر العادي - وهو لقمان بن عاد بن عاديا - هو الذي بنى هذا السد وجعله فرسخاً في فرسخ<sup>(١٧)</sup>، وجعل له ثلاثين ثقباً (ثقباً) مستديرة في استدارة الذراع طولاً وعرضاً على أحسن هندسة وأكمل تقدير، ليسيل منها الماء، وبني مادته بالحجارة الكبيرة والرصاص، فإذا انحدرت السيول اجتمعت خلف مقر السد كأنهار عظام. فكان المزارعون إذا أرادوا سقي مزارعهم فتحت أبواب ذلك السد التي كانت محكمة الإغلاق بالحجر الضلد أو الخشب والحديد، وبأشكال هندسية رائعة، فيسقون حسب حاجتهم ثم يسدونه<sup>(١٨)</sup>.

وذكر آخرون أن بناء السد كان من عمل عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان الملقب بسبأ، وقد عاقه الموت عن إتمامه فاتمه ملوك جُمَيْز

(١٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨٢.

(١٧) الفَرْسَخ: جميع فراسخ، وفرسخ الطريق: ثلاثة أميال هاشمية، وقيل اثنا عشر ألف ذراع وهي تقريباً ثمانية كيلومترات فارسية. المسجد الأبجدي، الطبعة العاشرة، دار لمشرق، بيروت ١٩٨٦، ص ٧٥٧.

ولعل المسعودي كان يقصد، بقوله إنه «كان فرسخاً في فرسخ» كامل نظام السد وما فيه من بناء وخزانات وقنوات.

(١٨) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٨٠ - ١٨١.

من بعده<sup>(١٩)</sup>. أما علماء الآثار<sup>(٢٠)</sup> الذين زاروا مأرب ودرسوا سدّهما فقد عثروا على بقاياها الأثرية، وبعض النقوش الحجرية التي كُتِبَ عليها بالحروف المسند، كان من بينها نقش في الجهة الشمالية من السدّ وردّ فيه: «أَنْ سَمِعَ عَلِي بْنُ نُوفٍ دَمَرَ عَلِيَّ مَكْرِبَ سَبَأَ اخْتَرَقَ أَبْلَقَ وَبَنَى سَدَّ رَحَابَ لِتَسْهِيلِ الرِّيِّ»، ومنها نقش وُجِدَ في الجهة اليمنى كُتِبَ عليه: «أَنْ يَتَعَمَّرَ بَيْنَ بَنِ سَمِعَ عَلِيَّ بْنُ نُوفٍ مَكْرِبَ سَبَأَ خَرَقَ جَبَلٍ أَبْلَقَ وَبَنَى مَصْرَفَ رَحَابَ لِتَسْهِيلِ الرِّيِّ»، ففُزِدُوا بِذَلِكَ أَنْ سَبَأَ عَلِيَّ وَابْنَهُ يَتَعَمَّرُ بَيْنَ اللَّذَيْنِ عَاشَا فِي الْقُرْنِ الثَّامِنِ قَبْلَ الْمِيلَادِ قَدْ أَسَّسَا هَذَا السَّدَّ، وَبَنَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَدَقًا أَوْ (حَاطَطًا)، وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَتِمَكَّنَا مِنْ إِعْدَادِ لُصْخَامَتِهِ وَكِبَرِهِ، فَأَتَمَمْنَاهُ خَلْفَاؤُهُمَا حَيْثُ شِيدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا جِزَاءً مِنْهُ نَقَشَ اسْمُهُ عَلَيْهِ. فَعَلَى الصَّدَفِ الْأَيْسَرِ نُقِشَ قَرَأُوا فِيهِ: «كَرِبَ أَبِلَ بَيْنَ بَنِ يَتَعَمَّرَ مَكْرِبَ سَبَأَ بَنَى...»، وَعَلَى جِزَاءٍ آخَرَ مِنَ السَّدِّ: «دَمَرَ عَلِيٌّ ذَرَحَ مَلِكِ سَبَأَ». وَفِي مَكَانٍ آخَرَ اسْمُ: «يَدْعُ أَبِلَ وَتَارَ»، وَفِي الْقِسْمِ الشَّمَالِيِّ مِنْهُ وَجِدْتَ عِدَّةَ نَقُوشٍ تَحْمِلُ أَسْمَاءَ مُلُوكٍ آخَرِينَ<sup>(٢١)</sup>.

ولا ريب أن هذه النقوش تشير إلى أن بناء سدّ مأرب لم يكن من فعل ملك واحد، بل هو من فعل عدد من الملوك الذين تضاعفت جهودهم وثابت

(١٩) عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد الأول، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦١، ص ٦١٥.

المعلم بطرس البستاني: دائرة المعارف، المجلد التاسع، دار المعرفة، بيروت لا تاريخ، ص ٥٣٠ - ٥٣١.

محمد فريد وحدي: دائرة معارف القرن العشرين، ٨٢، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢٠) كان أبرز هؤلاء العلماء المستشرق الفرنسي أرنو الذي زار مأرب عام ١٨٤٣، وشاهد آثار السدّ ووسم له خريطة نُشرت في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٧٤. وكان منهم المستشرق هانلي والمستشرق غلازير اللذان وافقا أرنو على ما قاله في السدّ، وهو مطابق لما أورده المؤرخ العربي الحسن الهمداني في كتابه الإكتليل عن سدّ مأرب، وقد شاهد أنقاضه بنفسه في أوائل القرن الرابع للهجرة، الموافق لأوائل القرن الحادي عشر الميلادي. ومنهم أيضاً تزيه مؤيد العمري الذي وضع وصفاً لبقايا السد في كتابه: رحلة في البلاد العربية السعيدة.

(٢١) زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٢ و ٢٠٩.

غير السنين والمصنوع لإتمامه، وإدخال إضافات متعددة عليه حتى اتخذ شكله النهائي في عهد شمر يبرعش وتحديدًا في عام ٣٠٠ ميلادية<sup>(٢٢)</sup>. وإلى جانب ذلك قام عدد من الملوك بترميم السدّ وإصلاحه في فترات متلاحقة؛ ذلك أن سدّ مأرب كان يحتاج إلى صيانة مستمرة وإصلاح دائم، بسبب ما يعتره من تصدّع وتخريب يفعل تقادم السنين وضغط الماء وعوامل التعرية الطبيعية. ويبدو أن هذه المهمة كانت تتولاها الدولة التي تملك الإمكانات الكامنة من مال وعمال لإصلاحه. وقد ترك بعض الملوك نقوشاً تحمل أسماءهم، وما قاموا به من إصلاحات للسدّ ولشيكات الري المرتبطة به، مثل النقش الذي يحمل اسم الملك شرحبيل يعفر الذي أصلح السدّ في عام ٤٤٩<sup>(٢٣)</sup>. والنقش الذي يحمل اسم القائد الحيشي أبرهة الذي يتحدث فيه عن تهذّم سدّ مأرب خلال احتلال الأحباش لليمن، وكيف أنه بعث إلى القباطل بإنفاذ الحجارة للأساس والحجر الخام والأخشاب ورصاص الضب... للترميم، وما أتفق فيه من الحجارة والأطعمة للعمال، والعلف للحيوانات المستخدمة طوال مدة الترميم التي بلغت ١١ شهراً و٥٨ يوماً، والتي انتهت في شهر ذومعان سنة ٦٥٨ وفقاً للتقويم الجفثري، الموافق لسنة ٥٤٣ ميلادية<sup>(٢٤)</sup>.

غير أن سدّ مأرب كان في بدايته سدّاً ترابياً بسيطاً، ثم تحول مع مرور الوقت إلى سدّ ضخّم، شِيدَ بالقطع الحجرية الكبيرة المقطوعة من الصخور الجبلية التي كانت تحيط بالوادي، وغُني ببنائه عناية فائقة، وشُدَّتْ أحجاره وثُبِتَتْ بطريقة بتداخل بعضها ببعض، وألصقت بالملاط. وقضبان معادن النحاس والرصاص والبرونز التي كانت تُصهر على النار وتُصب في فتحات ما بين أحجار البناء، وطُلِي سطحه الخارجي بطبقة من الجبس لتزيد من تماسكه،

(٢٢) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة التبرية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠٠٠، ص ٢٥.

(٢٣) نزرة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٩.

(٢٤) زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٠ - ٢١١. كان الجفثريون يبدؤون تاريخهم من سنة ٦١٨ قبل الميلاد.



وتُقلَّل من تعرضه للتعرية الطبيعية والمائية<sup>(٥٥)</sup>. أما أعلاه فكان ينتهي بسطحين متقابلين على زاوية منفرجة تغطيهما طبقة من الحصى لمنع انجراف التراب عند تدفق الماء. وكان طول سد مأرب ٦٨٠ ذراعاً وارتفاعه ١٦ مشراً وسمكه ٢٠ متراً<sup>(٥٦)</sup>.

كانت مهارة البتّانيين العرب واضحة في تصميم السد، وفي تركيز مخارجه على صخور الجبلين؛ ذلك أن هؤلاء البتّانيين جعلوا طرفيه عند الجبلين أبنة من حجارة ضخمة، فيها منافذ يتصرف منها الماء إلى الأراضي الزراعية، وقد نحضت فخر الرازي عن ثلاثة منافذ للسد فيقول إن له «أبواباً ثلاثة مرتبة بعضها فوق بعض وكانت الأبواب يفتح بعضها بعد بعض»<sup>(٥٧)</sup>. أما بقايا السد فتبين أن طرفيه كانا ينتهيان بمخرجين ضخمين لتصريف المياه. ففي الطرف الشمالي مخرج منحوت في صخر حافة أبلق الأيسر، ويقسمه حائط من الحجارة إلى قسمين لكي يخرج الماء في تيارين يصبان في حوض واسع يبلغ طوله ٢٣ متراً ويمتد حوالي ٦٥ متراً، وذلك لترسيب أكبر كمية من الحصى والرمال التي يجرفها السيل معه؛ وكان يلي هذا الحوض قناة مطلية من الداخل بالجبس لمنع تسرب المياه، يبلغ عرضها ١٢ متراً وطولها أكثر من ألف متر وتنتهي في جهاتها الثلاث بعدد من المنافذ تؤدي بدورها إلى عدد كبير من القنوات الفرعية التي تحمل الماء إلى مدينة مأرب والجنة اليسرى. والاستفادة من كميات الماء

(٥٥) B.Da: Monuments of Southern Arabia, P199.

(٥٦) صالح العلي: تاريخ العرب القديم... ص ٢٤. ذكر البعض أن طول سد مأرب ٨٠٠ ذراعاً وعرضه ١٥٠ ذراعاً. زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٧. وذكر آخرون أن طوله ٥٨١ متراً وارتفاعه ١٤ متراً.

Rosalind Wade: Archaeological observations around Marib 1976, the Institute of Archaeology, London 1979, P155.

نورة عبد الله العلي التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ١٠٩.

(٥٧) الفخر الرازي: التفسير الكبير، الجزء الخامس والعشرون، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران، لا تاريخ، ص ٢٥٦.

المخزونة وعدم هدر بعضها، لجأ البتّاون إلى تشييد حائط آخر بمحاذاة حائط هذا المخرج يقصر عنه بثلاثة أمتار<sup>(٥٨)</sup>.

وفي الطرف الجنوبي من السد أنشئ أيضاً مخرج مشابه لتصريف المياه، يرتكز هو الآخر على جبل أبلق الأيمن، وينقسم إلى اتجاهين، يؤديان إلى قناتين، تنفرج كل منهما إلى عدد من القنوات الفرعية التي تحمل الماء إلى الجنة اليمنى<sup>(٥٩)</sup>.

وفي الأساس أقيم سد مأرب لحصر مياه السيول، وجمعها في خزان تبلغ مساحته حوالي ثمانية كيلومترات مربعة، وسعته ٥٥ مليون متر مكعب، وترتفع المياه فيه حتى تبلغ مستوى عالياً يقارب مستوى الجبلين، ثم تفتح المخارج وقنوات القنوات، فيخرج منها الماء لإرواء حقول الجبلين وسفوحه حيث تبلغ مساحة الأرض التي كان يرونها السد قديماً عشرة آلاف هكتار<sup>(٦٠)</sup>.

ازدادت أهمية مدينة مأرب ببناء هذا السد، وأصبحت عاصمة للسبئيين بدل حضرواح؛ واتخذها «بشعر بين» قاعدة عسكرية قام منها يفتوحات دژن أخيارها في تقوشي على السد. وزرع أهلها الأرض المحيطة بها وسفوح الجبال القريبة التي كانت من أحصب أراضي اليمن وأثراها وأغدقها وأفسحها مروجاً، فحولوها إلى جنات وغياض ملأى بأشجار الفاكهة، والخضار المتنوعة الزكية، والأزهار الملونة الجميلة، لذة للناظرين... فكانت المرأة تمتشي تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل، فيساقط الثمر الناضج لكثرة واستوائه فيملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف. وكان الماء والراكب يسير تحت الظلال في هذه

B.Da: Monuments of Southern Arabia, P192. (٥٨)

نورة عبد الله العلي التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ١٠٩.

(٥٩) نورة التميم: المرجع نفسه، ص ١١٠.

D.Da: op.cit, P193.

(٦٠) صالح العلي: تاريخ العرب القديم... ص ٢٤ - ٢٥.

الحيوان فلا تواجهه شمس ولا يحسن بحر، ولا يرى ذباباً ولا يعوضاً ولا يرغوفاً ولا حشرة ضارّة ولا شيء من الهوام؛ وذلك لاعتدال الهواء والمناخ، رصف المزاج والمكان، وعناية الله تعالى بهم... (٦١) فعاش الناس في نعمة وطمأنينة وازدهار في البنيان وال عمران، وسعة في الرزق وكثرة في الزروع ووفرة في الثمار، ورفق في العيش وطمأنينة بال، ورغد قري وطيب هواء وصفاء سماء وقدق ماء، وقوة شوكة واجتماع كلمة، وسيرة حسنة وشرف أخلاق وطلائ فضل على الفاسد والمساقر... حتى غدت بلادهم في العالمين مثلاً ومولداً ومكتوا على ذلك سنين وفروناً، لا يعاندهم ملك إلا قَصَمُوهُ، ولا يوافيهم خير في جيش إلا كسروه، فذلت لهم البلاد وأذعن لطاعتهم العباد، فصاروا تاج الأرض (٦٢) فيث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل والأنبياء، فقبل ثلاثة عشر ربيعاً وقيل أكثر (٦٣)، تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بشواحيده وعبادته، فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى، ثم أعرضوا عما أمروا به، فعوقبوا بإرسال السيل والتفريق في البلاد أيدي سياء شذر مذر...

وفي ذلك يقول الأعشى، ميمون بن قيس بن ثعلبة (٦٤):

ففي ذاك للمؤتسي أسوة	بصارب عَفَى عليها الغرم
رخام بناء لهم جفير	إذا جاء ماؤهم لم يُرم
فأغنى الحروث وأغنماها	على ساعة ماؤهم قد قُسم
قطار الفبول وقبائلها	بها في فياقي سَراب بطم
وكانوا بذلكم حغبة	فمال بهم جارف منهم
قطاروا سراعاً وما يقدمو	ن منه لشرب صبي قطم

(٦١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الجزء الخامس، ص ٥٣٨ و ٥٤٦ و ٥٤٢.

(٦٢) المسعودي: مروج الذهب... ج ٢، ص ١٨١.

(٦٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٥٤٢.

(٦٤) المسعودي: مروج الذهب... ج ٢، ص ١٨٤. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٥٤١.

وفي القرآن الكريم إشارة واضحة إلى سبب (٦٥) وقومه الذين هيدوا الله تعالى وأخلصوا له النية والعمل وعظموه وشكروه، فأنابهم الله سبحانه بالحياة الدنيا يجتنبين عن بعين سد مأرب وشماله، فبهما من كل الثمرات رزقاً حلالاً طيباً، وقرية آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفر أهلها بأنعم الله تعالى، وعادوا عن عبادته سبحانه وانحرفوا، وسجدوا للشمس من دونه عز وجل كما قال الهدهد للنبي سليمان عليه السلام: ﴿فَسَكَتَ فَجَرَّ بِحَبْرٍ فَقَالَ أَطَعْتُ مِمَّا لَمْ تُحْكَمْ بِهِ... وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَكٍ يَبْكُ يُبَيِّنُ ۖ إِنِّي وَدِدْتُ أَمْرًا تَنبِئُكُمْ وَأُخْبِتُ مِنْ حُبِّي فَخَرَّ وَقَدْ عَرِضَ عَظِيمٌ ۝١٢٠ يَبْدُئُهَا وَفَوْقَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَصْنَانَهُمْ فَصَدَّ عَنْهُمُ الْعَيْلُ فَهُمْ لَا يَحْتَدُونَ ۝١٢١﴾ (٦٦)، فإذا أقسم الله تبارك وتعالى لباس الجوع، وشردهم وفترق جمعهم في البلاد، وبذل

(٦٥) مثل رسول الله محمد ﷺ عن سبأ ما هو: أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال ﷺ: قبل مو رجل من العرب، ولقد له عشرة قبايل ستة، وتضام أربعة. ومعنى قوله ﷺ: أولاد له عشرة من العرب أي كان من نسل هؤلاء العشرة الذين يرجع إليهم أصول القبائل من عرب اليمن لا أنهم ولدوا من قبله، بل منهم من بين وبينه الأيون والثلاثة، والأقل والأكثر، كما هو مفترى مبين في مواضع من كتب السب. ومعنى قوله ﷺ: أقيامن منهم ستة وتضام منهم أربعة، أي بعدما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم، منهم من أقام جنوداً ببلادهم، ومنهم من نزع شمالاً عنها إلى غيرها. وقال علماء الأسباب إن سبأ هو عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان الذي قيل عنه أنه أزل من بني سد مأرب كما أسلفنا ولقد شفي سبأ لأنه أزل من سبأ في العرب. وكان يقال له الراش لأن أزل من غنم في الغزو، فأعطى قومه فسفي الراش، والعرب شفي المال ريشاً ورياشاً. وذكر عن سبأ أنه بشر بالنبي محمد ﷺ. وقال في ذلك الآيات التالية:

سبملك بعدنا ملكاً عظيماً	نبي لا يبرح من في الحرام
وسبملك بعدد منهم ملوك	يدينون القبايل بكل دامي
وسبملك بعدد من ملوك	بصير الملك فينا بالتمام
وسبملك بعد قحطان نبي	نفي صليت خير الأنام
يسفي أحمداً يا نبيت أمي	أعمر بعد سببته بعام
فأعصده وأحبه بنصري	يكل مدحج ويكل رام
من يظهر فكونوا ناصريه	ومن يلقاه يلقه سلامي

ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٥٣٩ و ٥٤١.

(٦٦) قرآن كريم، سورة النحل، آية ٢٢ - ٢٤.



٢ - اضطراب الأحوال السياسية في جنوب شبه الجزيرة، وقيام المنازعات والحروب بين الدولة الجعفرية وبين الأحياس الذين احتلوا اليمن مرتين ما بين عامي ٣١٠ - ٣٧٨ ميلادية وما بين عامي ٥٢٥ - ٥٧٥ ميلادية، والذين حاولوا احتلال مكة وتهديم الكعبة والبيت الحرام<sup>(٦٩)</sup>.



فهم الأزدي وأولاده وأنسوا مملكة لهم في الحيرة، وفئة تخلقت ببطن نر  
فطرفت باسم خزاعة وهم أبناء عمرو بن لحي، ومن هناك انتقلت إلى مكة،  
وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

ولما قُتِلَ بطن نرٌ تُخزَعُتْ خزاعة منا في ملوك كراكر<sup>(٧٢)</sup>

وكان عمرو بن عامر مُزَقِيَاءَ بن ماء السعاه بن حارثة الغطريف بن ثعلبة بن  
امريء الغيس بن مازن بن الأزد بن الغوث بن كهلان بن سبأ، سيد القوم  
وعلمهم وأول المهاجرين من مأرب، قد شاهد تشقق السد وتصدعه وأحسن  
بخرابه، فباع جميع أملاكه وأرضائه وخرج من مأرب قبل سبع سنوات من تهدم  
السد، وعندما وصل إلى ما بين جبل السراة ومكة نزل هناك أناس من بني  
نصر من الأزد وأقاموا، وأقام معهم عمران بن عامر الكاهن أخو عمرو،  
وعدي بن حارثة بن عمرو بن عامر مُزَقِيَاءَ، وتابع عمرو وبني مازن حتى وصلوا  
إلى بلاد الأشعريين وعك، ونزلوا على ماء هناك يقال له غسان بين وادي زيد  
وربع، فسفروا بأسهم، ثم انتقلوا إلى بلاد الشام وأقاموا في حوران والجولان  
وغوطة دمشق، وأسسوا مملكة لهم عُرفت باسم مملكة الغساسنة. ولحق أبو  
حارثة بن عمرو بن عامر مُزَقِيَاءَ، ودعبل (أو رعبيل) بن كعب بن أبي حارثة  
بدهران والشيبوا في مدحج. وبقي مالك بن اليمان بن فهم (أو مالك بن  
الهيتمان بن جهم) بن عدي بن عمرو بن مازن بن الأزد بمأرب، وكان آخر  
ملوكها، وقد هلك مع من هلك بسبيل الغرم<sup>(٧٣)</sup>.

ويبدو أن المصادر لم تتفق على سنة وعصر محددين لحدوث سبيل الغرم  
وتهدم السد. فحمزة الأصفهاني يقول بأنه حدث قبل الإسلام بأربعمئة عام، أي

(٧٢) وأما ما ثبت ذلك أنسوا مملكة في ذلك المكان، ونسج عن القوم: تخلقت عنهم. وكانت  
أولادهم من قومها وأقامت مع ما قرب مكة مع ذلك وأسلم وشيكن أبناء نصي بن  
عمر بن عمرو بن عامر مُزَقِيَاءَ. المسموي: خروج الذهب، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٧٣) إنهم المسمويون المولود من بني الكهلان الذين تفرقوا حرب السد وتهدمهم وبني الحثين  
والفرات النخيلة و... ١٨٨. لقب عمرو بن قتيبة، لأنه كان يلبس في كل يوم بدلة، فلما أراد  
الدخول إلى مجلسه رمى بها، فترقت لئلا يجد أحد لها ما يليه.

في القرن الثالث الميلادي<sup>(٧٤)</sup>. ويقوت الحموي يذكر بأنه وقع في ملك حبشان  
ولعله يقصد ذا حبشان بن الأقرب بن أبي مالك بن شمر الجفيري، أو لعله يريد  
الأحباش الذين احتلوا اليمن في القرن السادس الميلادي وخربوا كثيراً من  
قصورها وأبنيتها<sup>(٧٥)</sup>. وعبد الرحمن بن خلدون يورد بأنه حصل في أيام عمرو بن  
عامر الأزدي المعروف بعزقياء في القرن الخامس الميلادي. والمسموي يؤكد  
وقوعه بعد سبع سنوات من خروج هذا الملك<sup>(٧٦)</sup>. أما غلازر الذي درس آثار  
ذلك السد فقد اكتشف أثرين عليهما كتابة مطولة تتعلق بتهدمه خلال احتلال  
الأحباش لليمن، أحدهما مؤرخ سنة ٥٢٩، والآخر سنة ٥٦٥ ميلادية. ويذكر  
آخرون أن انهيار سد مأرب كان حوالي سنة ١٢٠ قبل الميلاد<sup>(٧٨)</sup>.

ويعود السبب في نسبة بنيانه وتهدمه إلى عصور مختلفة وأشخاص  
مختلفين، كثرة تصدعه وترميمه، فكانوا يعدون كل تصدع تهدماً وكل ترميم  
بناء. ويؤيد أن سد مأرب تصدع عند ظهور دولة حمير (ملوك سبأ وريدان) في  
أوائل القرن الأول قبل الميلاد للمرة الأولى، فترموه، ولكن ظلوا خائفين من  
تهدمه، فتحولت عنايتهم إلى تعفير مدينة ظفار، وفل تمسكهم بالبقاء في مدينة  
مأرب، وصاروا ينزحون جماعات وأفراداً... وكلما تشقق السد من ناحية  
ومره، واستمروا كذلك إلى قبيل الدعوة الإسلامية، فأعملوه نهائياً حتى تهدم،  
ويعتقد أن تهدمه كان حوالي عام ٥٧٥ ميلادية، وهو العام الذي انتهى فيه  
احتلال الأحباش لليمن<sup>(٧٩)</sup>.

(٧٥) حمزة بن الحسن الأصفهاني: تاريخ سني ملوك الأرض والآباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا  
تاريخ ص ١٠٨. زبدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٠٢.

(٧٦) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، الجزء السادس عشر، مؤسسة من الدين للطباعة والنشر،  
بيروت (لا ت) ص ٦٩ - ٧١.

(٧٧) ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، ص ٥٧. المسموي: خروج  
الذهب، ج ٢، ص ١٨٨. لقب عمرو بن قتيبة، لأنه كان يلبس في كل يوم بدلة، فلما أراد  
الدخول إلى مجلسه رمى بها، فترقت لئلا يجد أحد لها ما يليه.

(٧٨) زبدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٠.

(٧٩) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٩.  
Ahmed Fahry: An Archaeological Journey to Yemen, vol3, Government  
Press, Cairo 1952, P61.

زبدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٠.



## ب - نظام القنوات:

استخدم العرب في العصور القديمة نظام القنوات لري أراضيهم، فكانوا يحفرون مجاري للمياه على سطح الأرض وفي داخلها، ويحولونها إلى قنوات قد تطول أو تقصر حسب الحاجة، ويوجد في شبه الجزيرة نوعان من هذا النظام: النوع الأول: نظام القنوات السطحية، والنوع الثاني: نظام القنوات الجوفية.

وكان نظام القنوات السطحية عبارة عن شبكة من القنوات أو الجداول التي تُحفر على سطح الأرض لتصرف مياه السيول والعيون والينابيع والآبار، وتمتد مسافة طويلة قد تصل إلى عشرات الكيلومترات مثل قنوات عُمان، وروادي ببحان، وروادي حريضة في حضرموت، وقناة قرية في شمال غرب شبه الجزيرة، وقناة خيبر التي تبلغ حوالي 18 كيلومتراً<sup>(٨٠)</sup>. وعادة تكون هذه القنوات واسعة، وتقاس بالأمطار، وتبنى معظم أجزائها بالطين، وتُبطّن بالآجر، وتُشيد الأجزاء الأخرى التي تتعرض لضغط كبير من الماء، كالمنافذ والمساقط العامودية والمنعطقات، بالحجار كي لا تنهدم بسرعة<sup>(٨١)</sup>.

وكانت القناة الرئيسية مزودة بمنافذ أو بوابات، توصلها بقنوات فرعية، تنفرع هي الأخرى إلى قنوات أصغر، فأصغر حتى يتم إيصال المياه إلى جميع الحقول والبساتين. وفي معظم الأوقات تبقى منافذ القنوات الرئيسية مفتوحة،

P.Costa: Notes on the traditional hydraulics and agriculture in Oman, (٨٠) World Archaeology, vol14, London 1983, P277. Richard Bowen: Irrigation in ancient Qataban, P45, Thompson Caton: The Tombs and Moon Temple of Hureida «Hadramaut», The Society of Antiquarian, Oxford, London 1944, P12.

نورة التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١١ - ١١٢.

J.Dayton: Marib visited 1979, the Institute of Archaeology, vol2, London 1981, P12.

Richard Bowen: Irrigation in ancient Qataban, P45. (٨١)

B.Doe: Southern Arabia, Thomas and Hadson, London 1971, P189-198.

Thompson Caton: The Tombs and Moon Temple of Hureidha, P12.

خوفاً من حدوث سيل مفاجئ في الليل أو النهار. أما منافذ القنوات الفرعية التي تخترق الأراضي الزراعية فكانت تغلق بعد سقي المزروعات، حتى يجري الماء إلى الحقول التالية، وكان المزارعون يلجؤون إلى رفع مستوى هذه المنافذ، التي تُبنى من جذوع الأشجار والطين، بصورة دورية ليتناسب مع ارتفاع مجرى القناة بسبب ترسب الطمي فيها<sup>(٨٢)</sup>.

وتُشَقُّ القنوات، التي يرتبط وجودها بالعيون والينابيع الطبيعية، على هيئة مجاري واسعة تصل بين مصدر الماء والأراضي الزراعية، وتُعرف بالعيول، ويكون مجراها موازياً لمجرى الوادي، وعلى الجانب القريب من مصدر الماء. وعادة تُبنى القناة السطحية بانحدار بسيط ومناسب، وقد تحول إلى قناة جوفية إذا ما واجهت في طريقها عائقاً طبيعياً، أو في حالة عبور مجرى وادٍ، حيث يصبح تعرضها للخراب من جراء السيول أمراً وارداً. ففي حالة الوادي الضيق أو الشعاب الصغيرة يُستخدم جذع نخلة مجوف كمجرى للمياه من جانب إلى الجانب الآخر، خصوصاً أن جذع النخلة يُستبدل بيسر إذا ما جرفته السيول. أما في حالة الوادي الكبير فتُحمل القناة على جسر من القناطر التي تُبنى بالحجارة الصلبة لتقاوم قوة السيل، أو تحول القناة إلى قناة جوفية باستخدام المقاطس أو ما يُعرف بـ «غرفة فلج» (Siphon)، حيث تقام القناة على شكل الحرف U<sup>(٨٣)</sup>، تكون قاعدتها قناة جوفية، تصل بين برجين متقابلين على حافتي الوادي، ويكون البرج الذي تدخله القناة أعلى قليلاً من البرج الذي تخرج منه، ولزيادة قوة اندفاع الماء من البرج يلجأ المزارع أو البناء إلى رفع القناة عن مستواها العام بنحو متر ونصف قبل دخولها البرج<sup>(٨٤)</sup>. وقد استغل أصحاب هذه العيول

A.M.Maktari: Water Rights and Irrigation Practices in Lahj, University (٨٢) Press, Cambridge 1971, P57. Bowen: Irrigation in ancient Qataban, P45.

(٨٣) راجع ملحق رقم...

(٨٤) عبد الله آدم نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة: العصور، ١، ج ٢، دار

الترغيب، لندن - الرياض ١٩٨٩، ص ٣٠٧.

J.C.Wilkinson: Water and Tribal Settlement in South East Arabia, A study of the Aflaj of Oman, P74, 82. P. Costa: notes on traditional hydraulics... P277, 280.

قوة الماء المتدفق من مساقط هذه القنوات في إقامة طواحين للحبوب<sup>(٨٥)</sup> وكانت القنوات السطحية في كثير من المناطق جزءاً مكشفاً لنظام القنوات الجوفية، ذلك أن القناة الجوفية بعد أن تفيض إلى سطح الأرض، تمتد منها قناة تحمل الماء إلى داخل القرية أو المدينة، أو إلى منطقة الحقول الزراعية ليتوزع حينئذ بشبكة من قنوات صغيرة<sup>(٨٦)</sup>.

ويمكننا تعريف القنوات الجوفية بأنها أنفاق تُحفر في باطن الأرض، أو مجموعة من الآبار يتصل بعضها ببعض بواسطة نفق تحت الأرض، كان الهدف منها جلب الماء من مصادره في باطن الأرض إلى أماكن استخدامه في القرى أو المدن أو الحقول.

ونعود أقدم إشارة عن وجود قنوات في بلاد الرعي إلى هيرودوت الذي ذكر، في معرض حديثه عن شبه الجزيرة أن ملكاً كان يجلب الماء من نهر كردس الذي يصب في البحر الأحمر بواسطة أنبوب مصنوع من الجلد<sup>(٨٧)</sup>. ويروى أن سنخاريب بن سرجون الآشوري قد حفر قناة جوفية لجلب المياه إلى مدينة أوريل، ثم حفر أخرى لجرها إلى مدينة نينوى، وذلك بعد أن نقل والد، هذا النظام من أرمينيا التي غزاها وحطّم قنوات الري الجوفية في مدينة (Ulfa) كما سجل سرجون ذلك في معرض حديثه عن هذه الغزوة<sup>(٨٨)</sup>.

رُشِّير الاكتشافات الأثرية في الآونة الأخيرة إلى أن منطقة عُمان هي جنوب شرق شبه الجزيرة العربية، التي وُجد فيها عدد من مناجم تعدين النحاس العائدة للآلف الثالث قبل الميلاد، والتي يشبه أسلوب حفرها أسلوب حفر القنوات الجوفية، هي مصدر ومشتا هذا النظام، ومنها انتقل إلى بلاد فارس

(٨٥) نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ١١٤.

(٨٦) J.C. Wilkinson: Water and tribal Settlement in South East Arabia, P74.

(٨٧) Herodotus: The history of Herodotus, trans by A.D. Godley, Loeb classical library, London 1981, P131.

(٨٨) J. Laessle: The Irrigation System at Ulu, 8th. Century, B.C., Journal of Cuneiform Studies, The American School of Oriental Research, Bagdad, 1951, Vol. 21-23, P29.

والأقاليم العربية الأخرى، ثم انتشر عالمياً مع توسع الدولة الإسلامية حيث نقله المسلمون العرب إلى أفريقيا وإسبانيا، ومنهما انتقل إلى أميركا الجنوبية<sup>(٨٩)</sup>.

ويقوم نظام القنوات الجوفية على مبدأ جلب الماء من أماكن مرتفعة، تنوّر فيها مياه جوفية، وذلك عن طريق حفر نفق ينحدر انحداراً بسيطاً من مصدر الماء، ويجري فيه حتى يظهر في النهاية على سطح الأرض. لذا فإن أماكنها تقع بين السهول والمرتفعات حيث يكون منسوب الماء فيها مرتفعاً<sup>(٩٠)</sup>. ويحضر مع هذا النفق آبار أو أنفاق عمودية لتهويتها وحباتها وتطهيرها، وتُعرف هذه الآبار بالنقب<sup>(٩١)</sup>. ويتراوح عمقها عادة بين بضعة أمتار إلى مائة وخمسين متراً. ويبدأ العمل بحفر البئر الرئيسية التي تدعى البئر الأم ويكون موضعها بالقرب من مصادر المياه، وتكون نسبة انحدارها إلى المكان الذي سوف تظهر فيه القناة مقدرة تقديراً جيداً. وقد قدر الكرخي هذا الانحدار بذراع ٦٩ سنتيمترًا لكل فرسخ (٣ أميال)، كما عُدّد بعض الأجهزة البسيطة التي كانت تُستخدم بالحفر من مكان خروج القناة على سطح الأرض مشجهاً بها نحو البئر الأم<sup>(٩٢)</sup>. وهناك من يرى أن حفر القناة كان يبدأ بإقامة الآبار أو الأنفاق العمودية التي تُشاد على طول القناة بين مصدرها ومنبعها، ثم يُشق نفق يوصل بينها جميعاً. ويرجح آخرون أن الحفر كان يبدأ من البئر الأم مشجهاً بها نحو مخرجها، حيث يعمل الماء المتدفق فيها على تسويتها<sup>(٩٣)</sup>. وإذا ما صادف الحفار أرضاً رخوة مال عنها كي يتفادى تهدمها، أو بلغاً إلى تبطينها بناءً من

G. Weisgerber: Copper Production during the 3rd. Millennium B.C. Oman (٨٩) and the question of Makan, Journal of Oman Studies, Vol 6, Part 2, The Ministry of information and Culture, Oman, 1983, P264-276.

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٥.

(٩٠) عبد الله نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة، ص ٢٠٩. راجع أيضاً ملحق رقم.

(٩١) محمد بن الحسن الحاسب الكرخي: ألباط المياه الخفية، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٣٥٩ هـ، ص ٦٣.

(٩٢) المصدر نفسه، ص ٣٥ و ٦١ و ٩١. راجع ملحق رقم شكل ٥ (نور).

(٩٣) George Cressy: Qanats, Karez and Foggaras, Geographical Review, vol 40, (١٩٥) New York 1985, P31.

عبد الله نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة، ص ٢٠٧ - ٢١٠.



الآجر أو الحجارة والطين، كما هو الحال في القنوات التي اكتشفت في منطقتي العلا وتيماء وظهرت مبطنّة بالحجارة نبطياً جيداً<sup>(٩٤)</sup>.

وعندما يصل النفق إلى نهايته حيث تخرج القناة، يعود الحفار إلى نقطة البداية ليحفر آباراً أو أنفاقاً عمودية ذات سعة تسمح بدخول الرجل فيها، وتكون هذه الآبار على أبعاد متفاوتة تحددها طبيعة الأرض التي يجري فيها القناة. وكانت فتحات هذه الآبار تُسَوَّر عادة بالتراب المستخرج من الحفر، أو بالحجارة، وتُغطى بالوِاج حجرية إن وجدت في مجاري السيول، وتتحول القناة عند مخرجها إلى قناة سطحية تُعرف بالقنطرة، ثم توزع حسب الحاجة إلى الماء، ووفقاً لتقاليد وقواعد متعارف عليها<sup>(٩٥)</sup>.

وكانت تواجه الحفار في عمله بعض الأخطار، منها: انقطاع الهواء الذي قد يؤدي إلى اختناقه، فلذا كان يُدخل إلى النفق مصباحين يُوقدان بزيوت الخروع أو الشحم للتبنيه على نفص الهواء، فإذا انطفأ المصباح، فإن ذلك يُعد إنذاراً بنقص الهواء أو فقدانه، كما أنّ هذين المصباحين يساعدان الحفار على تحديد استقامة القناة. ومنها أيضاً انهيار النفق ومشكلة الماء الذي يجري حوله، فقد يؤدي كل ذلك إلى غرقه وموته. ولِيُخَفَّفَ من هذه الأخطار، كان الحفار يلبس ثوباً من الجلد المدبوغ والمُسقى زيتاً، وقبعة مماثلة يحيط بها قورم لمنع دخول الماء وسيلانه على وجهه<sup>(٩٦)</sup>.

وتختلف أطوال القنوات من منطقة إلى أخرى، إذ يمتد بعضها إلى مسافات بعيدة قد يصل إلى مائة كيلومتر، وتتفرع إلى عدد من القنوات الجوفية، لتزيد من نسبة الماء المتدفق فيها، وبذلك تتحول القناة الرئيسية إلى جدول أو نهر صغير يتساب تحت الأرض<sup>(٩٧)</sup>.

(٩٤) الكرخي: أنباط المياه الجوفية، ص ٢١.

(٩٥) الكرخي: المصدر السابق، ص ٦٣.

(٩٦) C. Wilkinson: Water and tribal settlement in South East Arabia, P100-102.

(٩٧) الكرخي: المصدر السابق، ص ٢٢. عند الله نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة، ص ٢٠٣.

(٩٨) ثورة علي العمير: الرّوح الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٧.

وأطلقت على القنوات أسماء مختلفة، تبعاً للمنطقة أو الإقليم الذي أنشئت فيه. ففي شمال غربي شبه الجزيرة عُرفت باسم العين، وفي شمال عُرفت باسم القلج الذي يعني شق الأرض وتقسيم الماء<sup>(٩٨)</sup>. وفي بعض المناطق أطلق عليها اسم القليل (جمع أغيال أو عُيول) الذي يعني الماء الجاري على وجه الأرض والذي يعني أيضاً كل واحد فيه عيون تسيل<sup>(٩٩)</sup>. وفي منطقة أخرى أطلق عليها القُفَر (مفردا القُفِير) وتعني مخرج الماء من قم القناة<sup>(١٠٠)</sup>. وفي ثالثة سُمّيت بالكُفَافَة (جمع كُفَافَة) وهي قناة للماء في باطن الأرض، وقيل هي آبار متناصفة تحفر ويُباعد ما بينها ثم يُخرق ما بين كل بئرين بقناة داخلية تؤدي بالماء من الأولى إلى التي تليها فتجتمع مياهها جارية ثم تخرج من نفسها وتُسيح على سطح الأرض<sup>(١٠١)</sup>.

وتعتمد القناة على المخزون الجوفي للماء وطبيعة التربة، لذا تختلف كمية المياه فيها من منطقة إلى أخرى، وتزداد هذه الكمية في موسم الأمطار، وتقل في موسم الجفاف. وقد تُسقف القناة الجوفية عند مخرجها على سطح الأرض، لحمايتها من الأتربة، وللمنع الدابة من ورودها، ثم يوزع قعر منها إلى المدينة أو القرية، ويذهب فرع آخر إلى الحقول الزراعية، وقد يُبنى، أحياناً، حوض مستدير في مجرى القناة، وذلك لتكوين قوة اندفاع تضمن وصول الماء إلى كافة الأراضي الزراعية، أو لتخزين كمية من الماء تُستخدم في أوقات الجفاف، وفي فترة انخفاض معدل تساقط الأمطار<sup>(١٠٢)</sup>.

وتنتشر بقايا آثار القنوات الجوفية والسطحية بكثرة في كافة أقاليم بلاد العرب، وبخاصة في شبه جزيرة العرب. ففي المنطقة الممتدة من العلا حتى المدينة المنورة يوجد عدد كبير منها، ويُعتقد أنّ بعضها يعود إلى العهد

(٩٨) عند الله نصيف: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة، ص ٢٠٠.

(٩٩) Wilkinson: Water and tribal settlement in South East Arabia, P74.

(١٠٠) المتحد في اللغة والأعلام، ص ٥٦٤.

(١٠١) المرجع نفسه، ص ٥٩٠.

(١٠٢) المرجع نفسه، ص ٦٨٨. هرام: أسماء جبال تهامة وسكانها، ص ١٧.

(١٠٣) George Cressy: Qanats, Karez and Foggaras, Geographical review, P28.

(١٠٤) Crestal: Notes on traditional hydraulics and agriculture in Oman, P285-286.

البحراني<sup>(١٠٣)</sup>. وفي منطقة نيماء توجد قنوات قد ترجع إلى العصر النبطي وفي المنطقة الغربية من إيلات خلف الأنباط وراهم عدد من هذه القنوات وفي إقليم الساحل الشرقي من شبه الجزيرة تكثُر القنوات الجوفية، ويخاضع في واحدة الريسي وفي سفوح جبال عجر - واحدة العين، وتعود هذه القنوات إلى النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد<sup>(١٠٤)</sup>. وفي القطيف وعين جاور عدد من القنوات الجوفية، منها واحدة تمتد على الساحل المقابل لجزيرة تاروت وتصل إلى اثني عشرة كيلومتراً، ويعود بناؤها إلى العصر الهلنستي - اليوناني وفي حبرين والبحرين كشفت البعثات الأثرية الدانمركية عن وجود عدد من القنوات الجوفية تمتد من التلال الوسطى وتنتج نحو الساحل الغربي<sup>(١٠٥)</sup>. وفي إقليم عُمان تكثُر أعداد هذه القنوات التي شهدت نشأتها الأولى كما ذكرنا قبلاً<sup>(١٠٦)</sup>. وفي وسط شبه الجزيرة بواحات الخرج والأفلاج، وفي منطقة القصيم توجد قنوات كثيرة كان بعضها لا يزال يُستخدم حتى فترة قريبة. أما في جنوب شبه الجزيرة فلم يلاق نظام القنوات وواجباً بسبب شحوب استخدام وسائل الري الأخرى التي تعتمد بالدرجة الأولى على السيول كالسدود وغيرها، ويُرجح أن هذا النظام قد دخل هذه المنطقة في فترة الحكم الفارسي، وتحديدًا في القرن السادس الميلادي<sup>(١٠٧)</sup>.

(١٠٣) نورة العلي النعم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٨.

M Evenari: The challenge of the desert, P173-178. Shirley Kay: Emirates (١٠٤) Archaeological Heritage, Emirate press, Dubai 1986, P42

Livingston.: Tamim, Aulal, Department of Antiquities and Museums of Saudi Arabia, vol 2, Riyadh 1983, P109-113.

Geoffrey Bibby: Looking for Dilmun, Penguin Book 4th Edition, Middlesex (١٠٥) England, 1984, P67-68.

نورة العلي النعم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٨.

P.Cous: Notes on traditional hydraulics and agriculture in Oman, P273 (١٠٦)

Julis Zarins: The Preliminary report on the third phase of the Comprehensive Archaeological Survey Program, the Central Province. Aulal, Department of Antiquities and Museums of Saudi Arabia, Vol 3, Riyadh 1979, P28.

نورة العلي النعم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١١٨.

### ٣ - أنظمة توزيع مياه الري:

غير أن توزيع مياه الري في العصور القديمة، كان يحصل لأعراف وأنظم محددة. تضمن للمزارعين في بلاد العرب حقوقهم في سقي مزارعهم. ويبدو أن هذه الأنظم كانت تختلف من منطقة لأخرى، تبعاً لاختلاف مصادر المياه وتشير بعض الألفاظ التي وردت في النصوص العربية المكتشفة حديثاً إلى بعض أنواع من هذه الأنظمة. مثل لفظة (م - ح - م - ي - ت) محبت التي تعني سقي الأراضي بالسانية، ولفظة (م - ه - م - ر - م) مفرم التي تعني السقي بالغمر، ولفظة (د - ر - ر) دور التي هي ممارسة حق السقاية، وعبارات (ذ - ا - ت - ن / خ - ر - ر - ق - ن) ذاتن حرفن التي هي السقاية الرسمية، واللفظ (م - ح - ر - ت) مسحرت، ولفظ (ق - ح) فسح، ولفظ (ه - ر - ر - ي - ن) يهروين. والتي تدل جميعها على أنواع أخرى من أنظمة الري، كانت تستخدم في شبه الجزيرة العربية وغيرها<sup>(١٠٨)</sup>.

وفي حالة المياه الجوفية فإن القناة الرئيسية كانت تُقسم على سطح الأرض، إلى عدد من القنوات الفرعية، يتناسب مع عدد المالكين لها، بحيث يُوزع المياه فيها وفقاً لنظام يُعرف بنظام الدور أو الرحية، فكان ينال كل مزارع رحية كاملة، تكون مدتها من شروق الشمس إلى غروبها، أو من غروبها إلى شروقها، بما يعادل اثني عشرة ساعة! وهكذا حتى يحصل جميع المالكين على وجباتهم من المياه، ثم يبدأ الدور من جديد. وكان يشرف على توزيع مياه القناة موظف مسؤول، يشيخ المزارعين من مخالفة الأنظمة والأعراف المتفق عليها، ويحافظ في الوقت عينه على القناة من العبث بها وطمرها، ويقوم بصيانتها عند الضرورة<sup>(١٠٩)</sup>.

(١٠٨) أ.ف. بيترن وآخرون. المعجم السبئي، مشروحات جامعة مساهة دار مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٦ ص ٢٥ و ٦٩ و ٧١ و ١١٩.

Albert Jamme: Sabaran Inscriptions from Maharrat Bilqas (Marrab), P251.

(١٠٩) عبد الله لصيف: القنوات والنظم الزراعي في المدينة العصور، ج ١، ص ٢١٧.

J.C Wilkinson: Water and Tribal Settlement in South West Arabia, P100-120.



أما الآبار التي تكون ملكيتها عامة، فإن الماء فيها يوزع على المشتركين،  
تحدد فترة زمنية لكل مزارع. وكذلك الحال بالنسبة للعيون والينابيع الطبيعية،  
فإن مياهها توزع بواسطة قناة رئيسية، تمر في وسط الأراضي الزراعية، وتفتح  
مخارجها تبعاً، فإذا انبثت الأرض الأولى أغلق مخرجها ليفتح مخرج الأرض  
التي تأتي بعدها، وهكذا حتى يتم ري جميع الأراضي الزراعية المجاورة، ثم  
توجه المياه الزائدة في قناة رئيسية أخرى، تقوم بتوزيعها على قسم آخر من  
الحقول. وكان حكم هذا الماء يختلف عن الماء الذي يأتي من العين، لذا نجد  
أنه عند تقاطع قناتين، واحدة تحمل ماء العين والأخرى المياه الزائدة، فلا بد  
من رفع قناة عن الأخرى بقنطرة حتى لا يختلط مائهما<sup>(١١٠)</sup>.

وكانت مياه السيول حقاً لجميع المزارعين، ومصدر إرواء، أولاً، للحقول  
القرية من مجراها، ثم للحقول التي تأتي بعدها، بحيث ينال جميع المالكين  
القريبين نفع أراضيهم على جانبي مجرى السيل حقوقهم من الماء. ويبدو أن  
حقوق هؤلاء المزارعين في الوادي كانت مصانة، فلم يكن يسمح لأحد أن يضي  
ملكية مياه السيول، أو التحكم بمجراها، أو الاعتداء عليها وتخريبها. كما لم  
يكن يسمح للمالكين الجدد الذين استصلحوا أراضيهم وزرعوها، أن يسفوا من  
هذه المياه إلا بعد أن يتم ري الأراضي التي كانت مزرعة قبلاً، حتى ولو  
كانت الأراضي المستصلحة حديثاً تقع في المناطق العالية من الوادي. وإلى  
جانب ذلك كان على المزارعين أن يستهلكوا من الماء ما يحتاجون إليه، وأن  
يفتحوا ثغرة في أسوار حقولهم لتصرف المياه إلى الحقول التالية وكانت تُفقد  
حاجة الاستهلاك ببلوغ الماء وكبة الرجل، أو كعبه، أو قدر ذراع، وذلك حتى  
تغمر المياه الحقل كله، ويُعرف هذا النظام بالمسند باسم: م - ه - ض - د -  
م<sup>(١١١)</sup>.

P.S. Vidal: The Oasis of al Hasa, The Arabian American Oil Company (١١٠)  
135, P135-136.

روية علي العجم - الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية. ص ١١٤.

(١١١) يسرى المحمدي. ص ٣٩ و ٤٠.

وكان ضمان تطبيق هذه الاعراف، يقع على عاتق السلطة المحلية التي  
تعين ممثلاً عنها لمراقبة سقي المزروعات، بحيث يكون هذا الممثل مسؤولاً  
عن أية مخالفة، أو إساءة لاستخدام مياه الري. وأن يتمتع بحجرة واسعة في  
توزيع الماء على الأراضي المزروعة بالعدل والإنصاف، ووفقاً للنسب المقررة  
عرفاً وقانوناً. وقد ذكر هذا الموظف في بعض النقوش العربية تحت اسم (م -  
د - د - ر) أي مراقب الساقية<sup>(١١٢)</sup>، ويُعرف في عصر حسن الهمداني باسم  
«الدائلي»<sup>(١١٣)</sup>.

#### ٤ - معاملات المزارعة وتأجير الأراضي:

كان ملاك الأراضي الصغار يعملون مع أسرهم في الزراعة، فيزرعون ما  
يملكون من حقول لتأمين وزفهم ووزق عيالهم. في حين كان أصحاب رؤوس  
الأموال، من ملوك وقادة وأقبال ورؤساء قبائل، يقومون بتأجير أملاكهم لفرد أو  
جماعة، كما كانت الدولة تؤجر أملاكها أيضاً<sup>(١١٤)</sup>، أو تطلب من موظفيها القيام  
بهذه المهمة. ويكون ريعها لصالح الحكومة، حيث تصرف بعضه في المشاريع  
العامة كبناء السدود والقنوات والطرق والمعابد...، وتصرف بعضه الآخر على  
القوات المسلحة كغذاء وعتاد... وعادة كانت الدولة تُعين موظفاً، لمدة سبع  
سنوات، للإشراف على أملاكها. وقد شكر أحد الموظفين الإله المتق (إله  
القمر) على ثقة الملك في تعيينه مشرفاً على أراضي الدولة لمدة سبعة أعوام.  
في كل من مارب وصنعاء، على حد ما سُجل في «النقش حرام ٦٤٧ / ٢٦ / ٢٩»<sup>(١١٥)</sup>.

(١١٢) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(١١٣) الحسن الهمداني: الأكليل، ج ٨، ص ١٢١.

(١١٤) كانت أراضي الدولة كثيرة منها الأراضي التي تملكها صفتها السلطة الحاكمة، والأراضي التي  
حصلت عليها عن طريق الحروب واستولت عليها بعد هزيمة أصحابها، والأراضي التي  
صارتها من أصحابها.

(١١٥)

Jamhe Sabahan Inscription from Mahram Bilgis, P149-150.

وكذلك كانت أملاك المعابد، التي تحجز باسم الآلهة، والتي يتولى إدارتها مشرف يُدعى وشو<sup>(١١٦)</sup>، تُؤجر لمن يزرعها بعقد محدد الشروط، أو يجلب لها مزارعون يعملون بأجور معلومة، أو يقوم بزراعتها عبيد المعابد، أو يستمر الواهبون في زراعة الأراضي التي منحوها وفقاً للآلهة، أو يمنحها رجال الدين لمن يزرعها مقابل دفع العشور عنها<sup>(١١٧)</sup>. وكان ربع هذه الأملاك يعود لخبر الهياكل والقيم عليها. وقد اكتشفت نقوش كثيرة تتحدث عن أملاك دور العبادة وتنظيمها، منها نقش يشير فيه صاحبه إلى قرابين قُدمت للإله عشر الذي أرحب على جميع أرض عشر ومنحها سقياً متوالياً في موسمي الخريف والربيع<sup>(١١٨)</sup>، ومنها نقش معين سجله أحد أفراد قبيلة «خللومان»، من دعايا البقع ياسر وابنه حفن دبال، ملكي معين، وقد وهب هذا الفرد وإخوته أملاكاً للإله عشر ذي قبض رود<sup>(١١٩)</sup>.

وكانت الأرض المؤجرة يُطلق عليها بلغة أهل جنوب شبه الجزيرة اسم «مقيلت»<sup>(١٢٠)</sup>. وتؤجر، لمدة زمنية معينة، لمن يقوم بتعهدها وزراعتها مقابل شروط محددة. وتُعرف في النصوص القديمة باسم «الوقف» أو «وقفهم»<sup>(١٢١)</sup> وقد أشار النقش (٦٤٠٤ ر) إلى عقد مزارعة، وُضع بين الدولة، بصفتها مالكة لأرض زراعية، وبين قبيلة سخيم الأرستقراطية التي تولت زراعة هذه الأرض، وتحملت تعانها المالية والقانونية أمام الحكومة. ويبدو أن هذه القبيلة لم تكن مباشر، دائماً، بزراعة الأرض بنفسها، بل كانت في أغلب الأوقات تُسخر العبيد

(١١٦) Ibidem, P193-194.  
(١١٧) A.F.I. Beeston: The Labakh texts, Qahian studies in Old South Arabian (١١٧) Epigraphy, Luzac and Co. London 1971, P10-11  
(١١٨) أحمد حسين شرف الدين: اللغة العربية قبل الإسلام، طبعة ثانية، مطابع القروى، الرياض ١٩٥٥، ص ١١٢.  
(١١٩) يحيى دامي: نقوش عربية جنوبية، المجموعة الثالثة، نقش رقم ١١، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد ٢٠، الجزء الأول، سنة ١٩٥٦، ص ٥٧.  
(١٢٠) بيتون، المعجم السني، ص ١٠٢.  
(١٢١) A.F.I. Beeston: Warfare in Ancient South Arabia, Qahian studies in Old South Arabian Epigraphy, Luzac and Co. London 1976, P8

للقيام بذلك، أو شتاجر العمال لهذه المهمة، أو تُؤجرها بدورها إلى مزارع أو أكثر<sup>(١٢٢)</sup>.

غير أن العرب في القديم قد عرفوا أنواعاً عديدة من عقود الشاحير والمعاملات الزراعية، منها المحاقلة وهي تأجير الأراضي الزراعية لقاء مبلغ من المال، قد يكون عيناً كثلث الإنتاج أو رבעه، وقد يكون نقداً من الذهب أو الفضة. ومنها المزارعة وهي تعني أن يسلم المالك أرضه مع الدار مقابل نسبة من الثمر أو المحصول، يدفعها المستأجر عند القطف أو الحصاد. والمخابرة وهي أن يقدم المؤجر أرضه للمزارع الذي يقوم بدوره بتأمين البدار على نفقته، ويدفع، ما اتفق عليه من حصة في نهاية الموسم، للمالك.

ومنها أيضاً المخاضرة وهي أن يبيع المالك ثمار يشانه قبل أن تنضج، كي يتخلص من المخاطر التي قد يتعرض لها الثمر أو المحصول بسبب الجفاف وغيره، أو يتخلص من مشقات جني الغلال وجمعها وحراستها ونقلها وبيعها وتخزينها، وما يحيط بذلك أو يتصل به من معاملات تستلزم كثيراً من الجهد والعناء. وفي كثير من الأحيان كان ينتج عن عقد المخاضرة خلافات ومنازعات بين الأطراف المتعاقدة، بسبب ما قد يصيب الثمر من أفات أو تلف، تعرض المحصول كله أو بعضه للمضايقة. وهذا ما يدفع المشتري أو الضامن للمطالبة بفسخ العقد واسترجاع ما دفعه من مال لصاحب الأرض.

وكذلك المساقاة وهي أن يعمل شخص على إيصال المياه إلى أرض شخص آخر لقاء نسبة معلومة من الإنتاج. والمخابنة وهي الحصاد لقاء أجر. والقضارة وهي الاتفاق على ما نبئ في السابل من الحب، فأحياناً تكون من نصيب القاري وأحياناً أخرى من نصيب صاحب الزرع<sup>(١٢٣)</sup>.

Beeston: The Labakh texts, Qahian Studies in Old South Arabian Epigraphy, P15. (١٢٢)

نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ١٢٩  
(١٢٣) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢١٦ - ٢٢٠. لطفى عبد الرحمن يحيى: العرب في المصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة ثانية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.



وكان من بين شروط هذه المعاملات أو العقود، أن يُقَدِّم المالك على مسخ العقد وإبطال أعمال الإجارة، إذا ما وجد أن المستأجر قد أهمل الأرض أو قام بأعمال نسيء إليها وتضرر بالإنتاج الذي يكون للمالك نصيب فيه<sup>(١٢١)</sup>.

والى جانب ذلك كانت الدولة تمنح الأراضي لمن يريد استصلاحها وزراعتها، وتسمح له بعد ذلك بامتلاكها بناء على حقي السقاية والعمارة. وقد ذكرت هذه المعاملات في المسند تحت عبارة «م س ت في ي ذ»<sup>(١٢٢)</sup>.

وتشير بعض النصوص إلى وجود هيئات زراعية لها اختصاصات معينة منها:

- هيئة تهتم بالأراضي الزراعية وتمنحها لأجل محدّد لمن يزرعها مقابل وديعة نقدية، ومن يخالف شروط هذه المنحة ويخرب الأرض يخسر وديعته، ويبدو أن هذه الهيئة قد ساعدت في استصلاح الأراضي وإعمارها، وسمحت للمزارعين بالعمل في حقول لمدد قد تطول أو تقصر وفقاً لرغبتهم، دون أن يترتب عليهم التزامات مالية غير الوديعة والضرائب المقررة من قبل الحكومات ورجال الدين<sup>(١٢٣)</sup>.

- وجمعيات زراعية تشألف عادة من مجالس، تضم ثمانية أعضاء، ويرأسها مسؤول، يُنتخب لوقت معلوم. وكانت هذه الجمعيات تختلف من مجتمع لآخر، ففي المجتمعات الزراعية الصغيرة كالقرى والديساكر كانت تتميز ببقلّة عدد أعضائها، وفي المجتمعات الكبيرة كالمدن، كانت تتميز بكبير عدد أعضائها، وبانضمام كبار ملاك الأراضي بها فيهم الملك إلى مجالسها. أما أهدافها فكانت الإشراف على الأراضي الزراعية، وحفظ حقوق المزارعين، وتأمين البذار وغيره، كما كان عليها أن تتحمل، أمام الدولة، مسؤولية دفع

(١٢١) جواد علي: المرجع السابق، ص ٢٢١. لطفى يحيى: المرجع السابق، ص ٢٩٩.

(١٢٢) سبون: المعجم السبئي، ص ١٣٤.

(١٢٣) Albert Jammec: Yemen expedition, Carnegie Museum of Natural history, Special Publication, Pittsburg, 1976, P84.

الضرائب وبدلات الإيجارات، وما يترتب على المزارعين من واجبات<sup>(١٢٤)</sup>. ولا ريب أن هذه الجمعيات قد اشاعت جواً من التعاون بين المزارعين، ونظمت عملية الحصاد وجمع الثمار في أوقات محدّدة، وقد ساعد ذلك في نمو الزراعة وتطورها في عصور ما قبل الإسلام<sup>(١٢٥)</sup>.

## ٥ - مخاطر الزراعة وضرائبها:

وعلى الرغم من النور الذي أصاب الزراعة العربية في العصور القديمة، وخاصّة في اليمن، إلا أنها كانت تتعرض، كثيراً، لمخاطر طبيعية وبشرية. ومن المخاطر الطبيعية: الجفاف وانحباس الأمطار لفترات طويلة، وما يتبع ذلك من قحط ونباس المزروعات وتدهور في الإنتاج، ومنها تعرض النبات للآفات الزراعية كالجراد وغيره؛ وقد أشارت النقوش الأثرية إلى هذه المخاطر وما نتج عنها من كوارث أضرت بالمزارعين، فبعض النقوش الجنوبية تتحدث عن تضرع الناس للآلهة كي تساعد في تساقط الأمطار في مواسمها، وبعض النقوش الأخرى تذكر بعض الآفات الزراعية التي كانت تفك بالغلل، من بينها أسراب الجراد<sup>(١٢٦)</sup>. ومن المخاطر الطبيعية أيضاً الفيضانات التي تسببها السيول المتحدرة من الجبال التي يعجز الفلاحون، في كثير من الأحيان، من السيطرة عليها، كالسيول التي حدثت في اليمن وهذمت سد مأرب وقضت على البساتين المجاورة. وفي جنوب شبه الجزيرة نقوش كثيرة سجلت بعض الكوارث الطبيعية التي وقعت حينذاك، كما سجلت تضرع الأهالي أو شكرهم للآلهة على حماية مزارعهم من فيضانات السيول المدمرة<sup>(١٢٧)</sup>. أما المخاطر البشرية فتشتمل

(١٢٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢٢٢ - ٢٢٤. لطفى يحيى: المرجع السابق، ص ٣٠١.

(١٢٥) جواد علي: المرجع السابق، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(١٢٦) مظهر الأرياني: في تاريخ اليمن، شرح وتعليق على نقوش لم تنشر، طبعة مصر، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٣٤. بيتون: المعجم السبئي، ص ١١٥.

(١٢٧) الأرياني: المرجع السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧.

Jamme: Inscription from Muhram Bilquis, J610/5-6, P107.

بالحروب التي أدت إلى تخريب المزارع وتدمير وسائل الري؛ ذلك أن مدم الأبار وردمها، وتخريب الحقول الزراعية وإحراق الأشجار واقتلاعها، كانت من الوسائل التي يلجأ إليها العدو لإضعاف خصمه. وقد ألحقت المعارك العسكرية أضراراً جسيمة بالقطاع الزراعي في بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام. وقد تحدثت نقوش كثيرة عن هذه الأضرار، فالنقش (جام ٧٧٥/١٤) الذي كتبه أيلشرح بحضيب وأخوه، من ملوك سبأ وذو ريدان، يذكر أن قواتهما التي هاجمت نجران، دمرت حوالي ٦٠ ألف قطعة زراعية، وهدمت ٩٧ بئراً والنقش (جام ٦٢٥) سجل تدمير أراضي زراعية وقنوات ري وأبار تابعة للعدو<sup>(١٣١)</sup>

والى جانب هذه المخاطر كانت السلطات الحاكمة ورجال الدين يقرضون على أصحاب الأراضي الزراعية ومساجرها ضرائب الزامية، يعلنونها على الناس بمراسيم ملكية، ويحتلون مندوبين لجمعها يعرفون باسم أمناء الضرائب. ويبدو أن الدولة كانت تتفق هذه الضرائب على المشاريع العامة، وعلى بيوت الأئمة. وقد أشارت بعض النقوش الأثرية إلى ترميم معبد أو إتمام بناء من الضرائب المقدمة للأئمة؛ كما أشار بعضها الآخر إلى تقديم فرائين وتمثيل من الذهب أو البرونز من عشر الإنتاج<sup>(١٣٢)</sup>. وهذا يدل على أن الضرائب الزراعية كانت تدفع نقداً أو عيناً، وأن قيمتها عشر المحصول، وأن مقدارها يختلف حسب نوع الأراضي وريها، فالأراضي التي تسقى من مياه الأمطار تدفع ضرائب أقل من الأراضي التي تسقى من مياه المشاريع كالسدود والقنوات والأبار

Jamme: Op.Cit., P128-129. Beeston: Warfare in ancient South Arabia, P40. (١٣١)

(١٣٢) أحمد شرف الدين: اللغة العربية قبل الإسلام، ف١٠، ص ١١٢، ١١٤.

Beeston: The Labakh Texts, Qatani Studies in Old South Arabian Epigraphy, P17.

أحمد شرف الدين: تاريخ اليمن القديم، ص ٢٩. يحيى نامي: نقوش حورية يرافش، مجلة كلية الآداب، المجلد ١٦، الجزء الأول، القاهرة ١٩٥١، النقش (نوبين ٢٠)، ص ٢.

Jamme: Sabaeen Inscription from Mahabib Bilqis, J610/9-10-11, P112, 151-154, J650 P5.

وعبرها<sup>(١٣٣)</sup>. وتظهر النقش (الأرياني ٢٥) أن قبائل حيدان دفعوا من حراهم الغياضي، التي تسقى من مياه السيول، عشر الإنتاج إلى الأئمة العفة، كما يحبر النقش (الأرياني ٢٠) أن قبائل بكيل دفعوا عشر المحصول من الأراضي التابعة لهم والأراضي التي يملكها أفراد القبيلة كضرائب للدولة<sup>(١٣٤)</sup>.

## ٦ - المحاصيل الزراعية:

كانت المحاصيل الزراعية في بلاد العرب، في عصور ما قبل الإسلام، كثيرة ومتنوعة، وذلك تبعاً لتنوع المناخ والبيئة الطبيعية. وقد ذكر القرآن الكريم عدداً من هذه المحاصيل، وأشارت النقوش العربية التي اكتشفت في حوض شبه الجزيرة وشمالها ووسطها إلى معظمها. ومن أبرز هذه المحاصيل النخيل والأعناب والحبوب.

وتعد شجرة النخيل من أكثر النباتات انتشاراً في بلاد العرب، إذ لا تكاد منطقة من مناطق شبه الجزيرة تخلو منها، وإن كانت كثافتها وجودة ثمرها تختلف من منطقة لأخرى. ويُعتقد أن وجودها يعود إلى عصور قديمة حيث أسفرت الدراسات الأثرية في عُمان عن وجودها منذ الألف الثالث قبل الميلاد<sup>(١٣٥)</sup>.

وأشارت كتابات العصر الهلنستي والروماني بأهمية شجرة النخيل وكثرة أعدادها في بلاد العرب وجودة ثمرها. ففي كتابه النباتات أسهب ثيوفراستوس في الحديث عن مزايا نخيل بلاد العرب، وعن طريقة زراعتها وتلقيحها وأنواع ثمرها<sup>(١٣٦)</sup>. وفي مؤلفه يذكر ديودوريس الصقلي أن ثمر شبه الجزيرة متعددة الألوان، فمنها الأصفر والأحمر والأسود، وأن أشجارها تزرع في شمال عربي

Jamme: Op.cit., 1703, P193-194.

(١٣٣)

(١٣٤) مقهور الأرياني: في تاريخ اليمن، ص ١٢٧، ١٢٨ و ١٢٩.

T. Barthoud and S. Cleuzion: Farming Community of the Oman Peninsula, by the Ministry of Information and Culture, Oman, Journal of Oman Studies, 1983, Vol6, Part 2, p245.

Theophrastus: Enquiry into Plants, Bk2, P137-139 and 155.

(١٣٦)



شبه الجزيرة على هيئة جدول مستطيلة تتخللها جداول مياة لرنيتها<sup>(١٣٧)</sup>. استرابون فقد تحدث عن فوائد النخلة وقال إنها مصدر للخبز والتخمر والنخل والعسل (الديس)، كما قال إن هناك قصيدة فارسية تذكر ٣٦٠ فائدة للنخلة. و عده الصناعات التي تعتمد على بعض أجزائها كالسعف وغيرها<sup>(١٣٨)</sup>. وفي كتاب التاريخ الطبيعي ألفرد بليسيوس فصلاً عن النخلة وفوائدها<sup>(١٣٩)</sup>. واعتبر صاحب كتاب الطواف أن التمور كانت من أهم صادرات بلاد العرب حين كانت تُنقل من ميناء عمانا (صحار اليوم) إلى الأسواق العالمية<sup>(١٤٠)</sup>. كما كنت تُصدّر من شرقي شبه الجزيرة وخاصة من ديلمون إلى بلاد الرافدين حيث كانت هذه المادة تحل فرائم واردات بلاد سومر وبابل وآشور وكلدان<sup>(١٤١)</sup>.

وقد شكّلت التمور الغذاء الرئيس لسكان شبه الجزيرة، فكان يتناولها الإنسان العربي مع شيء من حليب التوف، أو شيء من لحم الإبل في مناسبات نادرة، ويصنع من بذوره المدفوقة أقراصاً ويقدمها علفاً للإبل<sup>(١٤٢)</sup>. ويبرز اهتمام العرب بالتخيل في عصور ما قبل الإسلام، من كثرة ورودها في أشعارهم، وذكرها في معظم النقوش التي حُفِّفوها، حتى إنهم أطلقوا على المزرعة كلها اسم التخيل، فكان يقال نخلهم بدل مزرعتهم<sup>(١٤٣)</sup>.

وفي كتاب «Le Berceau de l'Islam» وردت ملاحظة ذات دلالة تشير فيها صاحبها إلى أن لفظه «نخل»، وهي مصدر من فعل نَخَلَ يفيد معنى استخلاص الشيء الطيب من غيره من الشوائب، إذن هذه الشجرة هي خلاصة

- (١٣٧) Diodorus Siculus: Library of History, Bk2, P45.  
(١٣٨) Strabo: The Geography of Strabo, bk16, P215.  
(١٣٩) Gaus Pliny: Natural History, Bk13, P115.  
(١٤٠) The Periplus, chapter 36, P37.  
(١٤١) Bernd Alster: «Dilmun» Bahrain and the Alleged Paradise in Sumerian Myth and literature in Dilmun, ed. by P.Potts Berlin, Districh Reimer Verlag, 1983, P39.

(١٤٢) لطفى يحيى: العرب في العصور القديمة، ص ٣٠٠.

(١٤٣) Jamme: Inscription from Mahram Bilqis, J 550/6, P9-10.

نورة المليص: الموقع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٣٤.

الشجر جميعاً، كذلك لفظة نمر التي هي نطق آخر لللفظة «نمر»، وكانت المقصود هو أن النمر إذا ذكر وحده فلا بد أن يكون نمر التخيل أولاً وقبل كل شيء، فإذا كان المقصود نمرأ آخر فلا بد أن يُعَدَّ نوعه<sup>(١٤٤)</sup>. هذا إلى ما نراه في الرسوم والحضريات التي تركها سكان بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام في مواضع عديدة من آثارهم، والتي يظهر فيها رسم النخلة بشكل ظاهر<sup>(١٤٥)</sup>. وإلى ما أورده كتاب المسلمين عن النخل وأنواع التمور، فقد ذكر الحسن الهمداني أنواع النمر التالية: الصغرى، السرى، الصفص، الفحاحيل، المعيني، الجعادي، الشماريخ، البياض، السواد، البري، العيب، المدبس<sup>(١٤٦)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم الذي أنزله الله تعالى على رسوله محمد ﷺ في مكة والمدينة المنورة، قد ذكر أشجار التخيل والأعناب في آيات كثيرة، وأعطاهما المكانة الأولى بين النباتات الأخرى التي أشار إليها، ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَبَثًا تَحْبُجُّ بِهِ رَبِّيعًا تَقُوتُ مِنْهُ الشَّجَرُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانُ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ نَنْظُرُ إِنَّ نَشْرَبُهُ إِذَا أُنْتَبِهُ وَنَبُوهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾<sup>(١٤٧)</sup>.

ويبدو أن زراعة الكرم كالنخيل تعود إلى عهود قديمة، وقد ظهرت أشجارها بشكل واسع، مثل أشجار النخيل، في زخارف سكان شبه الجزيرة العربية، وخاصة في دولة الأنباط وبلاد اليمن<sup>(١٤٨)</sup>، ونالت شهرة واهتماماً

(١٤٤) Henri Lammens: Le Berceau de l'Islam, Rome 1914, P85.

(١٤٥) لطفى يحيى: العرب في العصور القديمة، باب الملاحق من ٤٤١، نقش رقم ٢٠.

Jamme: Inscription from Mahram Bilqis, P9-10.

(١٤٦) الهمداني: حفة جزيرة العرب، ص ٢٠٦ - ٢٠٦.

(١٤٧) قرآن كريم: سورة الأنعام آية ٩٩، وذكرت هذه الأشجار في سورة البقرة آية ٢٦٦، وسورة الإسراء آية ٩١، وسورة النحل آية ٦٧، وورد اللفظ أيضاً في سور: مريم، الكهف، طه، الشعراء، ق، القمر، الرحمن، الحاقة، الرعد، المؤمنون، يس، آيات: ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦،

كثيرين، نظراً لكونها فاكهة طيبة الطعم، ومصدراً لصناعة الخمر في البر  
 وقرية أثابت وحجر ونجران وحوار<sup>(١١٩)</sup>. وتشير بعض النصوص العربية  
 الجنوبية إلى المعاملات التي تتعلق بزراعة الكروم، وينجفد الاعتاب زياً  
 ومن بين هذه النصوص نصٌ يشير إلى توزيع أبرمة الحبشي لحصص من الزبيب  
 على العمال، بمناسبة إسهامهم في ترميم سدّ مارب<sup>(١٢٠)</sup>. وأسهب الشعراء  
 الجاهليون في وصف الكرم والخمرة معاً، وأشدّ الأعشى الكبير بأعثر  
 أناقت، إحدى مدن نجران، وقت قطانها وعصرها حيث قال:

أحب أناقت بوم الفسطا ف وقت عصارة أعنايتها<sup>(١٢١)</sup>  
 وعذد الهذاني أنواع العنب، فذكر: الأحمر والأبيض، والجريش  
 والملاحى والزبادى والتوكي والتري والرمادي<sup>(١٢٢)</sup>.

وذكرت الكتب الإغريقية والرومانية الزيتون كأحد محاصيل بلاد العرب.  
 واشتهرت به بلاد الأنباط والبحرين وتدمر وسوريا وفلسطين، وتعتبر مصدراً  
 رئيساً للزيت قديماً وحديثاً<sup>(١٢٣)</sup>. وتعدّ شجرته، مع شجرة التين، مباركة، إذ  
 باركها الله سبحانه وتعالى، وجعل زيتها صائباً، لا يؤثر عليه حرّ ولا برد،  
 ويكاد يضيء ولو لم تمسه نار، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَهُ نُورٌ  
 الشَّجَرِ وَالْأَنْبُسُ تَلُّ نُورِهِ كَيْفَ كَوْنٍ فِي يَصَاحٍ أَيْصَاحٍ فِي رَجَابٍ الرَّجَابُ كَلَّهَا كَوْنُ  
 فَرَى يَوْمَهُ مِنْ شَجَرٍ تُبْرَكُ زَيْتُونُ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ يَكَادُ زَيْتُهَا يَبْقَى وَنُورُ

(١١٩) يستون المعمع السني، ص ١٧.  
 (١٢٠) جواد علي: المعصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٧٣. لطفي يحيى: العرب في  
 العصور القديمة، ص ٣١٢.  
 (١٢١) راسد من الأطلال يحكى الرجوع إلى الأب الويس شيخو اليسوعي: مختارات من معاني  
 الأدب في حداث العرب، الجزء الأول: العصر الجاهلي، تريب وشرح وتحقيق قواد أوز  
 الساني، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦١.  
 (١٢٢) الحسن الهذلي: صفة جزيرة العرب، ص ٩٧ و ٣٥١ والإكليل، ج ٨، ص ١١٩.  
 (١٢٣) Strabo: Geography, Bk16, P343. Pliny: Natural history, Bk13, P115 Philp  
 Hammond: The Nabataean, their History Culture and Archaeology, Swe-  
 den, Paul Astroms Forlag, Gothenburg 1973, P73.

تَسْتَسْ كَلُّ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ إِنَّهَا رَأْفَةٌ  
 بِكُلِّ قَوْمٍ عَلِيمٌ ﴿١٢٤﴾

وفي سورة أخرى يقسم الله تبارك وتعالى بالتين والزيتون فساً حازماً بالله  
 سبحانه خلق الإنسان في أحسن تقويم.. ويعطي، عذراً وعلاً، للشجرة اسم  
 شجرة التين، وما ذلك إلا ليوحه فكر الإنسان ويصره إلى مائتين الشجرتين  
 ومكانتهما عند الله تعالى، وما فيهما من فوائد ومنافع للناس. يقول الله سبحانه:  
 ﴿وَالْأَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ ﴿٢﴾ الَّذِي هَدَى النَّاسَ إِلَى سَبِيلِ الْإِسْلَامِ ﴿٣﴾ إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ الْأَوَّلَ ﴿٤﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٥﴾﴾<sup>(١٢٥)</sup>

وتعيش شجرة التين في البراري، وتزرع في البساتين والقرى، وقد  
 اشتهرت بزراعتها المرتفعات الغربية، والجبل الأخضر في عمان، وفي نجد  
 والبحرين، وشمالى شبه الجزيرة وسوريا ولبنان وفلسطين.. ويؤكل طرياً  
 ومجففاً باباً<sup>(١٢٦)</sup>.

وتشير النقوش العربية إلى وجود نبتة القطن في بلاد العرب<sup>(١٢٧)</sup>. كما  
 تتحدث المصادر القديمة عن وجود القطن في شبه الجزيرة العربية، حيث كان  
 ينمو برياً في مرتفعات ظفار وفي جزيرة البحرين، وكان يشكل أحد صادرات  
 شبه الجزيرة إلى الخارج<sup>(١٢٨)</sup>. وكان يزرع في بلاد العرب الكتان، وهو مصدر

(١٢٤) قرآن كريم، سورة النور، آية ٣٥.  
 (١٢٥) قرآن كريم، سورة التين، الآيات ١-٤.  
 (١٢٦) يوسف القليم: جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري، ص ١٢١.  
 (١٢٧) Pliny: Natural history, Bk12, P29. Glueck: The other side of Jordan, P182.  
 (١٢٨) محمود الروسان: القائل التمددية والصغوية، دراسة مقارنة، عبادة شؤون المكتبات، جامعة  
 الملك سعود، الرياض ١٤١٧هـ، ص ١١١. يوسف القليم: الجزيرة العربية في كتاب المسالك  
 والممالك للبكري، ص ١٢١. حسن صالح شهاب: أصداء على تاريخ البحر العربي، دار  
 العودة، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨١، ص ١٥٥-١٥٦.  
 Theophrastus: Enquiry into plants, bk4, P343. Pliny: Natural history, (١٢٨)  
 Bk12, P27. Western Arabia and the Red Sea, P395. The Periplus of the  
 Erythraean Sea, P71



عام للربيع والخيل والنسج والألبسة. وقد عُثر على آثار حيويه في فخار جنوب شبه الجزيرة العربية الذي يعتبر المصدر الرئيس له، ومن هناك صُدِّق إلى أسواق مصر (١٦٥٩).

وتأتي الحبوب في الدرجة الثانية بعد التمور كمصدر للغذاء في بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام. ويحتل القمح المرتبة الأولى بينها، ويُزرع في بطن الأودية وواحاتها، وزراعته تستمر طوال العام، فهو يُزرع شتاءً في الأقسام الشمالية والوسطى من شبه الجزيرة العربية، ويُزرع صيفاً في الأقسام الجنوبية منها، حسب اختلاف مسافات الأمطار (١٦٦٠).

وكانت البلاد العربية تنتج كمية كبيرة من القمح، وتُعرف في القديم بإمراءات روماً؛ أما ما يرد إليها من الخارج، فهو عبارة عن هدايا كان يتوقدها الرومان لملوك جفيرة للسماح لهم بارتياح الموانئ العربية والمتاجرة فيها، على حد ما جاء في كتاب الطواف (١٦٦١). ولزراعة القمح كانت الأراضي تُحرث مرتين، سواء الأراضي البعلية أو الأراضي المروية، ويُحصَد المحصول في نهاية الموسم باقتلاع السابل من جذورها، أو يقطعها بالمتجل المعدني، ثم يُداس لفصل الحب عن القش، إما بواسطة المزارعين أنفسهم، وإما باستخدام الحيوانات التي تجر حجراً من خلفها على البيادر التي تكون عادة مبلطة بأحجار الغرانيت، ويعدّها يُذرى باليد أو المدواة أو باستعمال سلال مخصصة لذلك. يُحزّكها القلاح في الهواء، ثم تجمع الحبوب وتخزن في مخازن خاصة داخل البيوت ويُطحن نسم منها. أما القش الذي يُسمى تبناً فيستخدم علناً للحيوانات (١٦٦٢).

(١٦٥٩) توبة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(١٦٦٠) Western Arabia and the Red Sea, P483-484.

(١٦٦١) The Periplus, Chapter 17, P31.

(١٦٦٢) حراد علي: المنفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٥٣.

Western Arabia and the Red Sea, P481. Kamal Abdulfattah: Mountain Farmer and Fellah in Asir, South West Saudi Arabia, Erlanger Geographische Arbeiten, Erlangen 1981, P50.

وتذكر النقوش العربية الجنوبية أن الذرة انتقلت من شرقي أفريقيا إلى شبه الجزيرة العربية منذ عهد مسكر، ومنها انتقلت إلى الهند عن طريق عُمان. وقد ظهرت في بلاد العرب منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وتُزرع الذرة في الأراضي البعلية، وفي الأراضي المروية، وتنتج أكثر من محصول في العام الواحد، ويتم جمع المحصول ويُداس ويُذرى كالقمح. وذكر الهمداني أن الذرة كانت تُخزن في مدافن تحت الأرض حتى أن بعضها يسع خمسة آلاف نمبر، وكانت الذرة تُطحن ويصنع منها الخبز، وتُقدّم أوراقها وأغصانها علناً للماشية (١٦٦٣).

وتُعرف الشعير في بلاد العرب منذ زمن قديم، وتحديدًا منذ الألف الثالث قبل الميلاد في عُمان، والألف الأول قبل الميلاد في جنوب شبه الجزيرة، وهو يُطحن ويُصنع منه خبز أكثر الأعراب وخاصة الأمراء منهم. ويُقدّم القش والحب علناً للحيوانات. والشعير أنواع منه: الشعير العربي وهو أبيض وحنه كبير، والشعير الحبشي وهو أسود الحب (١٦٦٤).

وكان العرب يزرعون الدخن، وهي حبوب تشبه الذرة إلا أنها أصغر منها، وزراعته لا تحتاج إلى عناية كبيرة، لذا كان الفلاحون يثبون بذورها في الأراضي البعلية، وبخاصة في القيعان والسهول الرملية، وتنبث خلال ثلاثة أشهر، ويُحصَد ويُداس ويُذرى كالقمح، ويُصنع من دقيقها الخبز الذي يعتبر مصدراً هاماً لغذاء البدو، كما يقدم الدخن علناً للحيوانات (١٦٦٥).

ومن الحبوب الطهف وهو أشبه ما يكون بالدخن. وله حبة حمراء ودقيقة

(١٦٦٣) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢١٥ و ٢٦٠. يستر: المعجم السبي، ص ٤٩. الغنيلي: الخلاف السلطاني، ج ١، ص ٤٩.

Western Arabia and the Red Sea, P480. Abdul Fattah: Mountain Farmer and Fellah in Asir, P46.

(١٦٦٤) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيفة: المنفصل، الجزء ١١، طبعة مصر ١٩٣٦، ص ٦١. توبة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٣٨. الطيبي: العرب في العصور القديمة، ص ٣٠٣. حراد علي: المنفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٥٩.

Western Arabia and the Red Sea, P480. Abdul Fattah: Mountain Farmer and Fellah in Asir, P49.

تشبه حبة الدرة، ويسمى القطهف طبعياً، ويؤزرع في الشعاب والجبال وفي الجرد التي تمتلئ بمياه الأمطار، ولا يحتاج إلى عناية كبيرة، ولا إلى فترة كبيرة لينضج، بل ينمو بسرعة كالدخن، ويصنع من حبوبه الخبز، كما يقدم علفاً للماشية<sup>(١٦٦)</sup>.

ومن نباتات شبه الجزيرة العربية السمسم الذي يؤزرع في اليمن كالحبوب، ويستخرج من حبوبه الزيت بعد عصرها إذ أن الحبة الواحدة منه تعطي نصف وزنها زيتاً، وقد عُثر على بقايا معاصر السمسم في جنوب شبه الجزيرة، مما يدل على انتشار هذه الصناعة هناك. وكان زيت السمسم يدخل في غذاء الإنسان العربي وفي صناعة أدوية<sup>(١٦٧)</sup>.

ومن الحبوب التي تؤزرع في بلاد العرب أيضاً القول والحمص والعدس والبقلة والكرشة والشوفان والكتّون الذي يغطي زيتاً وهو من الشوابل. ومن محاصيله كذلك قصب السكر الذي تحدث عنه بليتوس فقال إنه يسيل منه سائل أبيض غليظ كاللبان وينضج باللسان<sup>(١٦٨)</sup>. والزمان والموز والخرخوخ والسفرجل والإجاص والتفاح، واللوز والجوز وهما من الأشجار التي تنمو بزياد، وأخشابهما صلبة كانت تستخدم في البناء<sup>(١٦٩)</sup>. وذكرت بعض المصادر أن الزنجبيل كان من منتجات شبه الجزيرة، وقال بليتوس أن له مزارع خاصة. ومن خصائصه سرعة التمسوس<sup>(١٧٠)</sup>.

ومن المفيد أن تشير إلى بعض مناطق الإنتاج الزراعي في بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام.

(١٦٦) Western Arabia and the Red Sea, P482-483.

نورة العلي النجم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٣٨.

(١٦٧) Western Arabia and the Red Sea, P595. Abdul Fattah: Mountain farmer and fellah in Asir, P51.

(١٦٨) Pliny: Natural history, Bk12, P23.

(١٦٩) البعثاني: الإقليم، ج ٨، ص ١١٩. وصفة جزيرة العرب، ص ٣٥٦. عزام: أسماء جبال تهامة سكانها ص ١٧ و ٦١.

(١٧٠) Pliny: Natural history, Bk12, P21.

وتعد اليمن قديماً، من أكثر مناطق شبه الجزيرة العربية تحضرًا، وقد دعاها جغرافيو العرب باليمن الخضراء، وفيها يقول الكلاعي:

هي الخضراء فاسأل عن رباها      يسبرك البهائم المخشرون  
ويحطرها المهيمن في زمان      به كل البسرة يظلمون  
ولهي أجبالها عسز عريسز      يعقل له البوري مثاقيرنا<sup>(١٧١)</sup>

وأطلق عليها اليونان اسم بلاد العرب السعيدة (Arabia Felix)، وذلك لكثرة خيراتها ومزارعها وأشجارها وتخليها وأثمارها ومياهها. ويقول ميروبولس إنها تؤلف أريجاً عطرياً، لأنها البلاد الوحيدة التي تنتج البخور والعز والفصيلة<sup>(١٧٢)</sup>. وذكر ابن الفقيه أن في اليمن من أنواع الخشب وغرائب الثمر وطوائف الشجر ما يستصغر ما ينبت في بلاد الأكاسرة والقيصرية<sup>(١٧٣)</sup>.

وكانت الزراعة في اليمن تعتمد على الأمطار، وخصوصاً الأمطار الموسمية التي كانت توفر للفلاحين الماء الكافي، لسقي البساتين وزراعة الحبوب: كالثب (القمح) والشعير والذرة. التي توسعت زراعتها عقب انهيار سد مأرب<sup>(١٧٤)</sup>، كما تعتمد على مياه الري التي كانت توفرها السدود والأحواض. وكان النخيل يكثر في مناطق تجران ووادي الجنات ومأرب. وكان أكثر تمر صناعاً يأتي من مخلاف مأرب، وبها جنس يقال له الرئيس. ووزعت كروم العنب على اختلاف أنواعه على السفوح المنخفضة وفي مخاليف صنعاء ووادي الجنات والأماكن الأخرى التي تتوفر فيها المياه<sup>(١٧٥)</sup>. وكان أهل اليمن يكثر من زراعة الكروم، بدليل ورودها في كثير من نصوص التمسنة، وفيها أن أصحابها غرسوا كروماً في مناطق معينة... وحفروا صوامع أغصان العنب

(١٧١) محمود شكري الألويسي: بلاد العرب، باعتناء محمد بهجت الأنري، دار الكتاب العربي، مصر ١٣٤٦هـ، ص ٢٠٣.

(١٧٢) جاكولين بيريس: اكتشاف جزيرة العرب، ترجمة فتحي قلعجي، بيروت ١٩٦٤، ص ٣٦٨.

(١٧٣) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص ٩١.

(١٧٤) ي. أ. بليانييت: العرب والإسلام والحضارة العربية في القرون الوسطى، ص ٩٢.

(١٧٥) الهندامي: حفة جزيرة العرب، ص ٧٩ و ١٠١ و ١١٦.



ومما يزيد في الأحجار وعلى ألواح الجبس والأخشاب للزخرف والزينة<sup>(١٧٦)</sup>.  
وعب اليمن احتباس الألوان وأحجام. وقد نسب بعضها إلى أماكن زراعتها،  
نسبها: العنب الجرشى وهو منسوب إلى مدينة جرش في اليمن، والعنب  
الكلامي وهو منسوب إلى مدينة كلاف في شق اليمن<sup>(١٧٧)</sup>.

ومن اشجار اليمن المشمرة أيضاً: الزئبان والتفاح والإجاص والخوخ  
والجوز واللوز... وغيرها، ومن خضرها: القثاء والخيار والبصل والثوم،  
وبعض أنواع البقول: كالعدس والحمص والبقول، وأحلاف الحيوانات وما  
شابهها<sup>(١٧٨)</sup>.

ونستنتج مما ذكره جغرافيو العرب من كثرة القرى والغلال، أن الزراعة  
في حضرموت كانت تتركز في واحات الوادي الكبير، والشعاب المنفرجة عنه.  
وكان الناس يزرعون، في هذه الأودية التي تكثر في قيعانها آبار الماء، النخيل  
والبئر والذرة، ويستخدمون في أعمال الفلاحة الأدوات الحديدية والحيوانات في  
الحراثة، وذلك على شاكلة جيرانهم اليمنيين<sup>(١٧٩)</sup>. واشتهرت حضرموت ولفظ  
بإنتاج اللبان الذي كانت مصر الفرعونية تستخدمه مع اللبان اليمني والصومالي،  
كالبحور في المعابد، وفي تحنيط جثث الموتى. كما اشتهرت بشجرة العز التي  
كانت تزود في الجبال ولها بساكن على سواقي<sup>(١٨٠)</sup>.

وفي عُمان كانت تكثر المياه الجوفية التي تظهر، في كثير من الأحيان،  
على سطح الأرض، أو تستخرج بواسطة الآبار. وقد ساعد ذلك على انتشار  
الواحات العامرة بحقول الفاكهة وبساتين الزمان والموز وغيرها، والتي كانت

عامرة أيضاً بحقول الحبوب في سهل البامنة الساحلي، وفي واحات السفوح،  
وفي بعض الأودية الخصبة التي تخترق نجد وعُمان<sup>(١٨١)</sup>.

وكانت البمامة غزيرة المياه، وذات عيون وآبار، ومزارع ومراع، ومن  
أرضها: العزى أو وادي حبيقة الذي يشهد من غرب جبل طويق، وشجيرة  
شرفاً نحو الخليج العربي، وهو واد هام تكثر فيه المياه الجوفية، وتنبيل فيه مياه  
الأمطار عند هطولها<sup>(١٨٢)</sup>. وكان بنو حبيقة قد سكنوا البمامة قبل ظهور الإسلام  
بمئة قرنين من الزمان، وقد ازدهرت مدينة خيبر في عهدهم، واتخذها العرب  
سوقاً من أسواقهم، يقدرون إليها من الأقاليم المختلفة للبيع والشراء<sup>(١٨٣)</sup>. وفي  
كتب التاريخ والجغرافية عند العرب القدماء، ذُكرت البمامة بأنها كانت من  
أخصب البلاد أرضاً، ومن أكثرها مياهاً وزرعاً وتخللاً. أما محاصيلها فكانت  
الحبوب والنخيل والأثمار، وقد اعتمد عليها المكيون قديماً للحصول على ما  
يحتاجون إليه من حبوب<sup>(١٨٤)</sup>. وقال أهل البمامة: «لا أطيب طعاماً من حنطنا  
(قمحنا)، ولا أشد حلاوة من تمرنا، ولا أطيب مضغة من لحمنا، ولا أعذب  
من مائتنا»<sup>(١٨٥)</sup>.

وكان للواحات دور مهم في اقتصاد شبه الجزيرة العربية، لا يقل شأناً عن  
دور المناطق الزراعية الواسعة، بل إن دور الأولى مشتمل لدور الثانية منهما،  
والواحات مناطق واسعة خصبة تشمل حقولاً صالحة للزراعة، وبساتين فاكهة،  
وأجمات نخيل، يرويهما جميعها ينوع ماء لا ينضب مبعته. وتنتشر الواحات في  
عسير والحجاز وأواسط نجد والنفود الكبرى وجبل طويق (شعر) ووادي  
الدواسر والأحساء، وفيها قرى كبيرة وصغيرة ونخل وزروع، وأسواق تجارية

(١٨١) الحسن الهمداني: حفة جزيرة العرب، ص ٨٦. جواد علي: المعجم في تاريخ العرب قبل  
الإسلام، ج ١، ص ١٦٢.

(١٨٢) جواد علي: المفصل، ج ١، ص ١٦٢.

(١٨٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٢١ - ٢٢٢. ج ٣، ص ١٠٢ - ١٠٣. ابن منظور:  
لسان العرب، ج ٥، ص ٢٤٢.

(١٨٤) الحموي: المعجم السابق، ج ٥، ص ٤٤٢. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ١٠٣.  
الهمداني: حفة جزيرة العرب، ص ١٣٩ - ١٤٠. ابن خلدون: كتاب العبر وديوان السند  
والخير، ج ٢، ص ٤٤. جواد علي: المفصل، ج ١، ص ١٦٤.

(١٨٥) ابن الفقيه: كتاب البلدان، ص ٨٧.

ومعابد للآلهة، ومراكز لمؤين لاستراحة القوافل التجارية التي تمر بجانيها. وكان يقطن الواحات قبائل متحضرة، اعتمدت الزراعة كمورد رئيس في حياتها. وقد تحولت بعض هذه الواحات إلى مدن ومراكز حضرية كبرى كقشرب (المدينة المنورة) والطائف ودومة الجندل وغيرها<sup>(١٨٦)</sup>.

أما يثرب التي كانت تمتلك إمكانيات طبيعية هائلة، فهي تمتاز بكثرة مياهها السطحية والجوفية، وبترتتها البركانية الخصبة، وبمناخها المعتدل نسبياً، وكانت أوديتها تفيض بالمياه فتروي أرضها. وكان الفلاحون يسقون نخيلهم وزروعهم من هذه المياه، فيقتسمون المياه فيما بينهم<sup>(١٨٧)</sup>. وفي الأوقات التي تنشق فيها الأودية أو تجف، وفي الأماكن التي لم تكن تصل إليها، كان الناس يستخدمون مياه الآبار في إرواء مزارعهم، وقد أشار ياقوت الحموي إلى ذلك بقوله: «نخيل المدينة وزرعها تُسقى من الآبار عليها العبيد»<sup>(١٨٨)</sup>. وكان المزارعون يستخدمون الجمال والثيران والحمر في منح الماء بالدلاء من الآبار الكبيرة الواسعة لرعي البساتين والحقول. ويعمل الفلاحين الدؤوب، ونشاطهم الجهم، وخبراتهم المتراكمة مع الزمن تحولت يثرب إلى واحة كبرى عامرة بأجاص نخيل، وبساتين التواكه والخضروات وحقول الحبوب<sup>(١٨٩)</sup>. وقد أطلق عمرو بن الورد في شعره على منطقة يثرب اسم «ميت النخل»:

فإنكم لن تبلغوا كل همتي ولا أربي حتى ثروا ميت النخل<sup>(١٩٠)</sup>  
وقال حسان بن ثابت في وصف هذه البيئة:

غرسوا لينها (نخلها) بمجرى معين ثم غصصوا الخسيل بالأطعام  
ببشرب قد شيدوا في النخيل حضوناً وذجن قبيلها الشعم

(١٨٦) بلديات العرب والإسلام... ص ٩٦ - ٩٧.

(١٨٧) صحيح البخاري شرح الكرماني الجزء الأول، المطبعة البهية المصرية، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م، ص ١٧٥ - ١٧٧. أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الحاخلية وعهد الرسول، ص ٣٥٦.

(١٨٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٢.

(١٨٩) الحموي: المعتمد السابق. أحمد بن أبي يعقوب الحموي: كتاب البلدان. مطبعة بريل - ليدن ١٨٩٩، ص ٣١٣.

(١٩٠) ديوان عمرو بن الورد، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المعين طرعي، دمشق ١٩٦٦، ص ١١٤.

وفيما انتبهوا من عصر القطاف وعيش رضى على غيرهم<sup>(١٩١)</sup>.

وكانت أوسع أراضي المدينة وأخصبها وأكثرها غلة بأيدي أثرياء القبائل ووجهائها من يهود وعرب. فقد روى بعض المؤرخين أن الحبر اليهودي مخبريق كان غنياً كثير الأموال من النخل، وكان له سبعة بساتين<sup>(١٩٢)</sup>. أما محاصيل المدينة وضواحيها فقد كانت من النخيل، والحبوب كالحنطة (قمح) والشعير، والعبب والزمان والموز والليمون والبطيخ، والبقول، والخضر كالفرع واللوبياء والسلق والبصل والثوم والفتاء. وكان النخيل أهم مزارعات المدينة وعليه يعتمد أهلها بالدرجة الأولى. وقد اكتسب مزارعوها خبرة بغرس وزراعتها وتحديد المسافة بين فسيلة وأخرى، وشروط التباعد بين غرسه وامتداد جريده، ورعايته والحفاظ علىه. ووقايته من الآفات الطبيعية بتغطية عروقه وحراسته والدفاع عنه<sup>(١٩٣)</sup>. كما اكتسبوا خبرة في التمييز بين أنواع التمور الجيدة والأقل جودة، وقالوا إن أجود ثمر المدينة: الصيحاني، والعجوة، والجشيب، واللوز وهو أصغر شديد الصغرة تُرى الثروة من اللحمة.

وكان هؤلاء المزارعون خاصة، وسكان المدينة عامة، يصنعون من جذوع النخل أعمدة لبيوتهم، وحفلات لسقوفهم، ويمشون من جريدها سفوفاً لمنازلهم، ويعملون من خوصها مكائيل وففناً، ويرضخون الثوى بالعراض حتى يتكسر فيكون علماً للإبلهم. وكانوا يعتمدون على التمور، فجبل طعامهم من الثمر، وبه يتعاملون فمه تدفع الأجور وتُسدد الديون<sup>(١٩٤)</sup>.

(١٩١) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور سيد حقي حسين، القاهرة ١٩٧١، ص ١٣٧ - ١٣٨. (١٩٢) أبو محمد عبد الملك بن هشام - السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة الحلبي، القاهرة ١٩٣٦، ص ٢٠. نور الدين علي بن جمال الدين أبو المحاسن عبد الله شهاب الدين السهمودي: وقاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج ٢ مطبعة الأدب والسويد. القاهرة ١٣٢٦هـ، ص ١٥٢ - ١٥٣.

(١٩٣) البهوتي: كتاب البلدان، ص ٣٦٣. ابن سيده: المحقق، ج ١١، ص ١٠٢ و ١٣٥. أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الحاخلية وعهد الرسول، ص ٣٥٨.

(١٩٤) الشيخ عبد الحمي الكشاني: نظام الحكومة النبوية المستنيرة للترتيب الإداري، الجزء الأول، دار الكتاب العربي - بيروت، لا تاريخ، ص ١٠٠ - ١٠٣. صحيح البخاري شرح الكرماني، ج ٣، ص ٦٣ و ٧١ - ٧٢. السهمودي: وقاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ج ٢، ص ١٥٤. أحمد الشريف: مكة والمدينة في الحاخلية وعهد الرسول، ص ٣٥٧.



ويبدو أن يهود المدينة كانوا يملكون معظم مزارع النخيل، ويتاجرون  
بشمره مع حبوب الشعير ودقيقه في أسواق المدينة ولا سيما سوق بني  
فيلنفاع<sup>(١٩٥)</sup>. وكان وادي العقيق الذي هو عبارة عن مجموعة أودية شطفتها  
السيول، احتضنت أودية المدينة وبطاحها، ففيه كانت تحفر الآبار التي لا تزال  
أثار بعضها باقية إلى اليوم، وبه تتدفق مياه العيون، وتعتمد مزارع النخيل،  
وتقوم المصايف والمقترحات التي تحجبها الأشجار الخضراء<sup>(١٩٦)</sup>.

وإلى الشمال من يثرب، على طريق القوافل ما بين المدينة والشام، تقع  
واحة خيبر التي اشتهرت بكثرة أوديتها وعزارة مياهها، ويخصب تربتها البركانية،  
ويوفر مزارعها ونخيلها، وكان سكانها يعتمدون على وسائل الري المعروفة  
لديهم لزراعة بساتينهم ومحاصيلهم من النخيل وحبوب القمح والوافر  
الإنتاج<sup>(١٩٧)</sup>.

وكانت واحات، وادي القري الذي كان محطة مهمة من محطات  
القوافل التجارية بين بلاد الشام واليمن، ووفرة المياه، تسكنها قبائل غنية من  
اليهود، وقد مارست الزراعة المروية، وأقامت حول مواضع المياه مستوطنات  
وقرى عديدة، عاشت على شمر النخيل وإنتاج الحبوب من الحبوب والبقول  
وغيرها<sup>(١٩٨)</sup>.

ولم تقل مدينة الطائف أهمية عن غيرها من واحات شبه الجزيرة العربية.  
بإضافة جزأها في العقيق، وبغزارة مياهها، وبغنى وخصوبة تربتها، وبإنتاجها  
الزراعي الوافر، فكانت تعتبرها البعض المدينة الثانية في الحجاز بعد مكة من  
حيث الأهمية الاقتصادية، واسمها كان يقرن عادة مع اسم مكة، فيقال مكة من

(١٩٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٥٩.

(١٩٦) باقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٨، ١٣٩، اليهودي: المصدر السابق،  
ص ٢١٠، محمد بن محمود الجار: أخبار مدينة الرسول، الذرة الثانية، تحقيق صالح محمد  
جمال، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣١.

(١٩٧) باقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٩، ص ٤٠٩، دائرة المعارف الإسلامية، ج ٩، ص ٥٤.

(١٩٨) الحموي: المصدر السابق، ص ٤١٩ - ٤٢٠.

الطائف، والطائف من مكة، وكانتا اسمين بالقرنين<sup>(١٩٩)</sup>. يقول الله سبحانه  
وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى نَجِثٍ مِّنَ الْقُرْآنِ مُطْفِئٍ﴾<sup>(٢٠٠)</sup>.

أما سكانها فكانوا من قبائل: غفيف وحجير وهوازن ومذهل والأوس  
والخزرج ومزينة وجهينة وقريش ويهود. وقد مارست هذه العناصر حرفة  
الزراعة، وأنشأت القرى والمزارع والبساتين، وأقامت الطائف بحسن حصن  
لحماية نفسها وممتلكاتها من الطامعين والغزاة، وكانت الطائف محتلة على  
جانب وادي وخب، وحول بيوت هاتين المحتلتين، وعلى سفوح جبل خمران،  
كانت تنتشر مزارع الكروم والبساتين على اختلافها، وتعتمد إلى نحو ٣ أو ٤  
كيلومترات من مركز العمران فيها<sup>(٢٠١)</sup>.

وتعتبر المنطقة الإنتاج الزراعي الأول في الطائف، وعليه كانت تعتمد  
حواضر الحجاز وخاصة مكة. فكانت القوافل من السراة والطائف تحمل الحنطة  
والحبوب والسمن والعسل إلى أم القرى<sup>(٢٠٢)</sup>. في حين كان العنب ثروة الطائف  
الاقتصادية، وكان إنتاجها من الكثرة بحيث يذكرون أن سليمان بن عبد الملك،  
قد مر بالطائف في طريق عودته من إزاء قريضة الحج، فرأى يبادر الزبيب فقال:  
«ما هذه الحرفة؟ قالوا: ليست حرفة ولكنها يبادر الزبيب»<sup>(٢٠٣)</sup>.

وذكر المتدس أن في أكتاف الطائف كروماً على جوانب جبلها فيها من  
العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان، وأما زبيبها فيضرب بحصه

Henri Lammens: La cité Arabe de Taif à la veille de l'Islam, Beyrouth (١٩٤٥)  
1922, 3٢2.

عبد العزيز سالم: تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٩، ص ٢٧٤.

(٢٠٠) قرآن كريم، سورة الزخرف، آية ٣٩.

(٢٠١) باقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٩ - ١١.

(٢٠٢) أبو الوليد، محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق: أخبار مكة وما عداها من الآثار، بيروت  
١٩٦٤، ص ١٩٢.

نسب اليه إلى أهل الطائف الكفاية والذخيرة، لاعتناءهم الجيش على الحنطة. فعدا هذا مضرب

الأمثال. دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٥، ص ٥٥.

(٢٠٣) ابن القتيبي: كتاب البلدان، ص ٢٩.

المثل<sup>(٢٠١)</sup> ومن أشهر هذه الكوروم: كرم عمرو بن العاص الذي غرس فيه ألف ألف عود على ألف ألف خشبة ابتاع كل خشبة بدرهم، ووادي لينة الذي قال فيه خفاف بن ثدية.

سرت كئي وأودون زقوة دافع وجلدان أو كرم بلينة محذوق<sup>(٢٠٢)</sup>  
وكوروم عباس بن عبد المطلب، وأبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، وعبة بن ربيعة وأخيه شيبة بن ربيعة وغيرهم. وقد اتخذ أغنياء قريش في تلك المناطق منازل لهم، كانوا يلجؤون إليها في فصل الصيف هرباً من حر مكة، إذ كانت الطائف مصيفاً لأهل مكة ومزاراً استجمام وصيد لهم<sup>(٢٠٣)</sup>. وفي غني الطائف وكرمها يقول شاعرها أبو محجن النخعي:

إذا مت فادفني إلى أصل كرمه      تروي عظامي بعد موتي عروقها  
ولا تدفنيوني بالفلاة فلتأني      أخاف إذا مت ألا أذوقها<sup>(٢٠٤)</sup>

ومن محاصيلها أيضاً: النخيل والتمر والزمان والتين والخوخ والفرجل والبطيخ. إلا أن أفضلها التمر والعنب؛ أما التمر فكان يشتمع بشهرة كبيرة، فهو ثمر طري مثلي، يوحد الضرس<sup>(٢٠٥)</sup>.

ولا ريب أن نمو الزراعة في الطائف، وتنظيم عملية الري، وبناء الأسوار والأبراج، وتطوير الصناعة وبخاصة صناعة الأسلحة، وتنشيط التجارة وتنظيم

(٢٠١) شمس الدين أبو عبد الله من أحمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بابل - لبنان ١٩٠٦، ص ٧٩.

(٢٠٢) أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الفقيه الهمداني: مختصر تاريخ البلدان، لبنان ١٨٨٤. بانوت الحموي، المعجم، ج ٥، ص ٣٠٠ و ٣٨٦.

(٢٠٣) بانوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٦. المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٩٥. أحمد بن يحيى بن حاتم البلاذري: أنساب الأشراف، تحقيق حميد الله، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩، ص ٥٧ و ١١٢.

(٢٠٤) عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٦٨.

(٢٠٥) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٧٩. بانوت الحموي: المعجم، ج ٥، ص ٩. أبو عبد الله سعيد بن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، بيروت ١٩٦٠، ص ١٣٢ و ١٥٤.

Lazems: La cité arabe de Taif à la veille de l'Hégire, P33.

حركة العمران، تدل على مؤشرات إيجابية في توسيع الأسواق الموسمية، وفي تطوير الاقتصاد والسير به نحو الشكامل والتعاقد بين كافة مناطق شبه الجزيرة العربية.

وفي شمالي شبه الجزيرة العربية عدد من الواحات: كواحات الجوف أو دومة الجندل التي تقع في شمال صحراء النفود. وفي أسفل مجرى وادي سرحان الذي كان يشكّل أكبر واحة في بلاد العرب الشمالية بعد تباه، ومن ثمّى بسائين النخيل ومحاصيل التّرع<sup>(٢٠٦)</sup>. وكانت دومة الجندل وحصنها (مارد) أهم مدن هذه الواحة التي امتازت بغزارة مياهها ووفرة علاتها<sup>(٢٠٧)</sup>.

وفي وادي الرمة وجبل شمر وأواسط نجد ووادي الدواسر، واحات كثيرة كانت تسكنها قبائل مستقرة أو نصف رحل، اعتمدت الزراعة وتربية المواشي مورداً رئيساً لكسب معاشها. بقي الرمة وفروعه أراضي خصبة، تتوافر فيها المياه على أعماق مختلفة، وتتمزّب إليها من المرتفعات التي تشرف عليها وبخاصة من جبل شمر ومن الحرار الغربية. وفي واحات وادي الرمة وشعابه، قامت تروى ومزارع النخيل وحقول القمح حول الآبار والينابيع<sup>(٢٠٨)</sup>.

واشتهرت واحات طيء (جبل شمر) بوفرة ينابيعها ومياهها القريبة من سطح الأرض، وبترتها الخصبة الصالحة للزراعة، وبمراعيها الغنية التي تنتشر على سفوح الجبل. وكان يقطن بلاد شمر - السهل الواسع بين سلسلي جبلي أجا وسلمي - قبائل طيء، وهي قبائل مستقرة ونصف راحلة، وقد اعتمدت على الزراعة وتربية الماشية في تأمين معاشها. وكانت تكثر في هذه المنطقة زراعة الحبوب والفواكه وخصوصاً أشجار النخيل التي تنمو فيها نمواً كبيراً<sup>(٢٠٩)</sup>.

(٢٠٦) بانوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٨٧. دائرة المعارف الإسلامية، ج ٧، ص ١٦٨.

(٢٠٧) بانوت الحموي: المصدر السابق. دائرة المعارف الإسلامية، ج ٧، ص ١٦٨. جواد حسنة قلب جزيرة العرب، الرياض ١٩٦٨، ص ٤٨.

(٢٠٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٨٢.

(٢٠٩) حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٦٧، ص ٥٧.



أما واحات وادي الدواسر وفروعه وشعابه، وأهنها واحة السليل التي تقع في وادٍ رملي، مكثون من الثفاء الأودية في قلب أعالي جبل طويق (جبل في نجد الوسطى)، فتقوم فيها فري ومزارع النخيل والكروم وبساتين الفاكهة وحقول القمح<sup>(٢١٣)</sup>.

## ثانياً: رعي الماشية:

### ١ - أنواع الرعي:

نشأت مهنة الرعي على تدجين الحيوان وتربية المواشي، وعلى النباتات والأعشاب الطبيعية التي كانت تنبت في أماكن مختلفة من بلاد العرب، وهي مكتملة للمزراعة وتابعة لها، وتشكل إحدى ركائز الاقتصاد العربي في عصور ما قبل الإسلام. وكان الرعي حينذاك نوعين: رعي ثابت ورعي متنقل.

ويُفصد بالرعي الثابت، الرعي الذي كان يمارسه سكان بعض القرى والمدن والواحات، حيث كان الرعاة من مربي الحيوانات أو الفقراء أو العبيد، يخرجون بالماشية صباحاً إلى المراعي القريبة، ثم يعودون بها مساءً إلى حظائرهم. ويبدو أن هؤلاء السكان كانوا يمارسون مهنة الرعي وتربية الماشية جنباً إلى جنب مع المهن الأخرى: كالسجارة والصناعة والزراعة التي كانت تعتبر المورد الرئيس في حياتهم.

أما الرعي المتنقل فهو الرعي الذي امتنعت القبائل العربية غير المستقرة في البوادي، والذي يُعتبر المصدر الرئيس لمعيشهم ووزقهم؛ إلى جانب ما يقومون به من أعمال سلب ونهب لبعض الواحات القريبة للأراضي التي يقيمون عليها، وذلك عن طريق سرقة غارات على هذه الواحات، ونهب جزء من محصولها من الثمر وغيره. أو عن طريق بسط نفوذهم على هذه الواحات، والحصول على نسبة من الإنتاج، لقاء عدم تعرضهم لسكانها أو لحمايتهم من مغيرين آخرين<sup>(٢١٤)</sup>.

(٢١٣) المرجع نفسه، ص ٥٠ - ٥١.

(٢١٤)

Lammens: Le Berceau de l'Islam, P85.

كما كانت هذه القبائل البدوية تستفح بمرور القوافل النجوية في أراضيها، وتحصل منها على مبالغ مالية لقاء حمايتها، وتقديم ما تحتاج إليه من خدمات. وإرشادها إلى الطريق الآمن. ونقلاً عن الكاتب اليوناني أولمبيدوروس، يشير استرابو في هذا الصدد إلى قوافل البخور والطيب الآتية من جنوبي شبه الجزيرة، وكيف أن سكان كل منطقة كانوا يسلمونها إلى سكان المنطقة التي تلهم، حتى تصل هذه القوافل إلى بلاد سورية<sup>(٢١٥)</sup>.

وكانت بعض هذه القبائل تمتنع أيضاً حرفة الزراعة في مواسم الأمطار، حيث كانت تستقر بالقرب من مواطن الحضر مثل بهامة ورأس مستدم ومحمراء النقب، وتزود الحبوب كالدخن وغيره في قيعان الأودية والسهول الجبلية، ثم ترحل إلى البادية بعد تمام المحصول وحصد<sup>(٢١٦)</sup>.

وكذلك كانت هذه القبائل تقوم بדרך صلة الوصل بين البادية والحضر، ذلك أن الدول المتاخمة للصحراء، سواء في وادي الرافدين أو في بلاد الشام، كانت تحمي نفسها من غارات أهل البادية بإقامة حراسة مشددة في المناطق المتاخمة للحدودية، وبالسماح للقبائل البدوية بالاستقرار في بعض هذه المناطق المتاخمة، وبالمساهمة مع مدنها القريبة، حيث كانت هذه القبائل تحمل متوجاتها من الألمان والأجبان والوبر والصوف لتبادلها بسلع تلك المدن. وقد تزاوَل هذه القبائل حرفة الزراعة أو بعض الحرف الأخرى، أو يتخبط بعض أفرادها في قوات هذه الدول ليرتزقوا. ويبدو أن دور هذه القبائل قد تطور عندما اتخذت الدول الكبرى، في ذلك الوقت، مناطق البادية المتاخمة لها مناطق تابعة نصبت عنها الغارات الخارجية، كحالة الدولة الفارسية التي كانت تسيطر على منطقة وادي الرافدين، وحالة الدولة البيزنطية التي كانت تسيطر على بلاد الشام.

(٢١٥) لظني يعني: العرب في العصور القديمة، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P19

P.Costa: Notes on traditional hydraulics and agriculture in Oman, P288. (٢١٦)

Kamal Abdulfattah: Mountain Farmer and Fellah in Asir South West Saudi Arabia, P57.

قد حوّلت هاتان الدولتان المنطقة البدوية المتاخمة لها إلى إمارة تابعة تساعدوا وتساندها مادياً ومعنوياً، لقاء قيام هذه الإمارة بالتصدي للغارات الآتية من بدو الصحراء. وهكذا قامت إمارة المناذرة على الحدود الغربية لوادي الرافدين، وإمارة الغساسنة على الحدود الشرقية لبلاد الشام، بهذه المهمة<sup>(٢١٧)</sup>.

#### ب - ملكية الرعي:

كانت المراعي ملكاً عامة للقبيلة، يرعى بها القوم ماشيتهم، فلا يحز لأحد من أفرادها، شيخاً كان أم مقاتلاً، أن يمنعهم من هذا الحق. غير أن هذه الملكية العامة لم تكن ملكية دائمة، بل كانت تزول بفقد المراعي وانتقال القبيلة إلى مكان آخر أكثر غشياً. ومع وجود المراعي العامة، التي كان الزعماء والقادة والملوك يشاركون الناس في رعي دوابهم فيها، كانت توجد مراعي خاصة لرعي القبيلة أو رئيس الدولة أو لرجال الدين باسم المعبد<sup>(٢١٨)</sup>؛ وهي التي عُرفت حينذاك بنظام الحمى، ذلك أن هؤلاء أو أحداً منهم كان يحمي أراضي رعية خصبة ليرعى بها حيواناته الخاصة، أو حيوانات الدولة المقدسة للحروب كالخيل والإبل أو المخصصة لمؤونة الجيش من الأغنام والأبقار والإبل، أو المؤونة للمعبد باسم الإله للتذود وغيرها. وقد وردت ألفاظ عربية جنوبية تدل على انتشار هذا النظام في بلاد العرب منها: محمت (م - ح - م - ت)، وعته (ع - ت - ه - د)، وريضو (و - ر - ب - ض - و)، وعشبت (ع - ش - ب - ت) وغيرها<sup>(٢١٩)</sup>.

ويعود نظام الحمى في شبه الجزيرة العربية إلى الألف الأول قبل الميلاد، وقد مارسه الملوك وأقبال اليمن وحملوا بعض المناطق لاستعمالهم الخاص. كما مارسه الدولة الأشورية، حيث كانت تمنح بعض زعماء القبائل العربية في شمال شبه الجزيرة، أراضي رعية خاصة بهم، لقاء خدمات يقومون بها، كالمحافظة

(٢١٧) لطفى يحيى: العرب في العصور القديمة، ص ٢٩٢ - ٢٩٤. فيليب حش، وأدورد جوميا وجيرابيل حيدر: تاريخ العرب، دار غندورا، الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٧٤، ص ٥٢ - ٥٤.

(٢١٨) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٢٩ و ٣٠.

(٢١٩) بيتون: المعجم السنني، ص ٢١ و ٢٢ و ١١٤.

على الأمن والنظام في مناطقهم وعلى الحدود، وحماية القوافل التجارية من الخطر والنهب من الجماعات المغامرة أو اللصوص<sup>(٢٢٠)</sup>. وفي اليمن اكتشف نقشان صادران عن الإله ثالب الذي كان يُعتبر إله الرعي في جنوب شبه الجزيرة. أحدهما: يستع الرعاة من سوق مواشيهم إلى منطقة معينة تابعة للمعبد. وثانيهما: يحمي أراضي رعية لصالح قبيلة ويُحذر القبائل الأخرى المجاورة من الاقتراب منها والرعي فيها<sup>(٢٢١)</sup>.

#### ج - مناطق الرعي ونباتاتها:

تمتاز منطقة شمالي شبه الجزيرة العربية، التي تقع بين صحراء النفود وأواسط يابسة الشام، بخصب أراضيها وجودة مراعيها وخاصة في فصل الربيع. ويستدل على ذلك من الكتابات التي نُقشت على الصخور المنتشرة هناك<sup>(٢٢٢)</sup>، والتي تركتها القبائل العربية التي سكنت فيها وترد أسماء بعض هذه القبائل في كتابات بلاد ما بين النهرين، وفي الكتب القديمة والمقدسة<sup>(٢٢٣)</sup>.

وتنمو في منطقة وسط شبه الجزيرة الواسعة أعشاب كثيرة، وشجيرات خاصة، وخصوصاً في حقول ونيعان وبعض الأودية، ولكنها لم تكن بكثافة أعشاب المناطق الأخرى، بسبب قلة الأمطار وتدنيتها<sup>(٢٢٤)</sup>.

وكانت مراعي شرق شبه الجزيرة غنية ونابة، وذلك لارتفاع نسبة الرطوبة

LEPihal: The Ancient Arabs: Nomads on the Border of the Fertile Crescent 9-5th Century B.C. second Ed., the Magnes Press, Jerusalem 1984, P90-100.

A.F.I. Beeston. The TA'Lab Lord of Pastures Texts, Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol 17, London 1955, P154-156.

نور العلي النعيم: الوضع الاقتصادي الجزيرة العربية، ص ١٥٧.

(٢٢٢) محمود محمد الروسان: القبائل البدوية والصغوية، دراسة مقارنة، ص ١٤١ و ١٤٧ - ١٤٨.

(٢٢٣) عن هذه القبائل وعلاقتها مع بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام يمكن الرجوع لكتاب.

LEPihal: The Ancient Arabs.

(٢٢٤) عمر عبد المجيد دراز: المراعي ووسائل تحسينها في المملكة العربية السعودية، مطابع الرياض، الرياض ١٣٨٥ هـ، ص ٣٢ و ٣٦.

Western Arabia and the Red Sea, P198.



فيه، وتتكون الندى الذي ساعد على نمو الأعشاب والنباتات، وبسبب انتشار الراحات وخاصة الواحات الداخلية التي تقع في أسفل سفوح المرتفعات. وتعد عُمان من أهم مناطق تربية الإبل في بلاد العرب. أما أقاليم الغربية فتشتهر مراعيها المتظلة في الدهناء والصحان<sup>(٢٢٥)</sup>.

وتنتوع في مناطق غرب وجنوب شبه الجزيرة المظاهر الطبيعية وكميات الأمطار المتساقطة، ويتنوع معها تبعاً لذلك الغطاء النباتي والمراعي. وكانت المراعي تكثر في المرتفعات التي يصعب على الإنسان زراعتها، وفي السواحل التي ترتفع فيها نسبة الرطوبة وتزيد كميات الأمطار التي تنحدر من الجبال الغربية؛ كما تكثر في المنحدرات الشرقية للمرتفعات وخصوصاً في بطون الأودية الكبيرة التي تجنب السكان زراعتها، نظراً لعظم السيول وشدة تدفقها؛ وقد كانت الأعشاب تنبت بكثافة في هذه الأودية حيث يغلب عليها النوع الثابت من الرعي<sup>(٢٢٦)</sup>.

غير أن الإسلام قد حرم جنس الأفراد من زعماء وغيرهم، وأبقى جنس الدولة والناس. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «الناس شركاء في الماء والكلأ والنار» ويقول أيضاً: «لا يمتنع فضل الماء لمتنع به فضل الكلأ»، «ومن منع فضل الله لمتنع به فضل الكلأ منعه الله فضله يوم القيامة»<sup>(٢٢٧)</sup>. وقال أبو عبيد: «وأن أول الجنى المعني عنه، في ما نرى، والله أعلم، أن تحصى الأشياء التي جعل رسول الله ﷺ الناس فيها شركاء، وهي الماء، والكلأ، والنار»<sup>(٢٢٨)</sup> وأما ما أباحه الرسول ﷺ للناس كافة، وجعلهم فيه أشرة هو الماء، والكلأ، والنار.

(٢٢٥) عمر دواز: المرجع نفسه، ص ١١ و ٣١، محمود طه أبو الغلاء: جغرافية شبه الجزيرة العربية، مؤسسة سجل العرب، الجزء الأول، القاهرة ١٩٧٢، ص ١٧٥.

(٢٢٦) عمر دواز: المراعي ووسائل تحسينها في المملكة العربية السعودية، ص ٤٣ و ٤٧، محمود طه أبو الغلاء: جغرافية شبه الجزيرة العربية، ج ١، ص ١٧١.

(٢٢٧) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت نشرين الثاني، ١٩٨١، ص ١٢٤.

(٢٢٨) المصدر نفسه.

وذلك أن ينزل القوم في أسفارهم وبلادهم بالأرض فيها النبات الذي أخرجه الله للأنعام مما لم ينصب فيه أحد بحزث ولا غرس، ولا سقي، فهو لمن سبق إليه، ليس لأحد أن يحتفلر منه شيئاً دون غيره، ولكن ترعاه أتعامهم ومواشيهم ودوابهم معاً، وشرد الماء الذي فيه كذلك أيضاً، ويقول ﷺ: «المسلم أخو المسلم، يسهما الماء والشجر» فهي رسول الله ﷺ أن يحمي من ذلك شيء إلا ما كان من جنس الله ورسوله أي للدولة. ومذهب الجنى لله ورسوله أو للدولة يكون في وجهين: أحدهما أن تحصى الأرض للخيال الغازية في سبيل الله، فقد حمى رسول الله ﷺ التقيع وهو موضع معروف بالمدينة لخيال المسلمين. وثانيهما أن تحصى الأرض لنعم الصدقة إلى أن توضع مواضعها وتقرن في أهلها، وقد عمل بذلك عمر بن الخطاب الذي قال: «الملك مال الله، والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ما حطت من الأرض شجرة في شبر». وقال أبو عبيد: «فحمى عمر لإبل الصدقة ولابن السبيل جميعاً»<sup>(٢٢٩)</sup>.

أما الأعشاب التي تنبت في هذه المراعي فهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها: العرنصان، والبقيل، والذرق، واليعقيد، والمكان، والشفافي، والخمخ، والبسفة، والزباد، والصفراء، والحريث، والأفحوان، والخرامن، والصماء، والفت، والشداء، والمكرو، والخطرة، والنضي، والسبط، والثقام، والشمام، والعرفج. ومنها بعض أعشاب الحمض: كالقمضاء، والرمث، والغصة، والفرغل وهو من أطيب أنواع الحمض فإذا رعت الإبل قبل هي حوامض وأعطت لبناً طيباً، وإذا رعت السجاء أعطت لبناً أخشراً، وإذا رعت المرار جاء لبنها من أمر الألبان<sup>(٢٣٠)</sup>. ومن الأعشاب أيضاً: الرعم وهي من الحشائش التي ترعاهم الأغنام، والعثرب الذي ينمو على أطراف الأودية وعلى حدود المناطق الزراعية وترعاه الإبل، والعسلبيان وهو نبات له شفة تحيه الإبل ويستقيه العرب خبزة الإبل<sup>(٢٣١)</sup>.

(٢٢٩) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٢٣٠) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٠٢.

(٢٣١) الأصفياني: بلاد العرب، ص ٢٩٧.

Abdul fattah: Mountain Farmer and fellah in Asir, P71.

## ثالثاً: تربية الحيوانات:

### ١ - الحيوانات الأليفة:

كان معظم سكان بلاد العرب في القديم يعملون في تربية الماشية، وكانت الإبل أهم هذه المواشي على الإطلاق، ويأتي الغنم والخيول والأبقار والماعز والحمير في المرتبة الثانية، أما الماعز فيربي في الجبال ويندر في المناطق الأخرى<sup>(٢٣٢)</sup>.

وتحدد ظروف الطبيعة، وأحوال المناخ والطقس، ولا سيما كمية الأمطار التي تساقط في بلاد العرب، وما ينتج عنها من مراعي، أنواع المواشي التي يمكن تربيتها. ومن المشاكل التي كانت تعانيها القبائل العربية في حياتها الرعوية، قلة المياه، وندرة الأمطار، وعدم انتظام سقوطها؛ وقد ينحبس المطر مدة قد تطول ثلاث أو أربع سنوات، مما ينزل بالسكان أفدح الأخطار. وكانت القبائل تطلق على هذه السنين العجاف اسم «السنوات الرمادية» أو «سنوات الشيب»؛ فكانوا يضطرون إلى الارتحال من مواطن الجفاف بأغنامهم إلى نجد اليمن أو إلى بلاد الشام والعراق ومصر. ويحدثنا الأصبهاني أن بطوناً من خزاعة خرجوا إلى مصر والشام لأن أرضهم أجبرت<sup>(٢٣٣)</sup>.

ونظراً، في حوران والبادية الشرقية من بلاد الشام، آثار مزارع وأماكن، كانت مأهولة بالسكان، وقد جاؤوا إليها من شبه الجزيرة، واستقروا في مواضع تتوافر فيها المياه، وزرعوا وبنوا البيوت، واشتغلوا ببعض الحرف كغزل الصوف ونسجه، وماوسوا التجارة بين الأعراب وسكان المدن والقرى البعيدة عن البادية<sup>(٢٣٤)</sup>.

وكانت تربية الحيوانات قائمة على نتائج الطبيعة بوجه عام، فليس ما يحميها من الفز والحز ورياح السحوم والجفاف والسيول المندقة التي قد تحرق القطيع والبيوت والناس<sup>(٢٣٥)</sup>.

ويعتبر الجمل في العصور القديمة سفينة الصحراء، وهو أقدم الحيوانات وأعزها عند العرب. وفي رأي بعض الباحثين كان الجمل يعيش وحشياً بسيطاً في الأجزاء الشرقية أو الجنوبية - الشرقية من شبه الجزيرة العربية. وقد أشار الجاحظ إلى ذلك بقوله: «زعم ناس أن من الإبل وحشياً... قرعوا أن تلك الإبل تعيش في أرض وبار، لأنها غير مسكونة»<sup>(٢٣٦)</sup> ثم تم تدجينه في الألف الثاني قبل الميلاد. ويفضل الجمل اتصال عرب الجاهلية بعضهم ببعض، وقامت مدن وقرى في مواضع نائية متوزعة من بلاد العرب، وازدهرت التجارة، وعمرت الطرق البحرية بالقوافل، وكان الجمل يخترقها بغير كمل أو ملل، صابراً على الجوع والعطش<sup>(٢٣٧)</sup>.

ومن المؤكد أن الجمل يسير نحواً من خمسة وعشرين يوماً في الشتاء، ونحواً من خمسة أيام في الصيف دون أن يذوق الماء<sup>(٢٣٨)</sup>. وإذا شارب له القوت في المراعي الربيعية من الأوراق الخضراء والحشائش، فإنه يستطيع البقاء حياً دون ماء أسابيع عدة. والجمل قنوع ومتواضع في طعامه وشرابه، إذ يكتفي بالغذاء اليابس من العود، ومزه القاسي من النبات الشوكي<sup>(٢٣٩)</sup>، ويشرب الماء الآسن الكدر. وفي الواحات الغنية بزراعة النخيل كان العرب يطعمونه نوى النمر سحروشاً، كما يطعمونه في شواطئ اليمن الجنوبية الجراد والسحك المجفف أو المطحون<sup>(٢٤٠)</sup>.

وكانت الإبل تُربى في مختلف أقاليم بلاد العرب، وخاصة في الواحات وحول المدن. وقد استخدمها الإنسان العربي في تنقلاته وأسفاره وحروبه، وفي أعماله الزراعية، ونقل بضائعه وتجارته التي كانت مزدهرة بين اليمن والعراق وبلاد الشام عبر مكة ويثرب وغيرها. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه التجارة

(٢٣٦) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: كتاب الحيوان الجزء الأول طبعة الباني مطبعة لا تاريخ، ص ١٥٩.

(٢٣٧) حواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٩٩.

(٢٣٨) المرجع نفسه، ج ٥، ص ٣٣٩. فيليب حتي: تاريخ العرب، ص ٢٧.

(٢٣٩) طبائيف: العرب والإسلام، ص ٨٥.

(٢٤٠) الجاحظ: كتاب الحيوان، ج ٢، ص ١١٢.

(٢٣٢) طبائيف: العرب والإسلام، ص ٨٣.

(٢٣٣) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، الجزء الثالث عشر، ص ٥.

(٢٣٤) رنية ديس: العرب في سورية قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، طبعة مطبعة القاهرة ١٩٥٩، ص ١.

(٢٣٥) المرجع نفسه، ص ٩١ - ٩٦.



في سورة قُريش، يقول الله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، فَاعْبُدْنِي وَأَقِمْ وَصِيَّتِي﴾ (٢١١). ولأنهم في الأودية والشعاب المجاورة التي كان ينبت فيها الكَلأ وبعض شجيرات رعوية في مواسم معينة من السنة (٢١٢)، أما سكان المدينة الحثيرة، الذين كانوا يملكون ثروة كبيرة من الإبل، فكانوا يطعمونها من الشجيرات الرعوية ومن بعض الأشجار التي تنبت في أراضيهم (٢١٣). وكان للإبل وغيرها من المواشي سوق نشطة في مكة، إذ اتخذ الأعراب الجمل مقياساً للثروة والمال، وبه كانت تُقَدَّر أثمان السلع والحاجيات، وتُدفع الذيات والفديات والمهور وما شابهها (٢١٤).

ويظهر من نفوس بلاد ما بين النهرين كثرة أعداد الجمال في شبه الجزيرة العربية مثل النقوش التي ذكرت أن الملك العربي جندب قَدَّم ألف جمل،

(٢١١) قرآن كريم: سورة قريش، أية ١ - ٢.

(٢١٢) ابن سيدة: الخصص، ج ١٧، ص ٩٢.

(٢١٣) بلاييف: العرب والإسلام، ص ٨٦ - ٨٧.

(٢١٤) عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجوزي المعروف بابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، الجزء الأول، دار الشعب، القاهرة ١٢٨٠ هـ، ص ١٠٩.

(٢١٥) تقي الدين أحمد بن علي المغربي: أمتاع الاستماع بما للرسول من الآيات والأموال وأحفظه والمتاع، الجزء الأول، تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة مصره القاهرة ١٩٤٦، ص ١٤٧.

(٢١٦) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ٢٦٩، فليب عن تاريخ العرب، ص ٤٩.

كمساعدة منه، إلى أمراء الشام في حروبهم ضد شلمنصر الثالث؛ والنقوش التي أشارت إلى القبائل العربية التي أهدت أعداداً ضخمة من الجمال إلى ملوك بلاد الرافدين (٢١٧). وفي النقوش السودية والنقوش وجدت الجمال بأسماء مختلفة مثل: البكرة والبكر والمطية والثاقفة والإبل (٢١٨). واشتهرت من الإبل: القطرية نسبة إلى قطر، والمهريّة نسبة إلى بلاد المهرة، والجرنية نسبة إلى بلاد حرس باليمن، والأرحبية من أرحب في بلاد همدان، والصوفية والسككية وهي مخصصة للنقل (٢١٩).

وكانت الأغنام واقرة، وتربى في البادية والحضر، وفي كل أقاليم بلاد العرب، للاستفادة من لحومها وصوفها وألبانها، ولذبحها في بعض المناسبات الدينية. وتحدثت هيروdot في القرن الخامس قبل الميلاد عن نوعين من الأغنام في شبه الجزيرة العربية: نوع امتاز بألوة سمينة في مأخونه، والآخر امتاز بذيول طويلة (٢٢٠).

أما الماعز فكان يُربى في المناطق الجبلية بصورة خاصة، وعلى مختلف الشلال المنتشرة هناك بصورة عامة، وذلك للاستفادة من لحومها وألبانها وجلودها وشعرها الذي تُصنع منه الخيام السوداء. وكانت أنواع من الماعز تعيش برية أيضاً (٢٢١).

والى جانب هذه الحيوانات، مارس العرب في القديم تربية الأبقار في المناطق الزراعية والقرية من مصادر المياه، حيث كان المزارعون يعتمدون عليها في حراثة الأرض، وفي رفع الماء من الآبار أو الخزانات، وفي تشغيل مطاحن

I Eph'at: The Ancient Arabs, P5-15, 76.

(٢١٧)

(٢١٨) محمود الروسان: القبائل السوديّة والصوفيّة، ص ٤٠٧.

(٢١٩) الأهمداني: صفّة جزيرة العرب، ص ٣٦٢، الجاحظ: انبصر بالتجارة...، ص ٣٥.

Herodotus: The History of Herodotus P141.

(٢٢٠)

مصطفى كمال عبد العليم: هيروdot يتحدث عن العرب وبلادهم، المصور، دار المرح، المجلد الثاني، الجزء الأول، لندن، الرياض ١٩٨٧، ص ١٥.

(٢٢١) جواد علي: المعجم في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٠٢.

الحبوب والزيوت. كما رويها للانتفاع بلحمها وخليجها<sup>(٢٥٢)</sup>. واشتهرت في بلاد العرب فصائل جيدة من الأبقار مثل: الجواميس، والبقر المملعة، والجندي، والخديرية، والجيلانية<sup>(٢٥٣)</sup>.

وكانت في بلاد العرب كذلك الخيول التي اشتهرت بأصالتها وجمالها. ويُعتقد أن الموطن الأول لهذه الخيول كان في منطقة بحر قزوين، ومن هناك استوردتها الكاشيون والحثيون وتعلموا تربيتها، ونقلوها إلى بلاد الشام منذ ما يزيد على ألفي عام قبل الميلاد. ثم أدخلت إلى شبه جزيرة العرب قبل ميلاد النبي عيسى عليه السلام، حيث نهيات لها السبل للاحتفاظ بنقاوة دمها وخلوصها من الهجنة والاختلاط<sup>(٢٥٤)</sup>. وهنالك توالدت وتكاثرت، وغلب عليها الطابع العربي، وأصبحت تُعرف باسم الخيول العربية الأصيلة، التي زاد الطلب على شرائها واقتنائها. وبذلك تحولت يادبة العرب إلى مركز توالد لهذه الخيول ومصدر لها. وفي القرن الثامن الميلادي أدخل العرب المسلمون الخيل إلى أوروبا عن طريق إسبانية حيث خلفت أثرها الدائم في أنسابها من الخيول المغربية والأندلسية<sup>(٢٥٥)</sup>. وخلال الحروب الصليبية تلتفت الخيول الإنكليزية بخيول عربية أصيلة، فاكتسبت دماً جديداً ونسلاً معيماً. ويُعتبر «الكخيلا» من أهم الخيول العربية الأصيلة، فهو يتميز بجمال جسمه وقوة احتماله ونباة وإخلاصه لسيدته وتعلقه به، وقد اتخذ الأوروبيون مثلاً يحتذى في تربية الخيول الجيدة والممتازة<sup>(٢٥٦)</sup>.

وكان اقتناء الخيل في بلاد العرب من الأمور الكمالية، التي يسعى إليها البدوي لتحقيق أغراضه في الغزو والتهرب وممارسة الألعاب الرياضية كرمي

الجريد والسباق والصيد، ولذا كثر وجودها عند الأثرياء من المشايخ والمفكرين وكبار رجال الدولة<sup>(٢٥٧)</sup>. وتؤكد الرسوم التي تركها سكان شبه الجزيرة على صدور المنطقة على وجود هذه الخيول وأهميتها؛ كما تؤكد النقوش الحربية التي تعود إلى القرنين الثاني والثالث الميلاديين وما بعدهما، والتي ظهرت فيها صور فرق الفرسان، على أن هذه الخيول لم تصبح أداة قتالية عند العرب إلا في عصور متأخرة. ويبدو أن فرق الفرسان قد كثر وجودها في الفترات الحضرمية، وذلك يعود إلى أن سكان حضرموت كانوا يعتمدون، في غالب الأحيان، على فرسان البدو للقتال إلى جانبهم. ولم تدخل هذه الخيول إلى اليمن إلا في عهد الدولة السبئية - الجعفرية، حيث بدأت تستعمل في الحروب كإداة قتالية، مما أدى إلى إحداث تغيير في موازين القوى لصالح اليمنيين حينذاك<sup>(٢٥٨)</sup>. وظل عرب الحجاز إلى ظهور الإسلام، لا يملكون أعداداً كبيرة من الخيل، مع أنها كانت أداة قتالية مهمة جداً، نظراً لسرعتهما وخفتها ومرونتها في المعركة<sup>(٢٥٩)</sup>. وقد ضرب الله تعالى المثل بها باعتبارها مصدراً من مصادر القوة لإرهاب العدو، ومصدراً من مصادر الثروة والجاه في تلك الجفنة من الزمان<sup>(٢٦٠)</sup>.

ومن حيوانات بلاد العرب الحميم التي كان معظمها يُربى في المدن والقرى، للاستخدام في النقل إلى مسافات قصيرة، أو للإفادة منها في الأعمال الزراعية؛ كرفع الماء من الآبار وحراثة الأرض وفصل الحب عن القش. وقد اشتهرت هجر التي تقع في شرقي شبه الجزيرة العربية بحميمها الجيدة، كما اشتهرت اليمن أيضاً بأنواع جيدة منها مثل: الحضرمية والمعافرة<sup>(٢٦١)</sup>.

Albert Jamme: Sabaeen Inscriptions from Ma'ram Bilqis, P90 and 218 (197)  
Beaton: Warfare in Ancient South Arabia, P11 j643 P45, j665 P52.

(٢٥٨) يستون: المعجم السبي، ص ٤٦.

(٢٥٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢٦٠) قرآن كريم، سورة آل عمران، آية ١١، سورة الأنفال، آية ٦١، سورة النحل، آية ٨، سورة العنكبوت، آية ٦، سورة الإسراء، آية ٦٤.

(٢٦١) الهمداني: صفات جزيرة العرب، ص ٢٦٣.

F. Vidal: The Oams of Al Hana, P171.

Western Arabia and the Red Sea, P499. (٢٥٦)

(٢٥٧) الجاحظ: الفصيح بالبحار، ص ٤١. الهمداني: صفات جزيرة العرب، ص ٢٦٢. يوسف الجهم: الحروب العربية في كتاب الصالح والمالكة للبكري، ص ٢٧.

(٢٥٨) حتى وأختران: تاريخ العرب، ص ٤٨، جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٩٩.

William R. Brown: The Horse of the Desert, New York, 1929, P123. (٢٥٩)

حتى وأختران: تاريخ العرب، ص ٤٨. (٢٦٠)



أما البعال فكانت قليلة في بلاد العرب، وقادرة الاستخدام، على الرغم من أنها قادرة على تأدية خدمات، يعسر على النحل أو يعجز عن القيام بها في تلك البلاد المتعددة التضاريس الطبيعية<sup>(٢٦٦)</sup>.

## ب - الطيور الداجنة:

وإلى جانب الحيوانات الأليفة التي أشرنا إليها، اهتم العرب عامة، وسكان المناطق الزراعية خاصة، بتربية عدد من الطيور مثل: الدجاج والأوز والبط. وذلك لما تقدمه هذه الطيور للإنسان من لحم طري ومبيض مفيد ومغذ<sup>(٢٦٧)</sup>.

## ج - تربية النحل:

تعتبر تربية النحل من الحرف الأساسية في بلاد العرب في العصر الحاضر. وقد اشتهرت به مدن وفقرى عديدة، وصنعت له القفازات، وإقامتها على أشجار البساتين، وفي الحقول والمزارع والكهوف، وبين الصخور، وبالقرب من المنازل والخيم... ويعيش النحل أيضاً في البراري والجبال، وعلى أغصان الأشجار، ويكثر وجوده في المناطق الباردة والنجود، ويقال في الأغوار<sup>(٢٦٨)</sup>. وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَأَوْسَىٰ زَكَرِيَّا إِذْ هَبَّ دُونَهُ قَالَ لَا يَأْتِيكُمُ الْغَيْثُ إِلَّا فَرَقًا وَقَالَ رَبُّهُ لَهَذَا صَبْرٌ مُّجْتَمِعٌ وَمِمَّا يَمُنُّ بِهِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلِدُوا وَلَهُمْ صِغَارٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِن قَبْلِهِمْ وَبِهِمْ جَنَّتْ حُلُوفُ الْكَافُرِينَ﴾<sup>(٢٦٩)</sup>.

وتشير الدراسات الأثرية الحديثة إلى شهرة بعض أقاليم شبه الجزيرة العربية بتربية النحل وجودة عسلها منذ القديم. ومن هذه الأقاليم: المرتفعات الغربية في جبال السراة، ومرتفعات الجول وجبل هنوم - الذي يعدّه الهمداني من أكثر بلاد الله عسلاً - في جنوبي شبه الجزيرة، وأودية حضرموت مثل وادي عمد ورازي جردان، ومرتفعات وادي جرذا وجبل العمود وجبل حضور<sup>(٢٧٠)</sup>.

وتحدث بعض الرحالة الأوروبيين عن تربية النحل في شبه الجزيرة، فذكر ويلستد أن خلايا النحل كانت توجد في كهوف المرتفعات الغربية<sup>(٢٧١)</sup>. وأشار هوسكوت إلى طريقة تربية النحل في اليمن، معتبراً أنها لا تختلف عن الطريقة التي كانت متبعة في مصر الفرعونية منذ عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد<sup>(٢٧٢)</sup>.

وكانت تربية النحل من الأعمال المهمة التي مارسها أهل الطائف، وكان العمل أحد مصادر ثروتهم، فكان من يهاذي به في مكة والعراق وسائر بلاد العرب<sup>(٢٧٣)</sup>. وقد ذكر البلاذري أن أم سلمة زوج الرسول ﷺ كان لها نيب بالطائف يهديها عسلاً<sup>(٢٧٤)</sup>. وذكر أبو حنيفة الدينوري أن السراة أكثر أرض العرب عسلاً وعنباً وتيناً وزبيباً وروثاً، والسراة كلها باردة لذلك كثر بها النحل ونل النخل، وأن أرض اليمن كلها عسل<sup>(٢٧٥)</sup>. واشتهرت صنعاء بالشهد الحضوري الماذي الذي يُقطع بالسكاكين. وفيه قال امرؤ القيس:

كَأَنَّ الْمَسْكَ وَالْكَافُو رِبَالَحَ الْيَمَانِي  
عَلَىٰ أَنْبَابِهَا وَغَنَاءُ مَعَ الشَّهْدِ الْحَضُورِي<sup>(٢٧٦)</sup>

وكذلك اشتهر بتو سُلَيْم بتربية النحل وتصدير العسل، وكانت لهم تجارة في ذلك، وقد بقيت على شهرتها في العصر الإسلامي<sup>(٢٧٧)</sup>.

ومن أجود أنواع العسل عند العلماء، ما طابت ريحه، وعذب طعمه، وصدقت خلواته، ومن حتى إذا مددته امطد، وشابه لونه لون الذهب، الذي إذا نظر على الأرض استدار، واستجمع على نفسه كما يستجمع فاطر الزئبق. والعسل مختلف الألوان والطعوم والروائح والمناخ والريّة والعصا والكندر وكثرة

(٢٧٨)

Wellested: Travel in Arabia, vol 2, P256.

(٢٧٩) Hugh Scott: In the High Yemen, John Murray, London 1942, P58-59.

(٢٨٠) الهمداني: حفا جزيرة العرب، ص ١٩٨.

(٢٨١) البلاذري: أنساب الأشراف، ص ١٢٧.

(٢٨٢) أبو حنيفة الدينوري: كتاب السات، ص ٢٦٦.

(٢٨٣) الهمداني: حفا جزيرة العرب، ص ١٩٨.

(٢٨٤) ابن مجاور الهندادي التيسابوري: حفا بلاد اليمن ومكة والحجاز، المساء تاريخ المنصور

ص ١٤.

(٢٦٦) حواديلي: المعقل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٠١.

(٢٦٧) المرجع نفسه، ج ١، ص ١٤٧.

(٢٦٨) أبو حنيفة الدينوري: كتاب السات، ص ٢٦٦.

(٢٦٩) قرآن كريم، سورة النحل، آية ٦٨.

(٢٧٠) الهمداني: حفا جزيرة العرب، ص ١٤٧ و ٢١٥ و ٢٥٠ و ٣٥٧.

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P311.

Western Arabia and the Red Sea, P513.

الحلارة وفلتها، وكل ذلك على قدر النبات الذي يمتص وحيقته النحل<sup>(٢٧١)</sup>  
وكان العمل من أشهر الأطعمة عند العرب القدماء، فيه كانوا يتفنون،  
ويتعاجلون من عدد كبير من الأمراض. وفي ذلك يقول الله تعالى: **فَإِنَّ فِي بَرِّ**  
**كُلِّ اقْتَرَبَ فَانْتَفَى سُلَّ رَبِّكَ ذَلِكَ يَنفَخُ بِنَافْثَتِهَا شَرَّاتٍ تُخْفِلُ أَوْتَمَ فِيهِ يَدُهُ**  
**لَتَأْتِيَ بِأَفْئِدَةٍ لَّيَّةٍ لِّقَوْمٍ يَعْتَزُّونَ** ﴿٢٧٢﴾<sup>(٢٧٢)</sup>.

#### رابعاً: صيد الحيوانات البرية والبحرية:

تحدثنا كتب التاريخ والأدب ودواوين الشعراء عن عدد كبير من الحيوانات  
البرية التي كانت تعيش في بلاد العرب. وقد مارس العرب في القديم هواية  
صيد هذه الحيوانات والطيور، واستخدموا في صيدهم الكلاب وأسلحة. السهم  
والنصال والرمح. وكان الصيد بواسطة الخيل بعد متعة ومظهراً من مظاهر  
القوة. ومن فوائد الصيد الثروة والاستجمام، والحصول على لحم طري  
والدبد، وعلى حلوى نادرة جميلة<sup>(٢٧٣)</sup>.

وكان الصيد من الحرف المهمة التي اشتغل بها أهل الطائف، وقد  
مارسوها في الغابات المجاورة لمدينتهم على سفوح جبل غزوان. فإلى هذه  
الغابات، كان يأتي الصيادون من مكة والطائف، وهم يلبسون بزات الصيد،  
ويصطحبون الكلاب، لصيد الفهود والحيوانات التي تعيش هناك<sup>(٢٧٤)</sup>.

وإلى جانب صيد البر، خبر العرب في عصور ما قبل الإسلام صيد البحر  
أيضاً. فمن شواطئ شبه الجزيرة العربية كان العرب يصطادون الأسماك  
الصغيرة: كالسردين وغيره، ويحفظونها ويقدمونها علفاً للحيوانات، كما كانوا  
يصطادون الأسماك الكبيرة، ويستخدمونها غذاء مفيداً لهم<sup>(٢٧٥)</sup>.

(٢٧٢) البهري: كتاب النبات، ص ٢٦٢ و ٢٦٦.

(٢٧٣) نزال كديم، سورة النحل، آية ٦٩.

(٢٧٤) نوري النسي: الطيعة في الشعر الجاهلي، ص ٧٦ - ٩١.

(٢٧٥) H. Lammens: La cité Arabe de Taïf., P32.

(٢٧٦) نوري النسي: الطيعة في الشعر الجاهلي، ص ٢٠٢.

### الفصل الرابع

#### الإنتاج الصناعي والتعدين

#### في عصور ما قبل الإسلام

تقوم بين الزراعة والصناعة صلات تفاعل وتكامل، فالزراعة تقدم الخامات  
التي لا غنى عنها للصناعة، والصناعة تقدم الأدوات والآلات التي لا تطور  
الزراعة بدونها. وكلما تطورت واحدة منهما تطورت الثانية. وهذا ما حدث  
بالتفصيل في بلاد العرب في عصور ما قبل الإسلام. فذلك أن تطور الزراعة فيها  
انعكس إيجاباً على الحرف الصناعية التي أخذت تتقدم شيئاً فشيئاً، وخصوصاً  
في المرحلة الأخيرة التي سبقت الدعوة الإسلامية مباشرة. ففي تلك المرحلة  
انتقلت العملية الصناعية من طور العمل الحرفي الذي يلي الحاجات المحلية،  
إلى طور الإنتاج الصناعي الذي يبيع المنتج والمنتج إلى الخارج بالدرجة  
الأولى.

ومن العوامل الأساسية لتطور الإنتاج الصناعي في بلاد العرب حينذاك  
التطور النسبي الذي طرأ على حياة العرب عموماً، وعلى سكان المدن  
خصوصاً، وما استتبع ذلك من ازدياد الطلب على بعض السلع الصناعية  
الضرورية. وكذلك التقدم الذي أصاب القطاع الزراعي، وتوافر المواد الأولية،  
والخامات المعدنية التي تنوع في أراضي الأقاليم العربية وبخاصة في أقاليم  
اليمن والحجاز والساحل الشرقي المطل على الخليج العربي والمحيط الهندي،  
كخامات الحديد والذهب والفضة والنحاس والزمرد والعقيق والطين  
وغیرها، ووجود المواد الصلصالية، والأحجار التي تقبل التحنق والتشكيل  
كالرخام والمرمر والحجر الصابوني... وأيضاً وجود ثروة حيوانية قامت على  
جلودها وأصولها ووبرها وأليانها صناعات كثيرة ملائمة لظروف البيئة وحاجات



السكان. ونحو بعض البيانات التي استخرجت منها مواد ذات أهمية في عدد من الصناعات: كالدباغة والنسيج والعمود والزيوت والخمور... وظهور أيدي عاصمة خيرة اكتسبت مهارات مهنية جديدة. وبرز حركة تجارية ناشطة تمثلت في الأسواق المحلية والموسمية في داخل البلاد وخارجها.

ولم تقتصر الصناعة في بلاد العرب على نوع معين أو حرفة واحدة، بل شملت جميع الصناعات المعروفة في القديم، والتي تعكس مدى الثراء والتمدن والرقي الذي وصل إليه العرب في ذلك الوقت. وكانت هذه الصناعات تتلوج من صناعات بسيطة مارسها سكان البادية، إلى صناعات متطورة غاية في الدقة والإتقان زاولها صناعو المدن والقرى ومراكز الاستقرار.

#### ١ - التعدين وطرقه:

وتعد التعدين من المهن الأساسية التي اشتغل بها العرب منذ العصور القديمة وتحديدًا منذ الألف الثالث قبل الميلاد. والذي يشير إلى ذلك اكتشاف أكثر من ٤٤ موقعاً في عُمان لاستخراج المعادن وتعبينها، تعود إلى هذا التاريخ، وخاصة معدن النحاس الذي كانت عُمان مصدراً مهماً من مصادره، والذي كانت مواقع التعدين تعمل على استخراجه من باطن الأرض وتقيته من الشوائب وصهره وربما تصنيعه أيضاً<sup>(١)</sup>.

وفي شمالي شبه الجزيرة العربية، اكتشفت عدد من مناجم التعدين في بلاد مدين التي كان أهلها يعملون في استخراج المعادن وتصنيعها مثل معدني النحاس والذهب، وكان مركزهم في المنطقة الممتدة من بلدة القرية (على بعد ٧٥ كيلومتراً تقريباً شمال غرب نوك) شرقاً حتى سواحل البحر الأحمر غرباً<sup>(٢)</sup>. وقد استفاد الأنباط الذين حلّوا بأرض مدين، وغيرهم، من هذه المناجم، واستخرجوا بعض معادنها، وحفروا مناجم جديدة في شبه جزيرة سيناء بالقرب

(١) G. Weisgerber: Evidence of Ancient Mining Sites in Oman, P17, 28.

(٢) رشيد سالم الناصوري: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م، ص ٧٢، ثورة العلمي النسيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٦٢.

من وادي فيران للحصول على معادن النحاس والتركواز، وشقوا الطرق التي تصل بين هذه المناجم وبين مدنهم الرئيسية في شمال شبه الجزيرة العربية<sup>(٣)</sup>.

ولا ريب أن بلاد العرب كانت مصدراً للعديد من المعادن، وخاصة معدني الذهب والفضة، فقد تحدث كتاب العصر الهلنستي والروماني عن أنواع المعادن المتوفرة في شبه الجزيرة العربية، وعن تعدينها ومجالات استخدامها، فوصفوا الألوان الذهبية والفضية التي صنعها العرب حينذاك، والعربات والمقاعد التي زينوها بالذهب والفضة، والمنازل التي رصعوها بالعاج والذهب والفضة وطعموها بالجواهر الأخرى<sup>(٤)</sup>.

وقد استثمرت حركة التعدين هذه، في العصور الإسلامية، فقد ذكر الهمداني، في معرض حديثه عن معادن شبه الجزيرة العربية، أن جباله قارية تُقيم في معدن شمام وأخرى تقيم في معدن الرضراض<sup>(٥)</sup>. ويُعتقد أن حركة التعدين الواسعة التي شهدتها بلاد العرب في العصر العباسي، قامت على أنقاض النشاط التعديني لسكان تلك البلاد في عصور ما قبل الإسلام. وتؤكد الدراسات الأثرية أن حركة التعدين في العصور الإسلامية، لم تكن بدايات هذا النشاط، بل هي تمثل المراحل الأخيرة منه، استناداً إلى أساليب الحفر واستخراج المعادن الخام.

ويبدو أن العرب في القديم قد بدأوا عملية التعدين بجمع المعادن عن سطح الأرض، ثم طوّروها إلى عملية قشط للطبقة الخارجية الحاملة للمعدن،

(٣) G. Bowersock: Roman Arabia, Harvard University Press, Cambridge Mass. (١٩٦١), P94.

(٤) Diodorus: Library of History, Bk3, P231-232, Bk19, P99. Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P349.

(٥) Peiybius: Historia, Translation by W.R. Paton, Loeb classical Library, London 1925, Bk13, P427.

(٦) Ephial: The Ancient Arabs..., P91.

ثورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٦٧ - ١٦٨.  
(٧) الهمداني: الجوهريين العتيقن الماتعنين، ص ٢٥.

ومنها انتقلوا إلى حصر الأنفاق والممرات في جوف الأرض على طريقة المناجم المفتوحة<sup>(١٦)</sup>.

وكانت المعادن الممزوجة بالرمل والحصى، كالذهب مثلاً في أراضي قبائل زيد في غرب شبه الجزيرة العربية، تُجمع وتُغربل حتى تسقط الشوائب، وتُلقى قطع الذهب التي تتراوح أحجامها بين نواة حبة الزيتون ونصرة الجوز. وكانت هذه القطع إما تُستخدم مباشرة وإما تُصهر وتُصب في سبائك وتُرسل إلى المصانع الموجودة في داخل شبه الجزيرة العربية، أو الموجودة في خارجها<sup>(١٧)</sup>.

وعندما يكون الذهب مختلطاً بعروق الكوارتز والمرمر، كانت المناجم تُحفر على هيئة أنفاق عمودية أو أفقية، ثم تُكسر القطع الحجرية، التي تحوي على نسبة عالية من الذهب، إلى قطع صغيرة، ثم تُطحن بالرحى حتى تتحول إلى بودرة ناعمة، كانت تُوضع بالماء، فيذوب التراب ويبقى الذهب<sup>(١٨)</sup>.

وعلى العموم فإن الثغيت للمعدن الخام وطحنه كان يحصل بالغرب من المناجم في أكثر الأحيان. كما كانت المادة المطحونة تُحرق بعد ذلك في أفران قريبة من مناطق التعدين أيضاً، لتخليص المعدن من المواد المختلفة به، مثل الكبريت الذي يوجد ممزوجاً بالنحاس في عُمان أو المزوج بالذهب في غرب شبه الجزيرة العربية<sup>(١٩)</sup>. وكان يلي ذلك صهر المعدن الحاصل في الأفران وجمعه في أحواض خاصة لنقله أخيراً إلى مراكز التصنيع في المدن حيث كان يُحوّل إلى أدوات مفيدة للإنسان<sup>(٢٠)</sup>.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(١٧) A. Kinawi: Preliminary Survey on the Mining Survey North West Hijaz, Adal, Vol 7, Riyadh 1983, P.77.

نورة السبيح: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية ص ١٦٩.

(١٨) Kinawi: op.cit. P.77-78.

(١٩) G. Weisgeber: Pattern of early Islamic Metallurgy, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, vol 10, Institute of Archaeology, London 1980, P.116.

Ministry of Petroleum and Mineral Resources: Mineral Resources of Saudi Arabia, Bulletin No1, Riyadh, P.21.

(٢٠) Weisgeber: op.cit. P.117.

إما أفران التعدين فكانت تُحفر في الصخور أو تُبنى بالحجارة وتُبنى بمادة صلصالية كما هي الحال في أفران معدن النقرة<sup>(٢١)</sup>. وكانت تُستخدم إلى جانبها أدوات أخرى مثل الألواح الحجرية، ودواليب الرحى المصنوعة من الصخور الجيرية أو البازلتية أو الديورائيتية التي يكثر وجودها في أراضي شبه الجزيرة. وقد اكتشفت أجزاء من هذه الدواليب في مناطق مختلفة من بلاد العرب، يعود بعضها إلى الألف الثالث قبل الميلاد<sup>(٢٢)</sup>.

## ٢ - صناعات الاواني والأدوات المعدنية:

توصلت الدراسات الأثرية إلى اكتشاف عدد كبير من الأدوات والأواني المعدنية التي يعود تاريخ صنعها إلى عصور ما قبل الإسلام، والتي اعتمدت في صناعتها على خامات معدنية محلية مستخرجة من أراضي عربية. ومن هذه الأدوات: الثعائيل واللوحات البرونزية والأقداح والصواني والمرايا والمسارج والأسلحة والمسكوكات وأدوات البناء والفلاحة...

وقد ساعد وجود معدن الحديد في بعض مناطق بلاد العرب، كمضارب تبيلة سُلَيْم الواقعة إلى الشرق من بئر، وأراضي نُفْم وعُفْدان حول صنعاء، وجبل الحديد بمعدن<sup>(٢٣)</sup>، إلى قيام صناعة حديدية ناشطة في بعض مدن وقرى شبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام. وعلى بروز قبائل معينة ارتبط اسمها بهذه الصناعة، كبنو أسد الذين كان يُقال لهم القيون (أي الحدادون)<sup>(٢٤)</sup>. وبني سُلَيْم الذين كانوا يصهرّون الحديد مع بني أسد، ويعملون على تنقيته وتحويله إلى معدن نافع لصناعة بعض الأدوات الفلاحية ووسائل

(٢١) Weisgeber: op.cit. P.66. Prentiss S. De Jesus: Preliminary Report of the Ancient Mining survey 1981, Adal, Vol 6, Department of Antiquities and Museums of Saudi Arabia, Riyadh 1982, P.72.

(٢٢) نورة السبيح: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٦٩.

(٢٣) Kinawi: op.cit. P.77-78.

(٢٤) محمود شكري الألوسي: بلوغ الأرب، ص ٢٠٤.

المعدني: حلة جزيرة العرب، ص ٢٠٤. أبو القاسم عبد الله بن مرداذة: المسالك والممالك، باعشاء في غرقة، مطبعة بريل، لندن ١٨٨٩، ص ١٣١.

(٢٥) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ص ٣١٦. الألوسي: بلوغ الأرب، ص ٢١١.



الري: كسكة الحديد والمسحاة (المجرفة)، والمكشال (المعول)، والشادون والدلو<sup>(١٥)</sup>، وإلى صناعة الأسلحة: كالسيوف والدروع، وكانت الأسلحة اليمنية، ومنها السيف اليمني والدروع اليمني، مشهورة بجودتها، يُقبل علم اقتناؤها الناس، وينتقى بها الشعراء<sup>(١٦)</sup>.

وكانت الحدادة حرفة شائعة في مكة ينتسب إليها أناس من أشراف العرب أمثال: الوليد بن المغيرة، والحاص بن هشام أخو أبي جهل عمرو بن هشام<sup>(١٧)</sup>. وكان حدادو مكة يصنعون الأدوات الزراعية، والأسلحة من سيوف ودروع ورماح ونبال وسكاكين... وكان خباب بن الارت قنباً يصنع السيوف<sup>(١٨)</sup>. وكان سعد بن أبي وقاص يوري النبال<sup>(١٩)</sup>. وذكر الواقدي أنه كان في قوام جيش فريش، يوم أحد، سبعائة دارع<sup>(٢٠)</sup>.

وفي يثرب تشطت صناعة الحديد أيضاً، فكان الحدادون، من العرب واليهود والموالي، يصنعون المخاريث والمساح والفؤوس ومناجل الحصاد، وغير ذلك مما يستخدمه الزراع من آلات. كما كانوا يصنعون الأسلحة والدروع. يحدثنا البلاذري أن رسول الله ﷺ قد غنم كل ما لدى بني النضير من سلاح الحلقة والدروع<sup>(٢١)</sup>. كما غنم من بني قينقاع كثيراً من الدروع والسيوف والأقواس<sup>(٢٢)</sup>، ومن بني فريظة ألفاً وخمسة سبعمائة رمح وخمسة مائة درع وخمسة وثلاثمائة درع<sup>(٢٣)</sup>.

وتشكل الخناجر والسكاكين والسيوف والنبال أهم الأسلحة التي كانت

تُصنع في بلاد العرب حينذاك، وتُصدّر بعض مناطق شبه الجزيرة جزءاً منها إلى ساحل أفريقيا الشرقي<sup>(٢٤)</sup>. وكانت تُصنع الدروع من رقائق الحديد وتُطلى بفضة من النسيج أو الجلد. وذكر الهمداني أن سيوف الحديد اليمنية كانت تُصنع من حديد جبل نفم<sup>(٢٥)</sup>. واشتهرت مدينة نشق التي كانت قاعدة عسكرية سبئية بصناعة الأسلحة<sup>(٢٦)</sup>.

وكانت أدوات البناء والتحت والزراعة وغيرها، تُصنع من معادن الحديد أو الرصاص أو النحاس، كالمسامير المعدنية التي كانت تُستخدم في تثبيت الأحجار الكبيرة في أبنية المسارح والقصور والسدود<sup>(٢٧)</sup>. والفؤوس والنبال والعتل والمطارق، التي كانت تُستعمل في أعمال البناء الأخرى وعمليات التعدين وأعمال التحت وغيرها<sup>(٢٨)</sup>. وبعض أجزاء السروج والألحمة مثل الحلفات والمقابض والسلاسل وغيرها التي كانت تطلبها تجارة الفؤول، ووحدات العوازين والمكايل التي كانت تُستعمل في البيع والشراء<sup>(٢٩)</sup>.

ودخلت المعادن في صناعة الأثاث المنزلي وأثاث المعابد، وأدور المقاعد وبعض العفاتيح، ومقابض الأبواب على هيئة رؤوس حيوانات كالأسد. ولا يُستبعد أن القصور والمعابد الكبرى كانت تُزِين بقطع من الأثاث المرصعة بالذهب والفضة، كما ضمت منها المركبات الملكية التي وصفها الكتاب الكلاسيكيون<sup>(٣٠)</sup>. وتشمل الأواني المنزلية التي صنعها العرب من البرونز

The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 17, P28.

(٢٤)

(٢٥) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥١.

A.F.I Bosson: Warfare in Ancient South Arabia, P18.

(٢٦)

Gus Van Beek: Hajar Bin Humaid, Johns Hopkins, Baltimore 1967, P248.

(٢٧)

(٢٨) Ibidem, P248 وأيضاً:

Philp Hammond: The Nabataean, their History culture and Archaeology. P71-72.

(٢٩) Hammond: op cit, P71-72. Ray Cleveland: An ancient south Arabian Necropolis, the Johns Hopkins Press, Baltimore 1963, P128.

(٣٠)

Ray Cleveland: op.cit, P121-128. B.Da: Southern Arabia, Thomas and Hudson, London 1971, P103

عبد الرحمن الطيب الأنصاري: قرية القار، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، جامعة الرياض، الرياض ١٩٨٦، ص ٢٨.

والنحاس والذهب والفضة، القدور والأطباق والسكاكين ومقابض الأواني والأكواب والأقداح والصواني والمرابا والمساوح<sup>(٣١)</sup>.

وتشكل التماثيل المعدنية البرونزية أو النحاسية، نسبة كبيرة من التماثيل التي خلفها سكان شبه الجزيرة العربية، وهي بمعظمها تماثيل صغيرة لها قواعد معدنية، كانت تصنع لتقدّمها كقرابين للآلهة تقرباً منها أو شكراً لها. وتُعكس هذه التماثيل قدرة الإنسان العربي في عصور ما قبل الإسلام على صبّ وتشكيل صور الإنسان والحيوان الصغيرة والكبيرة على حدّ سواء<sup>(٣٢)</sup>.

وبرع العرب كذلك في صناعة بعض اللوحات المعدنية البرونزية التي كانت تحمل نقوشاً بحروف بارزة، وثقوباً لتعليقها على جدران المعابد والنقصور. وقد امتازت أقاليم جنوب شبه الجزيرة العربية بهذه النوع من اللوحات، ووجدت نماذج مختلفة منها، وغر على ما يزيد من سبعين لوحة تراوح أطوالها بين عدة بوصات إلى مترين في تلك الأقاليم<sup>(٣٣)</sup>.

وكان الحدادون يقومون باستخلاص المعادن من الشوائب وتركيبها بخلطها بنسب متفاوتة لإنتاج معادن ذات خصائص جديدة، كما هو الحال في الصناعات البرونزية، كما كانوا يستخدمون الحديد وما شابهه في إصلاح الكثير من الأدوات، وخاصة الأدوات الحجرية التي تُصنع محلياً<sup>(٣٤)</sup>.

وقد استعمل هؤلاء في حوائثهم بعض الآلات مثل: الكير الذي هو عبارة عن متفاح يساعد على إشعال النار التي تستخدم في صهر المعادن وإذابتها، والأفران المبنية من الحجارة والطين التي توجد فيها النيران لعملية الصهر.

(٣١) الأنصاري: قرية الفاو، ص ٢٨ - ٢٩.

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P349.

Ray Cleveland: op.cit, P121-122.

(٣٢) الأنصاري: قرية الفاو، ص ٢٥ - ٢٦.

Ray Cleveland: op.cit, P93.

Leveau: Sabaeen Inscriptions from Mahram Bilquis, P245. B.Da: op.cit, (٣٣) P160.

Van Beek: Hajar Bin Humaid, P169.

(٣٤)

نورة الطلي النسيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٩٨.

والبرونزات التي كانوا يستعملونها في نقل المعادن الذائبة، والمطارق التي يُطرق فيها الحديد على الفولاذ، والمبردة الذي تُبرّده أدوات الحديد وتُهذّب<sup>(٣٥)</sup>.

### ٣ - الصناعات المعدنية الثمينة:

كان الذهب من المعادن الثمينة الذي عرفه العرب في عصور ما قبل الإسلام، ومارسوا تعدينه كما ذكرنا قبلاً. وكانت بلاد اليمن أغنى شبه جزيرة العرب بهذا المعدن الثمين الذي يوجد في مواضع: بيض، وشُكَّان بمخلاف تهامة اليمن، ومازب، ودمار، والقفاعة، والمُخَلَّفة من أرض حُجُور، ومأرض بني سابعة بالحدّ ما بين صنعاء ونجران، والمنطقة بين الفُثَيْفَة وغُفُود، وفي وادي التثليث على مقربة من حمضة وعلى مسافة ١٨٣ ميلاً من نجران<sup>(٣٦)</sup>. وليس أدلّ على وفرة الذهب في أرض اليمن ما قاله سيف بن ذي يزن لكسرى عندما نشر دراهمه على خدام القصر: «ما أصنع بالمال وترايب أرضي ذهب ونُفْثَة»<sup>(٣٧)</sup>. وكان يوجد الذهب أيضاً بديار بني سُليم وخصوصاً في منجم الذهب الذي عُرف بـ«معدن بني سُليم» وفي أرض مَذَيْن وما والاها في شمالي وادي إضم الذي بدأ التعدين فيه قبل الميلاد بمئات السنين. كما وجد في معظم مناطق اليمامة كمعدن الحسن، ومعدن الحفير، ومعدن الضبيّ، ومعدن ثبة، ومعدن القوسجة، ومعدن نياس ذهب<sup>(٣٨)</sup>.

وكانت عملية تعدين الذهب عبارة عن جمع التير واستخلاص الذهب منه بتقنيته من شوائبه. أمّا الأدوات التي استخدمها العرب حينذاك فكانت: رَحَى

(٣٥) حواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٥٥٧.

(٣٦) التستائي: الجوهرة والحقائق الماثلة في الصفراء والبيضاء، ص ١٣٩. أبو علي أحمد بن محمد رسته: الأخلاق النبوية، ما عرفت دي غرة، لندن ١٨٩١، ص ١١٣. باقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٣.

(٣٧) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٥٥٩. ابن هشام: السيرة النبوية، القسم الأول، ص ١٣. وحسب بن منبه: كتاب التيجان في ملوك حمير، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٦٧ و ٢٠١٤.

(٣٨) التستائي: سقفة جزيرة العرب، ص ١٣٩ - ١٤٠. حواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٩٣ - ١٩٤.



وأدوات تنظيف، ومدفات، ومصاييح. وتشير بعض المصادر إلى أن الذهب كان يُستخرج في مواضع من شبه جزيرة العرب خالصاً نقياً، لا يخالط بالشار، ولا يصهر لتنقيته من الشوائب الغريبة<sup>(٢٩)</sup>.

والى جانب معدن الذهب، كان في اليمن معدن الفضة بالرضراض، وهو معدن جيد لا نظير له<sup>(٣٠)</sup>. ومعدن الرصاص بين فهم وخولان، وقد استخدم اليمنيون في كثير من الأعمال، منها صب في أسس الأعمدة، وتحويله إلى حلى ونقود لأنه من المعادن النفيسة المستعملة كالذهب<sup>(٣١)</sup>.

كانت صناعة الحلبي من الحرف المنتشرة في بلاد العرب، وتقوم على تحويل المعادن المتوفرة فيها، سواء كانت من المعادن الثمينة أو المعادن الرخيصة كالنحاس والبرونز، إلى قطع من الحلبي تُزين بها النساء. وقد يضيف إليها الصائغ قطعاً من الجواهر الثمينة: كالعقيق والجزع والياقوت والزمرد واليشدر واللؤلؤ والزجاج. وأهم أنواع الحلبي: القلائد والأساور والخلخل والخواتم والتيجان والأقراط والسلاسل. وقد عثر على الكثير من قطع الحلبي، سواء الذهبية منها أو المصنوعة من البرونز والنحاس، في مدن شبه الجزيرة العربية كالقار، ومارب، والبحرين، والبراء، وتدمر<sup>(٣٢)</sup>. كما عثر في مقابرها على أقراط وحلى نسائية، كان من بينها قلادة من الذهب على شكل هلال بداخلها زخارف ونقوش بالأحرف الفثانية، وجدت في مقبرة قديمة من مقابر «تضع» عاصمة دولة قتيبان<sup>(٣٣)</sup>. كذلك عثر فيها على أحجار كريمة يعود أصلها إلى العراق ومصر، وعلى أحجار كريمة يعود أصلها إلى اليونان أيام الرومان

(٢٩) جواد علي: المعصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٩٣.

(٣٠) الهنلي: حلة جزيرة العرب، ص ٢٠٢.

(٣١) جواد علي: المعصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٣٨.

(٣٢) الأنصاري: قرية العار، ص ٩٨.

B.Da. Southern Arabia, P118. Van Beek: The land of Sheba, P59. Hammond: The Nabataean their history..., P70. Ray Cleveland. An Ancient South Arabian Necropolis, P129.

(٣٣) عبدالله قبيسي: كنوز مدينة بلقيس، ترجمة عمر الدبراري، بيروت ١٩٦١، ص ١٣١.

وأيام العصور الهلنستية، وقد نُحِث على بعض منها حروف بالمسند، تُعبر عن بعض المعاني الدينية أو عن أسماء أصحابها. ويُعتقد أنها كانت تستعمل حائماً للزينة أو لختتم الوثائق والمراسل<sup>(٣٤)</sup>.

وفي حفريات عاصمة كُندة وجد المثقبون مجموعة حلبي، وهي عبارة عن أساور من المعدن والزجاج والعظام والعاج، وخواتم فضية ونحاسية وحديدية، وخرز بأشكال مختلفة من العقيق والبلور الصخري والقيست والدولوميت والياقوت والزجاج المعشم والشفاف، وفصوص من العقيق متعذدة الألوان والأحجام، وأقراص زجاجية لعلها فصوص خواتم<sup>(٣٥)</sup>.

وعثر في مدافن جرن بديع بنت مسعود، التي تقع على بعد حوالي ٢٥ كيلومتراً من وسط مدينة العين، على صفيائح رقيقة من الذهب وأقراط فضية وشكلية من الخرز المصنوع من الصدف والعقيق. كما عثر في موقع الرملة، الذي يبعد عن متحف العين بحوالي ثلاثة عشرة كيلومتراً لجهة الغرب، على مجموعة من الحلبي البرونزية خاصة الأساور الكبيرة الحجم<sup>(٣٦)</sup>.

ومما لا ريب فيه أن هذه الحلبي الأثرية، تدلّ دلالة واضحة على أن صناعة الحلبي والمجوهرات، كانت رائجة في بلاد العرب في المرحلة التاريخية التي سبقت ظهور الدعوة الإسلامية.

ويبدو أن سكان جنوب شبه الجزيرة العربية قد برعوا في هذه الصناعة، ولا يزال الصاغة إلى الآن، يُقلّدون أشكال الحلبي القديمة في مصنوعاتهم. وكان لعقيق اليمن والجزع ظفار شهرة واسعة بين القبائل والأمم. ويُروى أن عقد عائشة زوج رسول الله ﷺ كان من جذع ظفار، وكذلك قلادة زينب بنت أبي العاص<sup>(٣٧)</sup>.

أما يثرب في الحجاز فقد قافت غيرها من المدن في هذه الصناعة، ففي

(٣٤) جواد علي: المعصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٧٩.

(٣٥) الأنصاري: قرية العار، ص ٢٨ و ١٢٧.

(٣٦) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٧ - ١٨.

(٣٧) ابن هشام: السيرة النبوية، القسم الثاني، ص ٢٩٧. الواقدي: معاري رسول الله ﷺ، ص ٩٩.

قربة زهرة وحدها - وهي أكبر فري يشرب بين حرّة واقم والسافلة - ثلاثين صانع<sup>(٥٨)</sup> كانوا يصوغون الأساور والدمالج والخلاخيل والأقراط والخواتم والفتح والعقود، من الذهب أو من الجواهر والزمرّد أو من الجزع الطفاري<sup>(٥٩)</sup>.

وكان يهود المدينة أهل هذه الصناعة وحترفيها. وكان لليهود بني قبّاط سوق تباع فيه الحلّي والمجوهرات، فكان يأتيه الناس من يشرب وغيرها لشراء ما يطلبونه من مصاغ<sup>(٦٠)</sup>. وقد بلغت ثروة هؤلاء اليهود من الحلّي مبلغاً كبيراً. ففي غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ كثير بني النضير الذي وجده في جلد جميل، والذي كان يتألف من حلّي ذهبية فيها: أساور ودمالج وخلاخيل وأقراط وخواتم ونظم من جوهر وزمرّد وفتح بجزع ظفار مجزّع بالذهب<sup>(٦١)</sup>.

وكان نساء الطبقة الغنية ورجالها يتسابقون على اقتناء الحلّي والمجوهرات والتزّين بها، فعبد الله بن جدهان - أحد أثرياء مكة - كان لا يشرب ولا يأكل إلا بآنية من ذهب وفضة، فُعُرف لذلك به حاسي الذهب<sup>(٦٢)</sup>.

وغزارة الحلّي الظاهرة في المنحوتات التدمرية، تُبين أنّ نساء تدمر كنّ يتحلّين بالقلادات والعقود والأساور والأقراط والخواتم والمعرضعات التي كانت مصاغة من الذهب واللؤلؤ والأحجار الكريمة. وقد تغنى العرب قديماً بالأذن التدمرية، كناية عن جمال الأقراط التي ترتبها<sup>(٦٣)</sup>.

وعلى الرغم من اتساع حرفة الحلّي والمجوهرات في بلاد العرب، فإنّ

(٥٨) نوح الدين علي بن جمال الدين أبو الصّحّاح عبد الله شهاب الدين بن العباس السهمودي، وهو الوفاء بأخبار دار المصطفى، مطبعة الآداب الموقّعة بمصر ١٣٢٦ هـ، ص ٣١٩.

(٥٩) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الحافلة وعهد الرسول، ص ٣٧٧.

(٦٠) أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: جوامع السيرة وخمس وسائل، تحقيق إحسان عباس وتناشر الديس الأسد، دار المعارف، مصر لا تاريخ، ص ١٥٤. الواقدي: معاذي رسول الله، ج ١ ص ١٣٨.

(٦١) المقريزي: إمتاع الأسماع بما للرسول من الآباء والأموال والحفدة والمتاع، ص ٣٢٠.

(٦٢) محمد أحمد جاد الحولي وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، مطبعة مصر، القاهرة ١٩١٦، ص ٢٤٨.

(٦٣) عدنان الشبي: تدمر والتدمريون، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٨، ص ٢٩٢.

الأدوات التي كان يستخدمها الصانع قليلة ومحدودة منها: العسقلان (أسعر مطرقته)، والقذاف، والجبّة (الخشب بين يديه)، والجفّلاج (منقاه)، والكبر، والمثب، والكلبتان<sup>(٥١)</sup>.

## ٤ - صناعة النقود المعدنية (المسكوكات):

عرف العرب صناعة النقود المعدنية منذ عصور ما قبل الإسلام، وتحديدًا منذ أوائل القرن الثالث قبل الميلاد. وذلك يعود إلى الازدهار التجاري الذي نهضته الدول العربية التي نشأت في القديم. ويبدو أنّ هذه الدول قد استخدمت في صناعة العملات، التي اصطلح على تسميتها بالمسكوكات<sup>(٥٢)</sup>، معادن الذهب والفضة والنحاس والبرونز، وإن كان معدن الفضة والبرونز يشكلان النسبة الكبرى منها.

وكانت سبباً أولى هذه الدول التي سكّت نقوداً، وتقلّدت في بادئ الأمر العملة الأتينية. وتأثرت في الفترة المتأخرة بالعمل الروماني. وكانت مراكز سك النقود السيئة، التي حفر بعض أسامتها على هذه النقود، منعقدة منها: نجران وحضور وخمر. وورثت الدولة الجشيرية العملة السنية وسكّت نقوداً مشابهة لها في مركزها بمدينة ظفار، وبذلك أضحت العملة الحميرية استمراراً للعملة السنية، مضافاً إليها رسوماً ونقوشاً جعلت الطابع العربي فيها أكثر وضوحاً من الطابع الأجنبي<sup>(٥٣)</sup>.

أما الدولة المعينية فقد سكّت نقوداً خاصة بها، وحفرت عليها نقوشاً

(٥١) الأوسي: بلوغ الأرب، ص ٤٠٢.

(٥٢) شكّ: في الجديدة التي تُطبع عليها الدراهم، ولذلك سميت الدراهم المصورة شكّ. الساوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري: الأمكنة السلافية في الولايات الدينية. تحقيق خالد عبد اللطيف السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٠ هـ، ص ٢٧٥. وجاء في السجدة في اللغة والأعلام أنّ الشكّة جمع شكّ، وهي عديّة منقوشة تُصرب عليها الدراهم، والبكّي: الديار. والشكّ الذي يصرب الشكّة. المحمدي: اللغة والأعلام، ص ٣٤١.

(٥٣) G.F Hill: Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia, British Museum, London 1922, PIV, XVI-XVII.



عربية، منذ نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، ولكن هذه النقود جاءت محاكاةً للنقود اليونانية أيام الإسكندر المقدوني. وقد تميّزت النقود المعبّنة والنقود النبطية عن العملات العربية الأخرى بسعة انتشارهما وانتقالهما إلى خارج حدود شبه الجزيرة العربية<sup>(٥٧)</sup>. وفي الفترة الممتدة من عام ٥٠ إلى عام ١٥٠ ميلادية سكّت الدولة القنصانية، في مركزها بمدينة تمنع، نقوداً خاصة بها. كذلك استمرت الدولة الحضرية في سكّ عملة لها حتى القرن الثالث الميلادي. وكانت هذه العملة تحمل صورة وجه الملك على الجهة المحذبة وصورة على الجهة الأخرى المقعرة، إلى جانب صورة رأس ثور في بعض الأحيان، ويسجل عليها اسم الإله من<sup>(٥٨)</sup>. وتعامل الناس في دولة كندة بالعملات المحلية ذات الطابع العربي، والتي كانت تحمل على وجهها المحذبة صورة إنسان من المرجح أن تكون صورة الملك، وتحمل على وجهها الآخر المقعر نقوشاً تشير إلى إله الدولة كهل<sup>(٥٩)</sup>.

وبدأ الأنباط في شمالي شبه الجزيرة العربية بسكّ عملة خاصة بهم، منذ عهد الملك الحارث الثالث، مقلّدين بذلك العملات اليونانية في العهد الهليني. وتحديدًا الدراخما الأثينية أو الدراخما التي كانت تسكّها مدينة صيدا<sup>(٦٠)</sup>. وبحرور الوقت تطوّرت النقود النبطية وأخذت طابعها العربي في رسومها ونقوشها التي حفرت عليها، ولكن ما لبث الأنباط أن عادوا وتأثروا بالحرب أيام الإمبراطورية الرومانية، وضربوا نقوداً تتبع في وزنها الدينار الروماني<sup>(٦١)</sup>.

ويبرز في شرقي شبه الجزيرة العربية مركزان لسكّ العملة في تلك

Oslo Morkholm: New Coins Finds from Fasilaka, Kuml, Jysk Archedologisk (٥٧) Selskab, Denmark 1981-1982, P232.

J. Walker: The Moon god on Coins of the Hadramaut, Bulletin of the (٥٨) School of Oriental and African Studies, vol 14, London 1952, P623-626.

(٥٩) الأنصاري: قرية الفار... ص ١٦١، ١٢٥.

Y. Meshareri: Nabataean Coins, the Institute of Archaeology, Jerusalem (٦٠) 1975, P8.

Hill: op.cit, PXXI.

المرحلة الأولى في الجرحاء التي كانت تقلّد في رسومها العملة اليونانية في العهد السلوقي. والثاني في مملكة حِمْيَر التي يُعتقد أنّ مقرّها كان هناك، والتي كانت تقلّد العملة اليونانية في العهد السلوقي أيضاً، وتحمل نقوشاً عربية باسم ملك البلاد<sup>(٦٢)</sup>. وسلكت مملكتنا تدمر وخاراكس سبيل أخواتها العربيات وسكّتا نقوداً خاصة بهما. ويبدو أنّ دار سكّ العملة التابعة لمدينة خاراكس قد استمرت في صناعة النقود وضربها حتى المهدود الإسلامية الأولى وتحديداً حتى العهد الأموي<sup>(٦٣)</sup>.

وتميّزت العملات العربية هذه، برمورها التي تشير إلى اسم المدينة التي سكّت فيها النقود، أو إلى شعار الدولة وألهاها الرسمي، أو إلى اسم الأسرة التي انتهت صناعة العملات. ممّا يدلّ على وجود أسر متخصصة في عملية السكّ. كما هو الحال في دولة الأنباط في الشمال، وفي دولة سبأ في الجنوب حيث حازت أسرة «حبي ايلتم» على حقّ سكّ العملة السنّة لمُدّة طويلة<sup>(٦٤)</sup>.

كما تميّزت العملات العربية في اليمن بدقّة أوزانها التي كانت تتبع الدراخما البابلية التي تبلغ ٥,٠٦ غرامات. وكان السكّك في دار الصناعة يصت المعدن العنصره بالوزن المحدّد في قوالب برونزية خاصة ثم يبرّده بالماء، وهكذا حتى يتمّ صنع النقود التي يتداولها الناس في الأسواق<sup>(٦٥)</sup>.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ العرب قبيل الدعوة الإسلامية لم يعد لديهم سكّة خاصة بهم، ولا نقود تحمل اسمهم، ولكن عندما كانوا يفتشون بالأمم المجاورة لهم عن طريق التجارة كانوا يرجعون إلى بلادهم حاملين معهم دنانير بيزنطية من بلاد الشام ومصر، ودراهم فارسية من العراق، ونقطع فضّة غير مضروبة ولا منقوشة بيمانية ومغربية<sup>(٦٦)</sup>. وكانوا يعبرون عن الذهب بالعين،

Morkholm: op.cit, P232.

(٦٣) بركة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ١٧١.

Meshereri: op.cit, P72-78. A. Jamme: Carnegie Museum 1974-1975, Yemen (٦٤) Expedition, P133.

Hill: op.cit, PXXI. B. Dar: Southern Arabia, P120, (٦٥)

(٦٦) عبد الحفي الكتاني: نظام الحكومة النبوية الممثلة للتراتب الإدارية، ص ١٧١، ١٦٥.

وعن الفضة بالورق، وكانوا يتعاملون بهذه الدنانير والدراهم وزناً باعتبارها ثيراً.  
وليس عذراً كما هو الحال في أياها، ويفضون النظر عن كونها نفوذاً مضرية،  
وذلك لاحتمال أن تنقص الدنانير من كثرة تداولها، وإن كانت حينذاك ثابتة  
الوزن<sup>(٦٧)</sup>.

## ٥ - الصناعات الحجرية:

ساعد وجود أنواع عديدة من الأحجار القابلة للقطع والنحت في بلاد  
العرب وخاصة في أراضي شبه الجزيرة العربية، كأحجار المرمر والرخام والبور  
الخشخاش والأحجار الجيرية والغرانيت والبازلت والديوريت والحجر الصابوني،  
على قيام صناعة حجرية متطورة، تمثلت بصناعة الأدوات والأوعية التي كانت  
تستخدمها الشعوب العربية في تلك المرحلة.

وقد صنع من أحجار المرمر والرخام أوعية لحفظ مواد الزيتية: كالعطور  
واللبان والدهان، على هيئة جرار صغيرة أو صناديق لها أغطية كانت تُزين  
بالشعشع أو الصور المحفورة عليها. كما صنع من هذه الأحجار الأطباق  
والمجامر (المباخر) والنماثيل البشرية والحيوانية وقواعدها. ودخلت هذه  
الأحجار في المعابد كأجزاء منها مثل: المذابح والأفريزات التي كانت تُبنى في  
مقدمة المعبد وتُزخرف بالنحت البارز<sup>(٦٨)</sup>.

وصُنعت من الحجر الصابوني، الذي تنتشر مقالعه في اليمن وعسير ونجد  
(قرب الدوادمي)، وفي حجلة جنوب الطائف، وفي إقليم عمان، أواني الطبخ  
كالقدور. وكانت هذه الأواني تُصنع بدق الحجر الصابوني ومزجه مع بعض  
المواد مثل: القش أو الحصص الصغير أو ذرات الكلس، وذلك لتقوية العجينة

(٦٧) أبو الحسن الملاوي: تنوع البلدان، ص ٤٥٢ - ٤٥٣، عبد القديم زلوم: الأموال في دولة  
الخليفة، دار العلم للملايين، بيروت نيسان ١٩٨٣، ص ١٩٩ - ٢٠٠. لؤي علي رضا: أم  
القرى، دار المعارف، بيروت ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧، ص ١٦٠.  
(٦٨) Frank P. Albright: Catalogue of Objects found in Marib, Johns Hopkins  
Press, Baltimore 1958, P273. Gus Van Beek: Hajar bin Humaid, P376.

حتى تتحمل الحرارة سواء أثناء عملية الصناعة أو عند الاستعمال، وهذا ما  
أعطى لهذه الأواني لوناً الأسود الرمادي<sup>(٦٩)</sup>.

وصُنعت من أحجار الديوريت والغرانيت دولاب الرحى والمساحق  
اللازمة لطحن الحبوب، أو لطحن وتكسير الصخور التي تحتوي على نسبة عالية  
من المعادن، كإحدى الوسائل التي كانت تستخدم لاستخلاص المعدن الخام  
منها، وخصوصاً في مناجم الذهب والنحاس<sup>(٧٠)</sup>.

وصُنعت من حجر المسن مقابض السكاكين، ومن حجر الشذب ألواح  
وصفائح وقوائم السبوف وتصل السكاكين. وصُنعت من الحجر الهيصمي، الذي  
يسميه الحسن الهمداني بهذا الاسم والذي يشبه الرخام إلا أنه أشد بيضاء منه،  
الأنية. كذلك صُنعت هذه الأنية من حجر الحرض، وهو حجر يمتاز بخاصية  
الاحتفاظ بالحرارة مدة طويلة<sup>(٧١)</sup>.

وصنع من بعض الأحجار عدد من الآلات التي كانت تُستخدم في عزق  
الأرض كآلات الحفر التي وجدت في حفول تيماء وثاج، وتعود إلى منتصف  
الألف الأول قبل الميلاد. كما صُنعت منها آلات بسيطة كانت تُستخدم في قطع  
الأحجار والزجاج، وفي ذبح الحيوانات، وأعمال الخلاقة، وفي الطب  
كعمليات الجراحية، وفي صناعة الجلود والمنسوجات وبعض أنواع الفداح  
التي كانت تستعمل في إشعال النار<sup>(٧٢)</sup>.

وتُظهر الأواني والآلات الحجرية، التي اكتشفناها البعثات الأثرية في  
مواقع مختلفة من بلاد العرب، المستوى الرفيع الذي بلغته هذه الصناعة في  
مجالات النحت والتشكيل والزخرفة الفنية<sup>(٧٣)</sup>.

(٦٩) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٧٧.

(٧٠) A. Kinawi: Preliminary report on the mining Survey, North West Hijaz, P179-180.

(٧١) الحسن الهمداني: حقا جزيرة العرب، ص ١١٧ و ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٧٢) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في جزيرة العرب، ص ١٧٨.

(٧٣)

Gus Van Beek: Hajar bin Humaid, P370.



ومما تجدر الإشارة إليه أن أحجار جنوب شبه الجزيرة العربية كانت تُقطع بشكل واسع في عصور ما قبل الإسلام ليس فقط للاستعمال المحلي بل لتصدير إلى خارج البلاد<sup>(٧٤)</sup>. ويبدو أن هذه الأحجار قد نالت شهرة عالمية وخاصة عند الإغريق، فقد امتدحها ديودوريس وفارون بيتها وبين أحجار جزيرة ياروس (Paros) التي اشتهرت بجودة أحجارها الرخامية، فوجد أن أحجار بلاد العرب تفوقها جودة في تصاعتها وقيل وزنها وملاسة سطحها؛ وذلك لشدة حرارة الشمس في تلك البلاد<sup>(٧٥)</sup>.

ورأى جانب الصناعات الحجرية التي أشرنا إليها نشأت في بلاد العرب حينذاك عدة حروف ذات صلة بوجود الحجارة ومنافعها نذكر منها:

حرقه قطع الأحجار من المحاجر وتهذيبها ونقلها إلى الأماكن المعدة لها وحرقه حفر الآبار وأساسات المباني وحفر المقابر التي كانت تُنقَلَب جهوداً كبيرة، والتي كانت تُحفر في باطن الأرض أو في صخور الجبال، وتتألف من عدة غرف أو مدفن. وقد عُني بحفرها جيداً ويُقَلَّب جدرانها بالواح حجرية ويُقَلَّب بالحصى. وخير شاهد على هذه القبور، قبور الحجر (مدائن صالح) وقبور البغراء التي أقامها عرب الأنباط في الصخور والجبال والأودية<sup>(٧٦)</sup>.

وحرقه التحت التي كانت فتاً راقباً، والتي امتهنتها جماعة وأدخلتها في أعمال البناء لحرقه الجدران والإفريزات، ولإضافة بعض المنحوتات عليها كالتماثيل وغيرها. وقد استخدم النحاتون في عملهم أنواعاً مختلفة من الحجارة المحلية: كالرخام والمرمر والحجر الرملي وغيره. وتتجلى قدرة النحات العربي في هذا الفن في أحد صالات معبد محرم بلفيس إذ عُمِد إلى نحت ٦٤ نافذة في جدران هذه الصالة تدل على قدرته وإبداعه<sup>(٧٧)</sup>.

(٧٤) The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 24, P31.

(٧٥) Diodorus: Library of History, Bk2, P59.

(٧٦) عبد الرحمن الأنصاري، وأحمد حسن غزال، وجيفري كنج: مواقع أثرية وصورة من حضارة العرب، قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٢هـ، ص ١١.

(٧٧) Gert Van Beek: The land of Sheba, P52. F. Albright: op. cit, P223.

وأيضاً حرقه بناء القصور والمنازل والمعابد والمقابر والمسارح وشق الطرق وإقامة مشاريع الري. وما وافق هذه الحرقه من أعمال تابعة لها، كعمل تحضير الملاط سواء من الطين أو الجص أو الأسمنت. وقد عُثر على أجزاء كثيرة من العياني والقبور المجصصة<sup>(٧٨)</sup> وكذلك مشاريع الري. وكان يشرف على أعمال البناء، كما يظهر من بعض النقوش، متخصصون وأهل خبرة وعلم هم بمثابة مهندسي العمارة في زماننا. وقد استخدم عمال البناء القووس والأزامل في أعمالهم؛ وترك العديد من هؤلاء أسماءهم على واجهات الحجارة، تعبيراً عن افتخارهم بما كانوا يقومون به من أعمال وما ينشأ من نشأت<sup>(٧٩)</sup>.

## ٦ - صناعة استخراج الملح:

عرف العرب القدماء الملح واستخرجوه من جبل الملح في منطقة مارب والذي امتاز بصفاته كالبثور. كما استخرجوه من مالح نجد، ومن مالح تهامة التي قال فيها الهمداني إن كثيراً من مياهها أملاح، وكل ما قارب الساحل أملاح إلا البسير. واستخرجوه من مدينة شبوة التي تقوم على منجمين للملح وتكثر في شرقي شبه الجزيرة السبخات الملحية التي كانت مصدراً هاماً لهذه المادة. ويُعتقد أن ظهور مدينة تاج قد ارتبط بوجود سبخة للملح هناك، وبكونها مركزاً تجارياً له. كما تكثر السبخات الملحية في وادي السرحان التي عُرفت قراء بقرى سبخات الملح<sup>(٨٠)</sup>.

(٧٨) الأنصاري: قرية الفاو، ص ٢٠ - ٢١.

(٧٩) نورة العلي النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

F. Albright: op. cit, P218. P. Hammond: The Nabataean, their history culture and Archaeology, P112.

(٨٠) حسن الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٥٥ و ٢٠١.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

Western Arabia and the Red Sea, P39.

## ٧ - صناعة الغزل والنسيج:

كان من الطبيعي أن تنشط صناعة غزل الخيوط وحياكة الأثواب وخطاطتها عند العرب في عصور ما قبل الإسلام، وذلك لتوافر الخامات الأولية لهذه الصناعة، من صوف غنم ووبر جمل وشعر ماعز، ومن خامات الكتان والقطن والأصيلة من جهة، ولتوافر الأيدي العاملة الخبيرة من جهة ثانية. وتشير المصادر الكلاسيكية إلى ملابس سكان شبه الجزيرة العربية المخطوطة والموشاة بالذهب، كما تشير إلى وجود القطن ضمن محاصيل بلاد العرب وخصوصاً في البحرين، وإلى وجود بذور الكتان في جنوب شبه الجزيرة<sup>(٨١)</sup>. ويذكر صاحب كتاب الطواف أن عمانا (صحار) كانت تُصدّر الثياب الغربية إلى الخارج. وإن العرب كانوا يستوردون الأنسجة، إما كتياب جاهزة، وإما كمسوجات يتم تصنيعها محلياً<sup>(٨٢)</sup>.

وكانت جماعة في مكة قد احترفت صناعة الغزل والنسيج، منها: مُجنع الزاهد الذي كان حائكاً، والعوام أبو الزبير، وعثمان بن طلحة، وقيس بن مخزومة، وجميعهم كانوا خطاطين<sup>(٨٣)</sup>. وكشفت الدراسات الأثرية عن وجود كميات من بقايا الأنسجة في قرية الفاو، تدلّ على تطور قيام هذه الصناعة فيها، ويظهر من القطع التي عُثر عليها هناك مدى دقة وإنفاق هذه الصناعة، حيث تتجلى فيها تمازج الألوان للدرجة تثير الدهشة والإعجاب<sup>(٨٤)</sup>.

واشتهرت اليمن ونجران بنسج الحلل والثياب الملونة والمزركشة: كالخال وهو ثوب ناعم وضرب من البرود. والوصائل وهي ثياب يمانية حمراء أو بيضاء، أو مخططة بالأبيض والأحمر. والغضب وهو نوع من البرود اليمنية،

(٨١) يوسف العليم: الجزيرة العربية في كتاب المسالك والمعالك للبكري، ص ٣٨.

Gaz Van Beek: Hajar Bin Humeid, P401.

(٨٢) سورة التيمم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ١٩١.

The Periplus of the Erythraean Sea, P36.

(٨٣) ابن خثيرة: المعارف، ص ٥٧٧.

(٨٤) سورة التيمم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ١٩١.

يغصب غزله ويُدْرَج ثم يُصْبَغ ويُحَالِك<sup>(٨٥)</sup>. والمُزْرَحَل وهي ثياب من الوشي وبها صور المراحل، والخبرة وهي من يرود اليمن الموشاة والثوب الجديد الناعم. والمعاجر وهي من الثياب المصنوعة في اليمن، والشحل وهي ثوب أبيض رقيق، أو من القطن المصنوع في بلدة محول اليمنية. والسيراء وهي برد مخططة بخيوط صفراء، أو يخالطها حرير وذهب خالص، أو هي ثياب مخططة تنسج من حرير القز. والمزرحل وعليه صور الرجال<sup>(٨٦)</sup>.

وتشير التوراة إلى الثياب المخطوطة والأنسجة المنسججة التي كان يجلبها تجار سبأ إلى فلسطين. وفي صلح المسلمين مع أهل نجران، كان على النجرانيين أن يدفعوا جزية سنوية من بينها ألفا حلّة. ألف حلّة في شهر صفر وألف حلّة في شهر رجب<sup>(٨٧)</sup>. وتروي المصادر أن كسوة الكعبة في عصور ما قبل الإسلام كانت من الأنطاع والمعافر، وأن أحد تبابعة اليمن يُدعى تيان اسعد أبي كرب هو أول من كسا الكعبة بالوصائل اليمنية، وهي ثياب يمنية تُصنع في المعافر<sup>(٨٨)</sup>، وكساها رسول الله ﷺ الثياب اليمنية أيضاً<sup>(٨٩)</sup>، وقد استمرت الكعبة تُكسى من اليمن حتى عهد الخليفة عثمان بن عفان.

وترتبط الصباغة ارتباطاً وثيقاً بصناعة الغزل والنسيج، وكان العرب عافة، وأهل اليمن خاضة يستخدمون أصباغاً مستخرجة من النباتات الطبيعية: كالثورس والعنبر وقزف الأرطي وقزف البدر والفوة والمصّب والأيدع وغيرها، لتلوين الثياب والأقمشة باللون الأحمر أو الأصفر أو الأخضر، أو بمزج الألوان للحصول على صبغة أكثر ثباتاً وتركيزاً. وهكذا حتى راجت الأنسجة والثياب

(٨٥) ابن سيدة: المخصص، ج ١، ص ٦٣-٦٤.

(٨٦) أبو طاهر محمد بن يعقوب القيروزي: القاموس المحيط، ج ٣ طبعة مصر القاهرة ١٩٥١ ص ٣٩٣. محب الدين أبو الفيلس محمد بن مرتضى الزبيدي: شرح القاموس، الجزء الثالث، طبعة مصر ١٣٠٦ هـ، ص ٧ و ١١٨ و ٢٤١ و ٢٨٢.

(٨٧) البلاغري: فترج البلدان، ص ٦٤.

(٨٨) عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ج ١، دار سيدة، مصر ١٩٥٥، ص ١٠.

(٨٩) البلاغري: فترج البلدان، ص ٦٧.



البغية في الأسواق، وأقبل عليها الناس من مختلف أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكان أثرياء العرب يشاهدون بلبسها ويتفادون<sup>(٩٠)</sup>.

واشتهرت عدن أيضاً بصنع البرود، كما اشتهرت قطر بحياكة الثياب الملونة<sup>(٩١)</sup>.

والى جانب إنتاج الثياب والحلل والبرود، راجت في شبه الجزيرة العربية صناعة الخيم والملاحف والأغطية والوسائد والبسط التي كانت تُحاك من صوف الختم وشعر الماعز ووبر الجمل. وكان يعمل في هذه الصناعة الرجال والنساء، ويتجوز أنواعاً عديدة من البسط، كالسط العبقري التي راجت في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، لجودة أصباغها ونقوشها<sup>(٩٢)</sup>.

وكانت حياكة الخيام، التي تُصنع من وبر الجمل أو شعر الماعز أو صوف الغنم أو جلود الأشعاش، مزدهرة عند عرب الجاهليين. وكانت خيام الجلد أفضل أنواعها، لأنها تحمي ساكنيها من البرد والرياح والأمطار<sup>(٩٣)</sup>.

أما طريقة صناعة الألبسة كانت تعتمد على أساليب بسيطة، منها حلق القطن بعد قطعه بمحاليخ خشبية تُدار يدوياً، ثم يغزل بمغازل يدوية، وتُحاك منها الإزارات والبرود والحلل والرباط والأقطاع<sup>(٩٤)</sup>. وأشارت النقوش المكتشفة إلى وجود مصانع النسيج في بعض مدن شبه الجزيرة العربية، كانت تُستخدم فيها عدد من الآلات: كالموال والمشبكة والثاية والعدل والمغزل<sup>(٩٥)</sup>.

وعلى الرغم من التقدم الذي بلغته صناعة الثياب والأقمشة في شبه جزيرة

(٩٠) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٧٢. حسن صالح شهاب: أضرأ على تاريخ اليمن البحري، ص ١٦٦، ١٦٤.

(٩١) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٧٣.

(٩٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٥٩٧. الزبيدي: ناح العرب ج ٢، ص ٣٧٩.

(٩٣) جواد علي: المفصل، ج ٨، ص ١٧٤.

(٩٤) حسن صالح شهاب: أضرأ على تاريخ اليمن البحري، ص ١٥٨.

(٩٥) الأنصاري: قرية القار، ص ٢٢. جواد علي: المفصل، ج ٧، ص ٥٩١.

A. Khan: South Arabian inscriptions, In the ancient near East, P234.

للعرب في عصور ما قبل الإسلام، إلا أن العرب طلعوا يستوردون المنسوجات الغنية الغالية من بلاد فارس والهند ومصر والعراق، كالديباج والإسترق والسندس وغيرها. ويُعتبر الديباج من أغلى الأقمشة الحريرية الذي كان يتنافس الأثرياء على شرائه واستخدامه<sup>(٩٦)</sup>. كما كانوا يستوردون من الهند والصين الأسجة الحريرية والقطنية والصوفية، ثم يقومون بصناعتها محلياً لتلائم أذواق سكان شبه الجزيرة، كالثياب المطرزة بالخيوط الحريرية والذهب<sup>(٩٧)</sup>.

## ٨ - الصناعات الجلدية والدباغة:

كانت دباغة الجلود من المهن الصناعية الرائدة في شبه جزيرة العرب في عصور ما قبل الإسلام. وذلك لسد متطلبات الزراعة ووسائل الرعي، إلى بعض الآلات والأدوات كالقرب والدلاء، وإلى سد بعض حاجات الناس إلى الثعال وغيرها.

وكانت الطائف في الحجاز من المدن الحضرية التي اشتهرت بدباغة الجلود. وقد كثرت مدايقها بحيث أن مياه المدايق التي يديغ بها الأديم، كانت رائحتها تصرع الطير إذا مرّت بها<sup>(٩٨)</sup>. ويقول الهمداني أن الطائف بلد الدباغ يديغ بها الألب الطائفية المعروفة وفيها الأديم السليح والتخيل<sup>(٩٩)</sup>.

وكان يقوم في صعدة اليمن مركز دباغة الأدم، وذلك لوفرةها في بلاد القطر، ومنها يؤخذ الأدم الجيد، وفيها تُصنع الركاء الجيدة والأنطاع الحنة<sup>(١٠٠)</sup>. وكذلك كان يوجد مركز في جرش ومركز في نجران. ويُعتقد أن مراكز الدباغة توزعت في جزر البحر الأحمر ومنطقة الحجاز ومدن جنوب شبه الجزيرة<sup>(١٠١)</sup>.

(٩٦) ابن سيدة: المحقق، ج ٤، ص ٧٩. الفيروآبادي: القاموس، ج ١، ص ١٩٢.

(٩٧) (٩٨) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٩.

(٩٩) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ١٢٠.

(١٠٠) المصنف نفسه، ص ٢٠١. المقدسي: أحسن التقاسم، ص ٨٧.

(١٠١) A. Khan: The Tanning Cottage industries in Pre-Islamic Arabia, Pakistan Historical Society, Karachi 1971, P89.

وكانت جلود البقر في بلاد اليمن تُدبغ للتمال الغالية الثمن، بحيث يبلغ التعل الواحد منها عشرة مثاقيل إلى عشرين<sup>(١٠٢)</sup>. وقد ذاع صيت الجلد اليمني المدبوغ في جميع مناطق شبه الجزيرة، وذلك لجودته وحسن صنعه. وقد ثمر طرفه بن العبد مشافر ناقته بجلد يمني لا يتجدد، وذلك في البيت التالي:

وخذ كقرطاس الشامي ومشفرة  
كسبت اليماني قدّه لم يُحرّد<sup>(١٠٣)</sup>

وكانت الدباغة بالمحرمين تشتم بالشمع والأرطى، فتجبيء الجلود لينة مينة<sup>(١٠٤)</sup>.

وعلى العموم فإن الجلود كانت تدبغ بالقرظ والأرطى والسلم والظيان والآلاء والعلق والغرف والصرف وغيرها. وأجود أنواعها ببلاد العرب ما يدبغ بورق القرظ، وكان يقال لقاطف ورق القرظ القارظ وليأتمه القراط<sup>(١٠٥)</sup>. وكان دبغ الجلود بورق الشث ألين من القرظ، ولذلك كان يخلط بالقرظ ييشي لبه، فيلينة الشث ويحتمه القرظ. وشتر الجلود ما دبغ بالآلاء، وكل ما يدبغ بالقرظ فإنما يحتمر بالأصباغ كالكلك والفوة<sup>(١٠٦)</sup>.

وكانت عملية الدباغة تشتم بإلقاء الجلود، قبل مرط شعرها أو صوفها، في الدباغ للحصول على التعل المشعرة أو بالقراء. وإن أرادوا عكس ذلك مرطوا شعره أو صوفه، ثم ألّفوه إما في ماء ضرب بالغلقة، وهي عشبة تُجفف وتطحن ثم تضرب بالماء وتقع فيه الجلود، فتمرط وتستنقى ما فيها من بقايا اللحم، ثم تُطرح في الدباغ، وإما أن تُعطن، وعطنتها أن تكبس في حفيرة وتدفن فيها حتى يسترخي شعرها وصوفها، أو يُلّف ويتصد بعضها على بعض، فتمرط حينئذ ثم تُلقى في الدباغ<sup>(١٠٧)</sup>.

(١٠٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٩.  
(١٠٣) ديوان طرفة بن العبد، ص ٩٢.  
(١٠٤) أبو حنيفة الدينوري: كتاب الثياب، ص ١١٩.  
(١٠٥) المصدر نفسه، ص ١٠٥.  
(١٠٦) المصدر نفسه، ص ١٠٦ و ١١٨ و ١٢٠.  
(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١١٥.

ومن الطبيعي أن لا تعطن جلود البقر قبل دبغها. وكان العرب يطلقون على الجلود المدبوغ عامة، وعلى جلود البقر خاصة اسم «سبت»<sup>(١٠٨)</sup> وهناك من يطلق على الحذاء اسم «سبت»، فيقال أيضاً: تعل السبت، وتعال السبت، وفي ذلك يقول عنترة:

بظلل كساناً شيا به في سَرَخَةٍ  
يحذى تعال السبت ليس بتولم<sup>(١٠٩)</sup>

أما الآلات التي كانت تُستخدم في دباغة الجلود وصنعها فهي: الإنص واليقر والمشرّد والمخضف واليغراض واليخزف والمنجاز والأزاسيل<sup>(١١٠)</sup> والمحط وهو نوع من الخشب وقيل من الحديد كان يستعمل لعقل الأديم، وهناك المحلاة وكانت تُستعمل لإزالة شعر الجلد، واستخدم الحير لهذه الغاية أيضاً<sup>(١١١)</sup>. وأشارت بعض المصادر إلى ضخامة حجر الطواحين الذي يطحن به ورق القرظ لدباغة الأديم<sup>(١١٢)</sup>.

وكانت هذه الجلود بعد تجهيزها تدخل في مختلف الصناعات الجلدية التي يحتاج إليها الناس في حياتهم اليومية، والتي كانت تُعرف باسم الخزارة ومن الأدوات الجلدية التي صنعها العرب الخزازون هي: الجفان والأنظمة والبيبر والتعان، وقد عُثر على صور وتمائيل لشخصيات تشتمل تعالاً جلدية. كما صنعوا ملابس جلدية من جلود الحيوانات البرية كالأسود والنمور، وصنعوا منها الخيام وهي بيوت غالية الثمن لا يستطيع امتلاكها إلا الأغنياء<sup>(١١٣)</sup>. وقد ذكر الهمداني أن العرب اتخذوا من جلود النمر النقيصة السروج والفرش وأجبة الخيل<sup>(١١٤)</sup>، وصنعوا أيضاً الأشئلة وهي جلد من صوف أو شعر مطرز يجعل

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ١٠٥ و ١١٥.  
(١٠٩) ديوان عنترة، دار صادر، بيروت ١٩٥٨، ص ٦٧.  
(١١٠) اليغراض: حديدة عريضة للقطع. واليخزف: حديدة يُخفف بها. ابن سيدة: المتخصص، ص ١١٥.  
(١١١) حسن صالح شهاب: أشراء على تاريخ اليمن البحري، ص ١١٠.  
(١١٢) ابن منظور البغدادي البياذري: صفة بلاد اليمن ومكة والحداد، ص ١٠.  
(١١٣) نودة العيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٩٣.  
(١١٤) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص.

(١١٥) Khan: The tanning Cottage industry in Pre-Islamic Arabia, P86.



على بحر البعير<sup>(١١٥)</sup>. وكذلك الغروب والدلاء الجلدية التي تُستخدم في رفع الماء من الآبار. والقرب التي كانت تستعمل لنقل الماء وحفظه، ومنها ما يُعطي فيه العسل واللبن والخمر والسمن. ومن الجلد صنعوا السبط والأحربة والسائد. وأدوات الحرب من دروع وخوذ، وأجربة السكاكين والسيوف والخناجر<sup>(١١٦)</sup>. ويبري أن هذه الجلود كانت تستعمل في بعض الأسلحة الهيبوية لحماية من في جوفها من نبال وسهام العدو. يقول البلاذري إنه كان مع المسلمين وقت حصار الرسول ﷺ لمدينة الطائف المحصنة دابة صُنعت من جلود البقر، فكانوا يدخلون في جوفها، ثم يدفعونها في أصل الحصن فيقتلونها وهم في داخلها<sup>(١١٧)</sup>.

#### ٩ - صناعة استخراج الأصباغ والعطور:

اهتم العرب في العصور القديمة بتحضير الأصباغ والألوان، لتلوين الثياب والأقمشة والجلود. وكانت معظم هذه الأصباغ تُستخرج من النباتات البرية والمزروعة كالنورس، والعصفر، والحلق، وقرف الأرطي، وقرف الشدر، والقوة وهو نبات له عروق حمراء. وحب شديد الحمرة كثير الماء، يطبخ ويصنع بهاء والغنم وهو البقم، والبقم شجر ساقه أحمر، يطبخ ويلون بهاء الأحمر، ولكنه ليس من نبات أرض العرب. والعندم شجر أحمر<sup>(١١٨)</sup>. قال الأعشى في وصف الخمر: قبت كائني شارب بعد فجة سخامية حمراء تحسب عذما بكاس وإبريق كأن شرابه إذا صب في المصحاة خالط بقمًا<sup>(١١٩)</sup>.

(١١٥) أحمد فاروق - دباغة الجلود وتجارنتها عند العرب في مستهل الإسلام، دار البعث للنشر الرياض ١٣٩٦هـ، ص ٥٣٨.

(١١٦) Herodotus: The History of Herodotus, Pt3, P11. The Perplus of the Euxine Sea, chapter 27, P32.

(١١٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٥٥.

(١١٨) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات ص ١٧١ و ١٩٢ - ١٩٥.

(١١٩) دبران الأمشي الكبير (معمون بن قيس)، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين، الطبعة السودانية، مصر ١٩٥٠م، ص ٢٩٣. سخامية: الخمر السلية في الحلق. المصحاة: لدغ من ناقة يشرب به.

أما النورس فيزرع زرعاً في البقن، ويبقى في الأرض عشرين سنة لا ينقل، ويُخرج النورس الحنبي صبغاً أصفر خالص الصفرة، والنورس الباذرة في صبغها حمرة. وأما العصفر فممنه برقي، ومنه رينقي يُزرع زرعاً، وكلاهما ينت في أرض العرب، وليس في البرقي منه متعة. والزعفران نبات لون زهره أصفر، ومصدره من بلاد العجم، وقد حُرِّفَته العرب فقالوا: ثوب مزعفر. وزعفر ثوبه، يزعفره زعفرانة. وقرف الأرطي وقرف الشدر وهي ثوب عروقها حمراء. والتكغ وهو نبات أحمر. والصفوف وهو أحمر يُصبغ به ثوب الثعال. واللك نبات صبغه أحمر، يُصبغ به آدم. والعظم وله صبغ شديد الحمرة. والأيدع يعطي لوناً أحمر، وهو خشب البقم ويصبغ به ثوبه. وقد استعمله أهل البادية. وكذلك النيلة وهي صبغة تُؤخذ من نبات ينمو في المرتفعات ما بين ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ قدم<sup>(١٢٠)</sup>.

ومن الأصباغ الأرقان وهو شجر له صبغ أحمر. والشلق شجرة تنبت نبات الكرم، وترتقي في الشجر، لها ورق حامض، يطبخ ويُجعل مازها في العصفر فيكون خيراً له من حب الرمان، ويُجفف ورقها فيجمل في البلاد لهذا الشأن. ولون العرب يصبغة الثياب الحمراء. واستخدموا الحناء ومئاته بأرض العرب كثير، ويعظم شجره حتى يكون كالشدر، وكان يختص به الرجال والنساء. وذكر أن الحناء استعمل في صبغ الأنسجة الحريرية. واستخدموا ماء الشقائق في الخضاب الأسود، ولا سيما إذا كبس نأله شديد السواد. يُصبغ به الشعر وغيره. وامتشطت النساء بورق العشوق الذي يسود الشعر وينتبه. كما امتشطت بورق القان الذي يجفد الشعر ويسوده<sup>(١٢١)</sup>.

وكانت عملية استخراج الأصباغ تتم إما بنقع هذه الخامات بالماء أو بطبخها على النار، حتى تصبح مادة صالحة لتلوين الجلود والأقمشة والثياب.

(١٢٠) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ١٦٥ - ١٧١. قهقاني: صفة جزيرة العرب، ص ٣٦٠. ابن منظور: لسان العرب، ج ٨، ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

Western Arabia and the Red Sea, P495. Theophrastus: Enquiry into Plants, Bk7, P113.

(١٢١) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ٩١ و ٩٧ و ١٧١ و ١٧٩ - ١٨٢.

وبعد أن اكتسب الصباغون خبرة ومهارة في تحضير الألوان. والأصباغ، أخفروا بمزجون الأصباغ، إما لتركبها، وإما للحصول على ألوان جديدة. وكانت شهرة اليمن بصيغ الجلود وتلوين الألبسة والحلل قد امتدت إلى جميع أقاليم شبه الجزيرة العربية. وذكر الأصمعي ثلاثة أشياء لا تكون إلا في اليمن: الزؤس، واللبان، والمضب<sup>(١٢٢)</sup>.

ومن المهن التي اشتهتها العرب في عصور ما قبل الإسلام. حرفة استخراج الروائح والعطور من الأزهار والورود، كعطر الوردة (ماء الورد) الذي ذكر في كتب الحديث باسم «الجلاب»<sup>(١٢٣)</sup>. والطيب الذي اشتهرت به اليمن، والذي كان يتم تركيبه بمزج عدد من مواد العطور بالماء أو الدهون. والمسك الذي هو نوع من الطيب الثمين، وكان يذكر معه العنبر، وأجرده المسك الممائي<sup>(١٢٤)</sup>. وأجود أنواع العطور، عطور اليمن التي كانت تُصدّر إلى مكة. وتباع في دكاكتها، وكانت أم أبي جهل عطارة، تتاجر بالعطور التي تجلب لها من اليمن<sup>(١٢٥)</sup>.

ومن المواد العطرية أيضاً اللبان ومنه التوند والأدن والضرو والحلن والثسسط والسباع وهو الكندر والكادي والمقل والضجاج والصبر والعفص، وجميع هذه المواد تُستخرج من نباتات تنمو في أنحاء مختلفة من شبه الجزيرة، وخاصة في الجنوب. أما العنبر فهو مادة بحرية تجمع في فصل الشتاء وتُحتر عليها في السواحل الجنوبية من بلاد العرب، وأشهرها العنبر الشحري ومن أنواعه الأبيض والأسود والدخني الذي هو أجوده<sup>(١٢٦)</sup>. ورد في النقوش العربية كذلك العديد من العطور مثل: نعم وقيلت وقلم وسليخة وغيرها.

وتحتوي معظم صمغ هذه المواد على مادة زيتية لها رائحة عطرية استخدمت في صناعة الطيب. فالمر الذي ورد ذكره في النقوش العربية<sup>(١٢٧)</sup> يحتوي على ١٧٪ من حبيبه زيتاً إذا كان طرياً، ويُعرف بدهن المر الذي كان يدخل في تركيب العطور ليحافظ على رائحتها لمدة طويلة. حذوها ثيوفراستوس بعنزة أعوام<sup>(١٢٨)</sup>. وقد أكد بلينيوس على هذه الميزة حين ذكر أن المر واللبان كانا يضافان إلى العطور لحفظ رائحتها لمدة طويلة<sup>(١٢٩)</sup>. وكان يُصنع من المر الأدوية، ويُضاف إلى الخمر لإكسابها رائحة زكية<sup>(١٣٠)</sup>.

وكان العطّارون يعتصرون ثمار بعض النباتات وأزهارها ويصنعون منها دعاً. ثم يرببون الدهن باللبان وغيره، لبصيرة، عطراً ينطيون به. ومن أفضل أنواع الدهون عندهم أدهان حنجر<sup>(١٣١)</sup>، ودهن الزئبق، وله يقول الأعشى: وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه له ما اشتهى واح عتيق وزئبق<sup>(١٣٢)</sup>.

واشتهرت في شبه الجزيرة العربية بعض المدن بصناعة الطيب مثل: عدن التي كان يقصدها التجار من الهند والسند وفارس وبلاد الروم للحصول على طيوبها. وكان أشهر هذه الطيوب الغالية التي تكون من دهن العنبر والزباد والمسك واليان. وينمو نبات اليان في تهامة، ويُستخرج من بذور، دهن زكي الرائحة. ومن هذه الطيوب أيضاً عطر العبير الذي يدخل في تركيب الزعفران، والقريرة التي هي خليط من مواد جافة مطحونة أشهرها: الحلب الأبيض، وبسباس الطيب، وجوز الطيب، وزهر الكافور. وقد اشتهر حوض وادي تين في منطقة لحج بصناعة هذا العطر وذلك لكثرة ما ينمو فيه من المواد الداخلة في تركيبه<sup>(١٣٣)</sup>.

(١٢٧) المعجم السبئي، ص ٧٨ و ١٠٣ و ١٠٥ و ١٢٦.

(١٢٨) Theophrastus: Enquiry into plants, Bk9, P357, 367.

(١٢٩) Pliny: Natural history, Bk11, P3.

(١٣٠) تودة التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٩٠ - ١٩١.

(١٣١) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ١٩٥ و ٢١١.

(١٣٢) ديوان الأعشى الكبير، ص ٢١٧.

(١٣٣) حسن صالح شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ١٤٦.

(١٢٢) الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص ٢٠٠.

(١٢٣) صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج ٣، ص ١٢٠.

(١٢٤) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٩٣.

(١٢٥) أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني، ج ١، ص ٦٤ - ٦٥.

(١٢٦) ابن الجاوي: صفة بلاد اليمن ومكة والحجاز المسماة بتاريخ المستنصر، ص ١٨٥.

شهاب: أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ١٤٩.



أما الزباد، الذي يدخل في تركيب عدد من العطور، فهو مادة دهنية ذات رائحة طيبة، تستخرج من غدة تحت ذيل حيوان السنور الذي يعيش بكثرة في جزيرة سوقطرة<sup>(١٣١)</sup>. ولم يعتمد العطّارون في عدن على المواد المستخرجة محلياً في صناعة العطور، بل كانوا يستوردون من الهند وغيرها مواداً أخرى يصنعونها طويلاً فاخرة حيث يقومون بتصديرها إلى الخارج، وخصوصاً إلى بلاد فارس وبلاد الروم<sup>(١٣٥)</sup>.

ومن المدن التي اشتهرت أيضاً بصناعة العطور البقراء - عاصمة الأنباط التي أشار ديودوريس إلى اشتغال أهلها بتجارة الطيوب المصنعة محلياً من دمن الحرّ واللبنان والبلسم. وكانت هذه الطيوب تبعاً في جرار رقيقة من الفخار التي اكتشفت أعداد كبيرة منها هناك. مما يؤكد على ازدهار هذه الصناعة في هذه المدينة حينذاك<sup>(١٣٦)</sup>.

#### ١٠ - الصناعات الخشبية:

اهتم العرب في العصور القديمة بالصناعات الخشبية اهتمامهم بالصناعات الأخرى، وكانت هذه الصناعات تهدف إلى تأمين بعض الحاجيات المنزلية، وبعض أدوات الزراعة ووسائل الترفيه والصيد، وبعض ما يتطلبه بناء المنازل والحظائر وغيرها. وقد ساعد في قيام هذه الصناعات نمو عدد كبير من الأشجار في مرتفعات شبه الجزيرة وخصوصاً في جهتها الغربية، وفي جنوبها الشرقي وفي بطون أوديتها، وفي الأقاليم العربية الأخرى. كما ساعد في قيامها استيراد بعض الأخشاب، التي تتنازع بالقوة والصلاية مثل الساج والأبنوس والصدل، من الهند وشرقي أفريقيا.

(١٣١) المرجع نفسه، ص ١٤٧.

(١٣٥) Patricia Cone: Meccan trade and the Rise of Islam, Basil Blackwell, Oxford 1978, p95.

(١٣٦) Diodorus: Library of history, Bk2, P47, Hammond: The Nabataean their history, culture and Archaeology, P66.

والى جانب الصناعات الخشبية، استُخدمت جذوع الأشجار وفروعها مباشرة وأما بعد تحويلها إلى فحم، وذلك بحرق الجذوع ثم إطلاقها، كما هو الحال في المشاحير التي تقام في بعض القرى والأحراج في أيمان، ثم تنقل الفحم إلى المدن والأسواق للبيع والاستهلاك المنزلي<sup>(١٣٧)</sup>.

ومن أشهر الأشجار التي أدخلها العرب في صناعاتهم: النخلة، الجوز، العنبر، الطلح، العوسج، الأثل، العيس، السمر، العرعر، القزح، السرح، الخبز، النشم، الضرو، الأذخر، الحماط... وغيرها.

وكان النجارون يستخدمون أخشاب أشجار الطلح والسمر والعرعر والأذخر والجوز والسرو في صنع أبواب المنازل ونوافذها وسقوفها، وفي بناء حقائق العاشية. واستعملوا شجر القزح في إنشاء هياكل الخيام<sup>(١٣٨)</sup>. وقد غتر في محرم بلقيس على أجزاء من أخشاب السدر التي استُخدمت فيما يبدو في تسقيف المدخل، وكانت هذه الأخشاب تُعالج بالقطران وزيت الخردل لكي تبقى مدة أطول<sup>(١٣٩)</sup>. كما صنعوا من خشب الجوز والأثل والضرو: القضاغ، والجفان والآنية والمكايل والصيغان والأنداح<sup>(١٤٠)</sup>. ومن خشب البسب السرحال حتى أصبح معنى العيس الرحل لغلبة استعماله، قال الأعشى:

زينة بالسرحل خضارة تلقوي بشرخي مبهمة فاطر<sup>(١٤١)</sup>

وصنعوا من جذوع الأشجار السروج والهواذج المستخدمة في الإبل والخيول، واتخذوا منها خلايا النحل، والعجلات التي استعملت في رفع الماء من الآبار<sup>(١٤٢)</sup>. كما صنعوا بعض وسائل الري وأدوات الزراعة: كالمحراث

(١٣٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٩٣.

(١٣٨) Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P311.

نوري القيس: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ص ٧٩.

(١٣٩) زيد بن علي عنان: تاريخ حضارة اليمن القديم، المطبعة السلفية، القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٧.

(١٤٠) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ١٣. الديلملي: معجم أسماء النباتات الواردة في نوح العروس للزبيدي، ص ٨٤ و ١٥١.

(١٤١) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٤٧.

الخشبى ومقابض الفؤوس والمزاميل والمسحاة والمطارق<sup>(١١٣)</sup> - ودخلت  
الأخشاب صناعة الأثاث المنزلى كالأسرة والأرائك والصناديق الخشبية التي  
تستخدم في حفظ القطع الثمينة واللواحق الخاصة، والتي كانت أرجلها تُحفر  
على هيئة أرجل حيوانات وتجعل أظلالها من المعادن كالذهب والبرونز<sup>(١١٤)</sup>  
وصنعوا من الخشب الترابيت واستوردوا أخشاب الصندل لهذه الغاية<sup>(١١٥)</sup>  
ويشير بعض كتاب الأغريق إلى العربات المذهبة التي صنعها العرب في  
القديم<sup>(١١٦)</sup>.

واتخذ العرب من الأخشاب بعض الآلات البسيطة، فمن العوسج اتخذت  
النساء مغازل للصوف والشعر، كما اتخذت من شجر الترمان الأمشاط، ومن  
العُفار والسرخ والخرمل والأثاب والأثرار اتخذت الزناد لإشعال النار وذلك  
لثقل قابليتها للاحتراق. ومن أغصان وجذور بعض الأشجار اتخذت الأسلحة  
مثل الأراك والعنم والبطم والغزو والأسحل ومن بعض الأشجار اتخذت أعواد  
الأخبية والأوتاد<sup>(١١٧)</sup>.

وكان العرب يصنعون من الأخشاب بعض أنواع الأسلحة مثل القسي التي  
كانت تصنع من أشجار: التآلب والمُزُخِط والتشم والتنع، التي تمتاز أخشابها  
بالثقل واللين معاً. وتُصنع أيضاً من العرعر والأثل والسرور والقان الذي كان

(١١٦) الأصمعي: كتاب النبات، ص ٣٥، الديلماني: معجم أسماء النبات، ص ١٣.

(١١٧) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ١٣.

Gus Van Beek: Hajar Bin Humeid, P368.

(١١٨) حواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧ ص ٥١٩.

Gus Van Beek: The land of Sheba, P60.

(١١٩) حفر من القار على نابوت من خشب الصندل شُحِبَ بطريقة التشبيك موجود في متحف كلية  
الأدب جامعة الملك سعود. ثورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية...  
ص ١٨٧. الأصمعي: قرية القار... ص ٢١.

(١٢٠) Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P349.

(١٢١) الأصمعي: كتاب النبات، ص ٣١. الأصمعي: قرية القار... ص ١٠٩. حواد علي: المفصل  
في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٨١. الديلماني: معجم أسماء النبات، ص ٩، ١٠،  
٣٩٢. الجاسر: في سراء عامر وزهران، ص ٣٩٢.

يُصنَع من شبيه الجزيرة لهذا الغرض<sup>(١١٨)</sup> وصنعوا من أغصان النع  
الهام<sup>(١١٩)</sup>. ومن شجر الوشيج الرماح حتى غلب اسم على الرماح نفسها وفيه  
يقول الأعشى:

ونرى الجهاد الجرد حول بيوتنا موقوف ونرى الوشيج مستنداً<sup>(١٢٠)</sup>

وازدهرت الصناعات الخشبية كثيراً في عصور ما قبل الإسلام، في كافة  
مدن شبه الجزيرة العربية. ففي مكة مثلاً كان عبدة بن أبي رفاع - أخو سعد بن  
لي رفاع - نجاراً<sup>(١٢١)</sup>. وكانت أدوات التجار في معالجة الخشب وقطع  
وتشريح وتسييته: الفأس، والحصين (فأس ذات خلف واحد)، والخذاة (داس  
ذات رأس) وفيها يقول الشاعر:

وبما كنون العجزة بمفتحات نواجهن كالحذاء الوقيع<sup>(١٢٢)</sup>

والقدوح (فأس صغيرة)، والمشار، والمخفرة، ومثلها المنظار، والمنخل  
(مبرد أخش من مبرد الحديد) يُسحل به الخشب أي يُنحت، والصغير منه  
سرد، ومنها المثقب، والكليتان (الكماشة)، والعلة (آلة من حديد كَأُتِها رأس  
واس يهدم بها الحائط) وغير ذلك من أدوات<sup>(١٢٣)</sup>.

## ١١ - صناعة السفن:

عرف العرب في عصور ما قبل الإسلام صناعة السفن في بعض المناطق،  
وخصوصاً عرب اليمن، الذين كانت لهم في القديم تقاليد عربية في إنشاء  
السفن وفي التجارة البحرية. وكان العرب يصنعون سفنهم من أخشاب بعض

(١٢٤) الأصمعي: كتاب النبات، ص ٣٥، الحافظ: النصر بالتجارة، ص ٣٤، الديلماني: معجم  
أسماء النبات، ص ١٢١.

(١٢٥) الديلماني: معجم أسماء النبات، ص ١٤٩.

(١٢٦) ديوان الأعشى الكبير، ص ١٤٧.

(١٢٧) ابن قتيبة: المعارف، ص ٥٧٥.

(١٢٨) الزبيدي: تاج العروس، ج ١، ص ٥٥، الألويسي: بلوغ الأرب، ص ٣٩٩.

(١٢٩) الزبيدي: تاج العروس، ج ٧ ص ٣٧٢ وج ٨ ص ٨. الألويسي: بلوغ الأرب، ص ٣٩٩ حواد  
علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٥٥٧.



الأشجار المحلية أو المستوردة من أفريقيا والهند. وأشار صاحب كتاب الطواف إلى استيراد الأخشاب القوية الصالحة لبناء السفن مثل أخشاب الساج، وأن هذه الأخشاب كانت تصل إلى ميناء عُمانا (صُحار) في الجنوب - الشرقي من شبه الجزيرة العربية<sup>(١٥٤)</sup>.

ويبدو أن العرب صنعوا السفن الكبيرة والقوارب التي استخدموها في رحلاتهم البحرية. وكانت القوارب أنواعاً، منها القوارب الصغيرة التي كانت تُستخدم في رحلات الصيد، وفي رحلات الغوص للؤلؤ من السواحل القريبة. وكانت هذه القوارب الصغيرة بسيطة الصنع تتكون من جذوع الأشجار والغرب المنفوخة. وقد اشتهر في صنعها سكان السواحل، وما تزال صناعتها قائمة في بعض القرى الساحلية حتى اليوم<sup>(١٥٥)</sup>. ومنها القوارب التي كانت تُصنع من جريد النخيل المحيط بحبال أليافها، والمغطى هيكلها بجلاتها<sup>(١٥٦)</sup>.

أما السفن الكبيرة فكانت تتألف من سقائف تُخزخز بالليف، ويُجعل في ظلها القار؛ وتُصنع من ألواح خشبية تُشد بعضها ببعض بخيوط من الألياف، وتُستعمل فيها الأشعرة المربعة، وكانت قادرة على الإبحار في المحيط الهندي مع الرياح الموسمية، ونقل ما يصل وزنه إلى ٢٠٠ طن دفعة واحدة. ويبدو أن هذه السفن ظلت معروفة في البحر الأحمر والمحيط الهندي حتى القرن الخامس عشر الميلادي<sup>(١٥٧)</sup>.

وقد أطلق العرب على سفنهم أسماء مثل: غدولي وخليبة، وفيها قال طرفة بن العبد:

كَأَنَّ حُدُوجَ المَالِكِيَّةِ غَدُولَةٌ      خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوْاصِبِ مِنْ دَوْلِ  
غَدُولِيَّةٍ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامَنِ      بِجَوْزِهَا المَلَاخَ طَوْرًا وَيَهْتَدِي<sup>(١٥٨)</sup>

وكان على شواطئ اليمن فرض (مواني) ترسو عندها السفن القادمة من الهند أو وادي الفرات أو وادي النيل. وكانت لهم فرضة اسمها «موزا» يترن فيها السفن الكبرى للمسير في المحيط الهندي. ومن الفرض التجارية المشهورة في اليمن حينذاك: عدن، وحصن الغراب، وظفار، ومسقط، وعُمانا<sup>(١٥٩)</sup>. واشتهرت عُمان منذ القديم بصناعة القوارب والسفن ويُنصديرها إلى المناطق العربية الأخرى، كما اشتهرت جزيرة البحرين بهذه الصناعة على حد ما جاء في رواية ثيوفراستس<sup>(١٦٠)</sup>.

## ١٢ - صناعة الألياف والعيدان:

وإلى جانب صناعة السفن والأثاث المنزلي، صنع العرب في عصور ما قبل الإسلام من ألياف بعض الأشجار وعيدانها: الحبال والحصر والسلال والقرابيل وشباك صيد السمك وغيرها<sup>(١٦١)</sup>. فمن نباتات: الخزم والعرفط والأسل وليف النخيل والعراب صنعوا الحبال والأرشية، ومن القنب الذي هو نوع من الكتان الغليظ صنعوا الحبال، ومن المصاص اتخذوا الحبال المستعملة في الخرازة<sup>(١٦٢)</sup>. من سعف بعض النباتات كسعف النخيل صنع العرب: السلال والحصر والبسط والمراوح والمكاس، والفتف لنقل المواد الغذائية، والأكياس لكبس التمور<sup>(١٦٣)</sup>. ومن أجزاء بعض النباتات: كالطرف والخرق والسراء والعشر، صنع العرب أشياء كثيرة كحشو الوسائد والفرش والراتب ورحال الإبل. وكان نبات السراء وثبات العشر ينتجان ثماراً تنقلق

(١٥٤) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٢.

(١٥٥) Theophrastus: Enquiry into plants, Bk5, P445.

(١٥٦) أبو حنيفة الدينوري: كتاب النبات، ص ٢١٢ و ٢٤٨ - ٢٥٢.

(١٥٧) الأصمعي: كتاب النبات، ص ٢١. الديلماني: معجم أسماء النباتات، ص ٩٩ و ١٠١ و ١٢٩.

الأرشية: الحبل عموماً أو حبل الدلو. أرشية النبات: خيطوط إذا انتفخت. البغلازة: حرق الخراز وهي صناعة خيطان المسابح والعقود.

(١٥٨) الأصمعي: كتاب النبات، ص ١٣٥. الجاسر: في سرة غامد وزهران، ص ٣١٩. الأصمعي:

قوة القار، ص ١١٢ - ١١٣.

(١٥٩) The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 36, P36.

(١٥٥) Pliny: Natural history, Bk6, P469.

حسن صالح شهاب: فن الملاحة عند العرب، دار عودة، بيروت ١٩٨٢، ص ٣٩.

(١٥٦) وزارة الإعلام والثقافة العمانية: تاريخ عُمان البحري، مسقط ١٩٧٩، ص ١٥٢.

(١٥٧) فضل جوداتي: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة بحقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨، ص ٢٥٠.

(١٥٨) ديوان طرفة بن العبد، ص ٣١ - ٣١.

عن وبر شبيه بالفطر يُحشى به، وكان لبنات الخرقع رُغيب مثل الفطر يُحشى به أيضاً<sup>(١٦٦)</sup>.

وقد تخصصت في صناعة الحبال فئة من العرب، كانت تقوم بفنل لحاء الشجر ويرمه بواسطة المنازل والمبارم، لكي تُكسبه قوة ومثانة، وقد تُضيف إليه الزيوت المعقوبة والمرطبة، أو تُضيف إليه الجلد، ثم تفتله وتبرمه على شكل مجموعات وتلده شداً قوياً حتى يمتن ويشد<sup>(١٦٧)</sup>.

### ١٣ - الصناعات الفخارية:

عرف العرب منذ آلاف السنين صناعة الفخار، وتركوا لنا آثاراً فخارية كثيرة تدل على نمو هذه الصناعة وتطورها. وقد عثر علماء الآثار على أواني فخارية وخزفية في وسط شبه الجزيرة العربية وفي جنوبها وخصوصاً في اليمن، وفي عاصمة كتلة، كما عثروا على أواني فخارية ملونة ومزينة بتقوش هندسية أو نباتية أو حيوانية في شرق شبه الجزيرة وتحديدًا في موقع هيلي الذي يشكل حالياً جزءاً من مدينة العيين، وفي أمكنة أخرى مختلفة.

وكانت أنواع الفخار المكتشفة كثيرة ومتنوعة منها: فخار سميكة خشن مسروج بالرميل ومتعدد الألوان ويغلب عليه اللون الأحمر أو البني أو الأخضر، ومزينة مسامية، ومزخرف بالخطوط المتموجة والتقطيع. وقد وجد هذا النوع في وسط شبه الجزيرة، وفي جنوبها في حجر بن حميد، وحريضة في حضرموت، وفي قرية الفاو<sup>(١٦٨)</sup>. ومنها فخار خشن مسروج بالحجر الصابوني، وقد اكتشف

(١٦٦) الديلماتي: معجم أسماء النباتات، ص ١٠٢. الرجال: ما يُجعل على ظهر البعير كالسرج والرجال: الطائفة المصنوعة بالحيرة.

Piny: Natural history; Bk12, P117. Theophrastus: Enquiry into plants, (١٦٧) 889, P237.

جواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ١١٢ - ١١٣.

Gua Van Beck: Hajar bin Humaid, P90. Juris Zarins: The Preliminary Report on the third phase of the Comprehensive Archaeological survey program, the Central Province, P32.

في وسط شبه الجزيرة، وفي وادي بيجان. وهناك فخار خشن مسروج بالرميل ودلون أسود أو أحمر، وُجد منه في وسط شبه الجزيرة، وفي منطقة حارب، وفي حضرموت، ونظراً لانتشاره في أثيوبيا فقد عثر البعض اليوبي الأصل<sup>(١٦٩)</sup>.

ومنها أيضاً فخار رقيق جداً، تتراوح رفته ما بين ١ - ٤ ملمترات، وله ألوان كثيرة منها الأحمر والأسود، ومزخرف بأشكال عديدة مثل الأبرار وأوراق الأشجار. وكذلك يوجد الفخار المزجج الذي عُثر عليه في تاج بشرق شبه الجزيرة، وفي شمالها، وفي قرية الفاو. وكانت أقطع الفخارية مزججة من الداخل والخارج معاً، أو مزججة من الخارج فقط، أما ألوانه فكثيرة منها: الأصفر والأسود والأخضر<sup>(١٧٠)</sup>.

وقد اشتهرت مكة واليمن بصناعة الأواني الفخارية، وكان ممن اشتغل بهذه الحرفة في مكة أمية بن خلف<sup>(١٧١)</sup>، كما اشتغل بها الأنباط، وكانت لأواني الفخارية التي صنعوها من الدقة والرقّة بحيث أنها قاومت جودة خزف الشعوب الأخرى<sup>(١٧٢)</sup>.

وكان أهل يثرب يحملون الخمر في جراو يطلقون عليها اسم «الحتم». وقيل أنه الحتم هو الخزف الأخضر، أو الجراو التي ذهنت باللون الأخضر. وكانت قرية «هجر» التي تقع على مغربة من مدينة يثرب تصنع القلال أي الجراو الكبيرة، قليل «قلال هجر». واشتهرت الأحساء بالقلال أيضاً<sup>(١٧٣)</sup>.

وعلى العموم فإن الجراو التي كانت أكثر الفخار استعمالاً، تُستخدم في تخزين الطعام بالمنازل كالحبوب والدقيق والزيت، وفي تخزين الدبس والتمور برضا في الجراو. وفي حفظ مياه الشرب حيث كانت توضع في الخواوي - وهي

(١٦٨) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٨٢.

Gua Van Beck: Hajar bin Humaid, P92.

Shmilt korte: A Contribution to the Study of Nabataean Pottery, Annual of the Departments of Antiquities of Jordan, Amman 1971, vol 16, P12.

الأصاري: قرية الفاو... ص ٣٠.

(١٧١) ابن قتيبة القهيري: المعارف، ص ٥٧٦.

(١٧٢) فليب ستي: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ص ١٤١.

(١٧٣) ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٥٦٥، وج ١٢، ص ١٢١ - ١٢٢.



الحرار الصالحة - لتصنع من كدرها وشوائبها ولتبرد نسبياً، وفي خزن بعض الأشياء الثمينة حيث كانت تُسَدُّ وتُدْفَن تحت الأرض كي لا يفقد عليها اللصوص. وقد عُثِر على كتوز مخبأة في جرار طمّرت تحت التراب<sup>(١٧٢)</sup> وكان الأنباط يصنعون الجرار الصغيرة ويستخدمونها في حفظ العطور والمراهم واللبس. ويُصدرونها إلى الخارج؛ وكانت هذه الجرار غير قابلة للاستعمال مرة أخرى، فلا بد من كسرها للحصول على ما بداخلها، وقد عُثِر منها على كميات كبيرة محطّمة وبأحجام مختلفة، ولكن معظمها يميل للصغر<sup>(١٧٣)</sup>.

وإلى جانب الجرار صنع العرب، في القديم، الأدوات والأواني الفخارية والخزفية من أهمها: القدور خاصة من الفخار المزوج بالحجر الصابوني لتحمّلها لدرجات الحرارة العالية. والأطباق بكافة أحجامها، والصحاف الكبيرة الواسعة، والحققان، والأباريق، والأقداح، والأزيرة الكبيرة التي ما زالت تُستخدم في معظم المناطق. كما صنعوا الكيزان، والأكواب، والرافود وهو دُر يُصنع باطنه بالفار ويُستخدم للشرب، والفاقرة أو القافزة أو القزوزة وهي مشربة، أو الصغير من الفوارير والعلاس<sup>(١٧٤)</sup>.

وصنع العرب أيضاً المجامر (المباخر) من الفخار وإن كانت قليلة الانتشار، وبعض التماثيل البشرية والحيوانية وانفرد القنانيون بصناعة التماثيل الفخارية لتصريف المياه واستخدامها في عمليات الري. واستعمل الأنباط الأنابيب الفخارية في تصريف مياه المباني كالصالح وغيرها<sup>(١٧٥)</sup>.

(١٧٢) أبو منصور مؤرخ من أحمد الجواليقي: المغرب، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر - طعة مصر، القاهرة ١٩٩٩، ص ١١٨. حواد علي: التعليل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٦٠.

(١٧٣) P. Hammond: The Nabataean their history culture and Archaeology, P70-71. (١٧٤) الجواليقي، المغرب، ص ٢٠٩ - ٢١١ - ٢١٢.

Thompson Gatton: The Tombs and Moon Temple of Hureida «Hadrasmout», P115.

(١٧٥) نورة التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٨٣ - ١٨٤. Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, P64. Philp Hammond: The Excavation of the Main theater of Petra 1961-1962, Cohn Archaeological Institute Publication, London 1965, P54

ويبدو أن صناعة الفخار قد انتشرت في كافة المناطق العربية، وتخصّصت كل منطقة بتنوع معين منها، واختلفت عن غيرها من حيث المادة وطريقة الصناعة والخزفة، لذا أطلق الأثريون اسم المنطقة على الفخار الموجود فيها، فقالوا: هناك فخار قربة، وفخار الخريبة (ديدان)، وفخار نبطي، وفخار الفار وفخار تاج، وفخار حريضة، وفخار حجر من حميد... وهكذا، وقد ساعد ذلك على تحديد تاريخ المناطق، عن طريق مقارنتها مع بعضها البعض.

وكانت المواد المستخدمة في صناعة الفخار كثيرة نذكر منها:

الرميل الذي دخل في صناعة الفخار في معظم المناطق وخصوصاً في المناطق الوسطى والشمالية من شبه الجزيرة؛ وكانت مدينة مأرب أهم مراكزه في الجنوب. كما دخل في صناعته بانيوبيا بشكل واسع مما جعل الأثريون يعتقدون أنه أثريبي الأصل. وتنتشر الأواني الفخارية المصنوعة من الرمل بنقل الوزن، ويلونها الأحمر الغامق أو الأحمر المائل للبني بعد حرق مائتها، وبسطحها لغنى حتى بعد محاولة تلميسها<sup>(١٧٦)</sup>.

والحجر الصابوني الذي كان يُستخدم بكثرة في شبه الجزيرة العربية.

والصلصال الذي كان يُعدّ مادة الفخار الأولى، والذي كان يُصنع منه الفين الذي يسوّى بدوره أشكالاً فخارية، تُوضع تحت أشعة الشمس لتجف، ثم تُدخل إلى أتون النار لتحويلها إلى أوانٍ خزفية جاهزة للاستعمال<sup>(١٧٧)</sup>.

والقش الذي يُعرف باسم التبن في بعض الأقاليم العربية، والذي وُجد ممزوجاً مع الفخار وخاصة في المناطق الزراعية كجنوب شبه الجزيرة العربية حيث كان يُشكّل ما نسبته ٨٣٪ منه، كما وُجد ممزوجاً معه في وسط شبه

(١٧٦) I Zarins: Preliminary report on the third phase of the comprehensive archaeological Survey Program, Atlat, vol 3, Riyadh 1979, P32.

نورة التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٧٩. حواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٨٩. نورة التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٧٩.

الجزيرة كم منطقة القصيم. وكانت قطع الفخس تتراوح ما بين نصف وواحد ملية<sup>(١٧٨٦)</sup>.

ويعد آتون النار القسم الرئيس في معمل الفخار، وهو عبارة عن «كوة» في أسفله موقد ثوقد فيه النيران، فيرتفع لهيبها وتُصعد حرارتها، من خلال فتحات وثقوب تكون في قاع الآتون إلى أعلى مازة بين أشكال الطين لتسويها وتحويلها إلى خزف وفخار. وللآتون فتحة في أعلاه وفتحة في جانبه تُعَلَّقُ في أثناء العمل، وتُفتح بعد تصوج الخزف والفخار<sup>(١٧٩)</sup>.

وكان معظم الفخار العربي يُصنع بواسطة عجلة أو دولاب يُعرف بدولاب الفخار، وهو عبارة عن دولاب يدبر قرصاً من خشب، فكان عامل الفخار يضع الطين على القرص، ثم يُحرك القرص بالدولاب، وخلال عملية الدوران كان العامل يعالج الطين بيده ليسوي منه الشكل الذي يريد<sup>(١٨٠)</sup>.

ويبدو أن عامل الفخار قد اعتمد في عمله على أساليب بدوية عذة من أهمها: استخدام قالب من الفخار أو الخشب أو غيره كنموذج تُوضع فيه المادة الفخارية، ثم تضغط باليد حتى تأخذ شكل القالب. وقد صُنعت بهذه الطريقة الأواني والأطباق، كما صُنعت الجرار ولكن على جزئين يُلصقان ببعضهما في النهاية<sup>(١٨١)</sup>. ومنها استخدام اليدين في صنع الإناء المطلوب، وذلك يأخذ قطعة صلصالية وتشكيلها باليد دون الاستعانة بنموذج معين، وقد تبدو آثار أصابع يد العامل على هذا الإناء. ومنها أيضاً استخدام الحصر في صناعة الأواني الفخارية وإعطائها اللمسات الأخيرة. وتعتمد هذه الطريقة على إدارة الحصر أثناء تشكيل الإناء الذي لا تزال آثار الحصر السعفية بارزة فيه<sup>(١٨٢)</sup>. ومنها كذلك استخدام

الرجال الطينية في صناعة الجرار الكبيرة التي لا يستطيع العامل السيطرة عليها ثقلها، لذا فإنها تُصنع على أجزاء، ثم تُركب بإضافة سائل شبه صلصالي إلى السطح الخارجي في موضع الجزء المراد لصقه، ثم يضغط على السطح الذي يتصل به، وعادة يتم ذلك قبل أن يجف. كل من الجزئين أو بعد تليينهما بلمسات خفيفة بقطعة من الخشب أو العظم في منطقة الانصال، تختفي آثار هذه العملية<sup>(١٨٣)</sup>.

ولإخفاء الآثار التي ظهرت على الإناء خلال عملية الصنع، وتلميعه وإعطائه لمسة جمالية، كان الإناء يُدمن من الداخل والخارج بسائل صلصالي بقطعة من الفماش، أو يُغمر الإناء بكامله في هذا السائل. كما كان الإناء يُتمل بمادة ملونة بعد حرق مادته الفخارية، على غرار ما كان يفعله صانع الفخار في جنوب شبه الجزيرة العربية. وكذلك كان الإناء يلمع من الداخل والخارج باستخدام الدولاب أو باستخدام قطعة من الحجر أو المعدن أو الخشب أو الصوف أو غيره. وتُعرف هذه العملية باسم «العقل»<sup>(١٨٤)</sup>.

وكانت الأواني الفخارية تُزخرف، في نهاية العملية الصناعية، من الخارج، ما عدا بعض الأواني التي كانت تُزخف من الداخل كالأطباق والسلطانيات (الصحاف) الكبيرة الواسعة. أما أنواع الزخرفة فهي: الخطوط المتموجة والأشكال الهندسية التي تُضاف إليها التماثيل البارزة أو الأشكال الدائرية. وأحياناً تقتصر الزخرفة على علامات يرسمها الصانع بأصبع يده. وأضاف الأنباط إلى الأشكال الهندسية التي رسموها على أبنيتهم الأزهار وأوراق الأشجار وتماثيل الفاكهة كالعنب والرمان وغيرهما<sup>(١٨٥)</sup>.

(١٧٧) نورة التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٨٠ - ١٨١.

Gus Van Beek: Hajar bin Humaid, P81.

(١٨١) Van Beek: op.cit, P89 and 95. P.Hammond: The physical nature of Nabataean Pottery, American Journal of Archaeology, vol.68, New York 1964, P262.

(١٨٢) Van Beek: op.cit, P84-94. Shmitt Korte: A contribution to the Study of Nabataean Pottery, P51-52.

مارتن لانكستر: آثار الأردن، ترجمة سليمان موسى، عمان ١٩٧١، ص ١١٦.

(١٧٨) نورة التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٧٩.

Gus Van Beek: Hajar bin Humaid, P89.

(١٧٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٥٩.

Gus Van Beek: Hajar bin Humaid, P87.

(١٨٠)

(١٨١) Thompson Caton: The Tombs and Moon Temple of Huriidha, P115.

(١٨٢) Gus Van Beek: Hajar bin Humaid, P370. Shmitt Korte: Nabataean Pottery, P34.



وقد تميز فخار شبه الجزيرة العربية بألوانه الزاهية التي تعتبر نوعاً من أنواع الزخرفة، مثل: الزهر والأحمر المائل إلى البني والبني الخفيف والبني الثقيل والرضاصي والأسود الذي اشتهر به فخار الأنباط. ويبدو أن اللون الأحمر بنوعيه الخفيف والثقيل هو أكثر الألوان انتشاراً في بلاد العرب<sup>(١٨٦)</sup>.

#### ١٤ - صناعة الأواني الزجاجية:

تعدّ الأواني الزجاجية التي عثر عليها الآثريون في بلاد الشام وفي مناطق أخرى من شبه الجزيرة العربية على معرفة العرب في عصور ما قبل الإسلام بالزجاج وصناعة الأواني الزجاجية.

ويبدو أن الأواني الزجاجية التي صنعها هؤلاء كانت كثيرة وفخورة، منها: الجرار والأطباق والأسرجة والفناديل والأقداح والفوارير، وأدوات الزينة والعلبي كالأساور والخرز والفصوص والخواتم. والمرأة التي كانت تصنع أيضاً من المعادن كالتحاس. والكأس للشرب الذي كان يصنع أيضاً من المعادن مثل الذهب والفضة والتحاس والحديد أو من الفخار. والراووق الذي هو المصفاة، وقيل التاجود أو الباطية التي هي إناء واسع الأعلى ضيق الأسفل. وذكر بعض علماء اللغة أن الراووق هو الكأس<sup>(١٨٧)</sup>.

أما الأسرجة فهي المصباح التي صنعت من الزجاج، والسراج، يقول ابن منظور «بأنه المصباح الزاهر الذي يسرج بالليل، والمسرجة التي فيها القليل»<sup>(١٨٨)</sup>. والفناديل التي أشير إليها في التوراة هي مصابيح محمولة، وكانت تعلّق أو تحمّل، وتستخدم في بيوت العبادة، وفي منازل الأغنياء. وكانت تصنع من الزجاج أو من الفضة والذهب والبرونز. ولقطة فندبل أعجمية لاثنية، وهي (Candela) التي تعني المصباح والسراج والتبراس في آن واحد<sup>(١٨٩)</sup>.

(١٨٦)

Van Beek: op.cit, P98. Korte: op.cit, P50.

مودة التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٨٢.

(١٨٧) الجواليقي: المغرب، ص ١٣٩. الزبيدي: تاج العروس، ج ٦، ص ٣٦٣. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٦٤.

(١٨٨) ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٢٩٧.

(١٨٩) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٦٤.

وعرف أهل اليمن وجوارها البلور الذي كانوا يستخرجونه من عروق حاص من الحجارة، ويصقلونه بعناية، وكان يغلب عليه اللون الأبيض. وتتميز الصناعات الزجاجية بتعدد ألوانها كالأسود والأخضر والأزرق والبفسجي والأصفر الذي يميل إلى لون العنبر. كما تمتاز بطريقة مزج الألوان لإكسابها جمالاً. وقد زخرفت معظم الأواني الزجاجية برسوم تنم عن ذوق رفيع وتطور في الصناعة، وكانت الكؤوس تزين بالقش والزخارف، وباللؤلؤ. وبالحجارة الكريمة<sup>(١٩٠)</sup>.

ومن أشهر مراكز تصنيع الزجاج التي كشفت عنها الدراسات الأثرية حتى الآن: قرية الفاو، ومنطقة عدن. وكانت هذه المراكز تصنع الأواني الزجاجية بطرق وأساليب مختلفة: بعضها بالضغط، وبعضها الآخر بالقلب، وبعضها الثالث بالنفخ<sup>(١٩١)</sup>.

#### ١٥ - صناعة المواد الغذائية:

انضمت اهتمام العرب في عصور ما قبل الإسلام على تطوير غذائهم وتحسين أطعمتهم. واستخدموا لذلك أدوات وآلات كثيرة، منها: المطاحن الآلية التي تدور بقوة الماء، ومنها الرحى والجواريش التي هي مطاحن حجرية يدوية تستخدم في المنازل لطحن الحبوب والسموق والجريش والبهارات. ومنها أيضاً المعاصر لعصر العنب وصنعه خموراً، ولاستخراج الزيت من البذور. وكانت هذه المعاصر توجد في الحفول، كما كانت توجد في البيوت ومحلات الزيتون والخمور. وقد سُميت المعصرة «موهت» في المسند، وهي تتألف من

(١٩٠) المرجع نفسه.

Caton: The Tombs and Moon Temple of Hureidha, P69 and 98-99. B. Dz: Southern Arabia, P118.

(١٩١) الأنصاري: قرية الفاو، ص ٢٩.

Arifun Lane: Pottery and glass fragments from Aden, In studies in Arabian History and Civilization, edition by r.B.Serjeant, Variorum Reprints, London 1981, P129.

محارة قطعت من الصخور، وفي الحجر الأعلى ثقب، وموضع لإدخال الأعناب أو المواد الأخرى المراد عصرها، والحجر الأسفل ثابت يحيط به منخفض يشبه الساقية ليجري منه العصير أو الزيت الذي يتجمع في مكان أو حفرة أعدت له، ثم يُعبأ في أوعية للاستخدام المنزلي<sup>(١٩٢)</sup>.

وكانت صناعة السمن من لبن الماعز والغنم والبقر من الصناعات الرائجة عند العرب في غصور ما قبل الإسلام، وكان بنو سُليم يبيعون السمن في أسواق يثرب<sup>(١٩٣)</sup>.

ويُعد التمر مادة غذائية رئيسة عند العرب، فكانوا يأكلونه رطباً ومجفئاً، ويصنعون منه دبساً وشراباً وخمراً، ويعملون منه دواء يستطيعون به لمعالجة عدد من الأمراض<sup>(١٩٤)</sup>.

أما العنب الذي اشتهرت به بلاد اليمن والقطائف، فقد تناولوه العرب رطباً، وجففوا الفائض ربيياً. وكان زبيب الطائف يُضرب بحسنة العسل<sup>(١٩٥)</sup>. ويُعرف الزبيب باسم «فصص» أي «فصص» في اللهجة الجبزية. وقد وردت هذه اللفظة في نضأ أبرهة بمناسبة توزيعه الزبيب على العمال الذين ساهموا في ترميم سد مأرب<sup>(١٩٦)</sup>.

وعرف العرب في العصر الجاهلي صناعة الخمر. وقد صنعوها من العنب وخصوصاً في المناطق التي اشتهرت بزراعة الكروم كالمرتفعات الجنوبية والحجاز وشمال غرب شبه الجزيرة<sup>(١٩٧)</sup>. وصنعوها من التمر التي ورد اسمها في الفحوش العربية الجنوبية باسم «مزروم التمر»<sup>(١٩٨)</sup> والتي أشار صاحب كتاب

(١٩٢) حواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٦٤ و ٢٦٩.

(١٩٣) السجودي: وفاة الوفاء بأخبار دار المصطفى، ص ٥٤٤.

(١٩٤) حواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٢٧١.

(١٩٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٧٩.

(١٩٦) حواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

(١٩٧) I.D.: Southern Arabia, P167.

(١٩٨) يستون وأخرون: المعجم الشبي، ص ٨٩.

الطواف إلى وجودها ووفرتها محلياً وتصديرها للمهند<sup>(١٩٩)</sup>. كما صنعوها من العسل والحبوب كالذرة، وصنعوا النبيذ من الزبيب<sup>(٢٠٠)</sup>. وكانت المدن النبطية في حوران من أهم المراكز العربية شهرة في صناعة الخمر وتجارتها<sup>(٢٠١)</sup>.

وعرف العرب أيضاً في ذلك العهد صناعة الزيتون التي كانت تُستخدم في الأكل، وفي الإنارة، وفي بعض الصناعات. ومن أشهر هذه الزيتون زيت الزيتون الذي اشتهرت به مدينة تدمر التي وُصف إليها بحامي الزيتون الذي تنشر زراعته في المناطق المحيطة بها<sup>(٢٠٢)</sup>. ومنها أيضاً الزيتون التي استخرجت من السمس والكمون والكثان، والزيتون التي استخدمت في الإنارة والصناعات مثل القطنان، والتي استخرجت من أشجار العرعر والأفرا<sup>(٢٠٣)</sup>.

وكذلك عرف العرب حرفة استخراج الدبس من التمر بعد وضعها في أراج مبنية على قواعد خشبية، ولها منافذ لخروج الدبس من أسفلها. وكان الدبس الذي يُطلق عليه عمل التمر، يؤكل كغذاء، ويدخل في صناعة الخنوى<sup>(٢٠٤)</sup>.

وعرفوا حرفة الخمازة التي كان يقوم بها الخنار الذي يعمل تحويل الطحين إلى أنواع مختلفة من الخبز<sup>(٢٠٥)</sup>. وحرفة الجزارة التي كانت متشرة في أقاليم شبه الجزيرة العربية، بسبب تبحر الحيوانات في المناسبات القبلية والأعياد<sup>(٢٠٦)</sup>.

(١٩٩) The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 36, P36.

(٢٠٠) حواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٥٤١.

(٢٠١) F.E.Peter, The Nabataean in the Hawran, Journal of American School of Oriental Society, Vol 97, Part 3, New Haven 1977, P268.

(٢٠٢) ثورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ١٨٩.

(٢٠٣) Piny: Natural History, Bk12, P29.

(٢٠٤) Van Beek, Hajar Bin Humaid, P401-402.

(٢٠٥) حواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٧٩.

(٢٠٦) F.Vidal: The Oasis of Al Haza, P168.

(٢٠٧) حواد علي: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٧٢.

(٢٠٨) المرجع نفسه، ص ٥٧٢.



## القطاع التجاري والأسواق

### في عصور ما قبل الإسلام

#### نولاً: القطاع التجاري

كان لموقع شبه الجزيرة العربية في قلب العالم القديم بخاضة، والعالم العربي بعامة، أهمية خاضة في التاريخ القديم والحديث على حد سواء، إذ جعل هذا الموقع من بلاد العرب همزة وصل بين قارتي آسيا وأفريقيا، وعبرهما إلى أوروبا فالمحيط الأطلسي، مما يسمح بنسبتها إلى كل من الفارتين. فهي بطبيعتها الإقليمية تعتبر جزءاً من صحاري أفريقيا الشمالية، ورغم وجود البحر الأحمر الذي يظهر طريقاً واصلًا أكثر منه فاصلاً، بين سواحل مصر والحجاز، وبين سواحل اليمن والحشة والصومال عند مضيق باب المندب بشكل خاص. ويؤيد ذلك ما يقوله الإصطخري من أن طريق القوافل بين سواحل عُمان وبين تهامة غرباً، وبين سواحل عُمان والبحرين شرقاً كانت من الصعوبة بحيث كان طريق المواصلات فيما بينها هو الطريق البحري<sup>(١)</sup>. أمّا عن برزخ السويس، فكان البوابة الكبرى لعبور الهجرات السكانية من آسيا وشبه الجزيرة العربية إلى مصر والمغرب العربي. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار شبه جزيرة العرب من أفريقيا.

وكذلك بالنسبة لآسيا، فإذا كان الخليج العربي يفصل بلاد العرب في الجنوب والشرق عن إيران وأفغانستان وقلب آسيا، فإنه كان قديماً صلة وصل

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري: المسالك والممالك، طبعة مصر، القاهرة ١٩٦١، ص ٢٨.

جيدة بين الساحل العربي والساحل الفارسي، فعبره كانت تنقل الجماعات البشرية من كلا الجانبين خلال العصور. وأيضاً كان الأمر بالنسبة لسهول دجلة والفرات، التي كانت تشكل حلقة وصل بين بلاد العرب وأواسط آسيا، ومن هذا القبيل تُعتبر بلاد العرب من قارة آسيا.

وبناء عليه، فإن مناطق شبه الجزيرة العربية عموماً، والحجاز واليمن خصوصاً، كانت ملتقى للطرق العالمية البحرية والبرية التي تربط بين الشرق والغرب. ويُعد الحجاز وكذلك اليمن المنطقتين الاستراتيجيتين الأكثر أهمية في بلاد العرب. فمعهما وبموازاتهما يميز طريقان رئيسان من طرق التجارة العالمية آنذاك.

الأول: الطريق البري الذي تسلكه القوافل بين اليمن والشام عبر الطائف ومكة ويثرب، وتنتزع منه خطوط تشجعه صوب المغرب والشرق والشمال الشرقي.

والثاني: طريق البحر الأحمر الموصل إلى شرقي أفريقيا وإلى الهند وجنوب شرقي آسيا وإلى سيلان والصين. ولذلك كانت الحجاز واليمن جسرين، يربطان بلاد الشام وحوض البحر المتوسط بالحشة وشرقي أفريقيا والبلاد المطلة على المحيط الهندي. وكان لهذا أعظم الأثر في قيام محطات تجارية أهمها: مكة على الطريق البري، وثغور تجارية على الطريق البحري مثل: أثلة في الشمال، وينبع ميناء يثرب، والشعبة ميناء مكة القديم، وموزا (مخا) وعدن، وفنا (حصن غراب) وظفارة، وصفط في الجنوب<sup>(٢)</sup>.

ويبدو أن الفرس واليونان والرومان والبيزنطيين قد لاحظوا أهمية بلاد العرب بالنسبة للمواصلات الدولية، فحاولوا السيطرة عليها أو الهيمنة على بعض أجزائها ووضع هذه المواصلات وما يميز عبرها من قوافل وأساطيل تحت إشرافهم المباشر، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل في نهاية المطاف، والسحب الأعباء من اليمن، وانحصر نفوذ الروم عن شمالي الحجاز والبحر الأحمر.

(٢) حرجي زبديان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٢. انظر خريطة طرق المواصلات البرية والبحرية في ملاحق الكتاب.

وأصبح يقتصر على فلسطين وأعلى البحر الأحمر، وعاد للطريقين اللذين إلى الهند عبر العراق ودجلة من جهة، وعبر اليمن والشام عن طريق مكة من جهة ثانية نشاطهما ومكانتهما الأولى. أما الطريق عبر البحر الأحمر، فلم تفو بعرة الحشة على حل الفراغ فيه، بعد هزيمتهم أمام الفرس وانسحابهم من اليمن عام ٥٧٥ ميلادية مما حداً بظروفاً مؤاتية لنشاط العرب التجاري<sup>(٢٣)</sup>.

#### ١ - التجارة في جنوبي شبه الجزيرة العربية:

أدرك اليمنيون خصوصاً ومكان جنوبي شبه الجزيرة عموماً، أهمية الموقع التجاري الذي تتمتع به بلادهم، فسارعوا إلى الإفادة منه، فأنشأوا مملكات تجارية مع بلدان وأقوام الشرق الأدنى القديم، والهند وجنوب شرقي آسيا المحاصرة لهم، وأرسلوا القوافل التجارية من اليمن عبر الحجاز إلى سوريا وفلسطين شمالاً، وإلى منطقة الخليج العربي والعراق شرقاً، وإلى مصر غرباً، وقرضوا سيطرتهم على طرق الملاحة البحرية<sup>(٢٤)</sup>. وخبروا البحر، واكتشفوا مواعيد هبوب الرياح الموسمية، وتبدل اتجاهاتها بين الصيف والشتاء، وسهروا سفنهم الشراعية إلى الهند وإلى بلاد الحبشة وشرقي أفريقيا، مدفوعة بقوة هذا الرياح، تبعاً لأوقاتها التي تبدل اتجاهات هبوبها حسب المواسم وكانت بعض هذه السفن تتخذ طريقها بجوار سواحل شبه الجزيرة، انطلاقاً من الخليج العربي ومروراً ببحر عمان وبحر العرب والبحر الأحمر، قاصدة على الغالب مصر ودول شرقي أفريقيا. وعلى هذا الطريق شيدت الثغور العربية القديمة، مثل سقط وظفار وغذن<sup>(٢٥)</sup>.

وعلى طريق القوافل التي تربط بين جنوبي شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، وعلى الطرق المتصلة بها، أقام اليمنيون محطات تجارية لهم. ففي عهد

الدولة المعينية التي سيطرت على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب، ازدهرت التجارة في بلاد اليمن، وخصوصاً بعد أن نما نفوذهم وامتد إلى شمالي الحجاز، حيث دخلت معان وديدان (العلا الحديثة) تحت سيطرتهم، كما تؤكد الكتابات المعينية التي اكتشفها الأنثرون في منطقة معان وديدان. وفي ذلك يقول أنيس موسل: «خلال الألف الأول قبل الميلاد كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب، واقعاً في يد السبئيين والمعينيين الذين كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة... وكانت تقيم، في كل واحدة من الواحات المهيمنة التي تقع على طول الطريق التجاري، جالية من عرب الجنوب، وكان يقيم مع هذه الجالية مقيم من أهل الجنوب كذلك. كانت بهته الإشراف على ملوك الإقليم ورؤسائه ومراقبتهم، لكي لا يفعلوا شيئاً من شأنه أن يضر بمصالح أسباده السبئيين أو المعينيين، تبعاً لاختلاف العهود التاريخية»<sup>(٢٦)</sup>.

وفي كل واحدة من الواحات التي تقع على الطريق التجاري البري التي تربط بين اليمن وبلاد الشام ومصر، والتي كانت تحت نفوذ المعينيين الجنوبيين، تقيم طائفة من حكام معين، تؤيدها جامعات عسكرية، وجاليات جنوبية من الأوساط التجارية، كما كانت تقيم معها جالية من الأفريقيين الكوشيين باعتبار أن هؤلاء الكوشيين كانوا يمارسون التجارة مع المعينيين بحكم الجوار. ويبدو أن القوافل المعينية كانت تسلك الطريق الغربي في شبه الجزيرة أكثر مما تسلك الطريق الشرقي فكانت تنطلق غالباً من اليمن، مارة بمكة وترب ومدائن صالح حتى البتراء. ومن هنا تتوزع بين فلسطين وسورية والعراق ومصر. ويعتقد بعض المؤرخين أن مكة كانت تحت نفوذ معين، وأن معان لم تكن نقطة ارتكاز لمعين وحسب، وإنما كانت مدينة تابعة لها، مزودة بالحراس والمسالح دفاعاً عن مصالح الدولة المعينية<sup>(٢٧)</sup>.

(٢٤) أنيس موسل: شمال الحجاز، ترجمة الدكتور عبد المحسن العيسى، طعة مصر الإسكندرية ١٩٥٢، ص ١ - ٢.

(٢٥) المرجع نفسه، ص ٨٧ - ٨٨. عرفان محمد حنوز: أسواق العرب، ص ٢٣.

(٢٣) الدبنوري: الأخبار الطوال، ص ٦٤. المسعودي: مروج الذهب... ج ٢، ص ٨١ - ٨٢.

(٢٤) أحمد سوسة: حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، ص ١٩٣. نورة علي التميمي: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية... ص ٢١٠ - ٢١٧.

(٢٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ٦٦. عرفان محمد حنوز: أسواق العرب، الطعة الثانية، دار الشورى، بيروت ١٩٨١، ص ٢٣.



ولتسهيل أعمال البيع والشراء، اقتبس المصنفون من الفينيقيين أبعديهم وعلومهم في المحاسبة، وذلك لتدوين حساباتهم التجارية. وقد عُثر في أور والوركاء في العراق، وفي الجزيرة بمصر، وفي جزيرة ديلوس اليونانية، على كتابات معينة ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد. تشير إلى الصلات التي كانت تربط العراق ومصر واليونان بالدولة الميعينية<sup>(٨٤)</sup>. كما تشير إلى أن الميعينيين حتى بعد سقوط دولتهم برز من طوابعهم يحتفظون بكيانهم الاجتماعي وتقاليدهم التجارية<sup>(٨٥)</sup>.

وحين قضى السبثيون على دولة معين، أقاموا دولتهم على أنقاضها، وورثوا لغتها وديانها وتقاليد شعبها وورثوا مكانتها التجارية أيضاً، صاروا يشتغلون بنقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق، حتى أصبحوا في القرون الأولى قبل الميلاد أعظم وسطاء التجارة في العالم القديم، وعلى وجه الخصوص مع الحبشة والهند ومع الشام ومصر. وقد استطاعت دولة سبأ أن تنمو وتزدهر ويثرى شعبها نتيجة احتوائهم الزراعة من جهة<sup>(٨٦)</sup>، وسيطرتهم على الطريق التجاري البري الذي يربط بين الجنوب والشمال من جهة ثانية. ذلك أن نفوذ دولة سبأ كان يصل إلى نجد والحجاز في شمالي شبه الجزيرة العربية، كما كانت تفرض نفوذها على طريق التجارة التي تربط جنوب نيب الجزيرة بسوريا ومصر. ولم تكن سبأ بذلك بل افتتحت خطوطاً برية جديدة بين اليمن والشام تحاذي ساحل شبه الجزيرة العربي وتتؤدي إلى مكة والبصرة ومنها تشتعب إلى مصر والشام وما بين النهرين. وكان الفرع الشامي ينتهي على البحر المتوسط عند غزة. ومن حضرموت أغنى الأقطار بالليان، كانت تفتح طريق تسلكها القوافل حتى مأرب. عاصمة سبأ حيث تتصل بشريان التجارة الهام<sup>(٨٧)</sup>.

(٨٤) H. Philby: The Background of Islam, Whitehead Morris Press, Alexandria 1929, p. 42.

مراد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٣٨٥ - ٣٩٧.

(٨٥) صالح أحمد علي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٢٢.

(٨٦) مراد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ١٠٦.

(٨٧) فليب ج.، وأطراف: تاريخ العرب، ص ٨٢.

وكانت حكومة سبأ تبحث موظفين ليقبضوا في الواحات الشمالية التي تقع على هذه الطرف، إلى جانب حاميات عسكرية، لتضمن بقاء هذه المحطات التجارية تحت سيطرتها. وكانت واحة ديدان المركز الرئيس الذي تمارس فيه سبأ نفوذها على شمالي بلاد العرب<sup>(٨٨)</sup>.

وعلى الرغم من قوة السبثيين واتساع نفوذهم إلا أن قوافلهم التجارية لم تسلم من تعذبات البدو في أثناء سيرها على الطرقات. كما أنها لم تستطع على الدوام تحفل مشقات السفر البري. فلذا اتجهت أنظارهم وجهة أخرى وراحوا يسافرون عن طريق البحر لأنهم وجدوه أكثر أمناً وأقصر مسافة. فمتنحات الهند وأفريقيا كانت تأتي وتُخزن في مرافئ السبثيين كموزة وعدن، ومنها تُنقل بالسفن بحراً إلى مرفأ أثلة (العقبة)، ومنه يائز إلى فلسطين والشام ومصر. أو تُنقل إلى مرفأ القصير على البحر الأحمر، ومنه إلى قُطط على النيل<sup>(٨٩)</sup>.

وبعد أن دب الضعف في دولة سبأ بسبب الصراعات والحروب التي قامت بين القبائل الخاضعة لها، ظهرت إلى الوجود مملكتا أوسان وحضرموت اللتان تمكنا من اقتسام نفوذ السبثيين في جنوبي البلاد وغربها، ومن ثم السيطرة على طرق التجارة، والتحكم بشحارة البخور والأفاويه التي كانت رائجة حينذاك<sup>(٩٠)</sup>.

وكان للقوافل بين حضرموت وبلاد الشام ومصر والعراق طرق خاصة، فيها محطات ومرافق ومعذات وأقوام من أهل البادية يخفونها. فالفاطمة كانت

(٨٨) الفرج نضد، ص ٨١ - ٨٢.

(٨٩) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢١٤.

ركب المصريون البحر الأحمر من عهد رمسيس الثالث (عاكورة) الذي بنى مضيقاً وأمره البحر الأحمر. وسافر فيه لارتياح بلاد البت (الحبشة والصومال)، والأرض المعقنة بلاد العرب. وكان فرجة الرئيس تسهيل التجارة البحرية بين مصر وأقصى الشرق، ثم أنشأ طريقاً بحارياً يربط بين القصير والقطيف وطريقاً بحرياً بين المحيط الهندي والنيل من طريق بلاد العرب. ولما توأمت بيني الأول من الأسرة التاسعة عشرة الحكم في مصر، استعانة وصلت عبر النيل بالبحر الأحمر، وذلك تسهلاً للعلاقات التجارية بين مصر وشبه جزيرة العرب، أو للدفاع أو الهجوم عند الحاجة. ومن جاء بعد بيني الأول أعزل القضاة والأسطول المصري فصعقت الملاحة البحرية أو بطلت تماماً.

(٩٠) مه خليل: تاريخ العرب القديم وعهد الرسول، ص ٩٦ - ٩٧.

تنتقل من حضرموت أو عمان وتسير شمالاً يخبرها عرب فيدار، فيقطعون بها  
بادية الدهناء وما بعدها حتى تصل إلى ديدان، فتشجه غرباً في نجد حتى تأتي  
الحجاز، ومن هناك يستلم خفارتها المديانيون والآدوميون أو الأنباط، ويعرجون  
بها إلى مكة أو ينبع أو المدينة المنورة، ومنها إلى البتراء عن طريق مدائن  
صالح، ومن البتراء تسير إما شمالاً إلى فلسطين والساحل السوري فتدمر، وإن  
غرباً إلى مصر. غير أن السلع التي تصل إلى شرقي شبه الجزيرة كانت تحمل  
إلى العراق بالقوافل رأساً أو بالسفن بحراً عبر الخليج العربي، ومنه تنقل  
بالقوافل إلى تدمر<sup>(١٥)</sup>.

أما في عهد الجشيريين الذين ورثوا أمجاد من سبقهم من دول وشعوب،  
حاول الرومان الاستيلاء على اليمن، بغية السيطرة على طرق التجارة التي كان  
يحتكرها عرب الجنوب، إلا أن محاولتهم باءت بالفشل، لأن قائدها ايليوس  
غالوس، الذي كان حاكماً على مصر من قبل الرومان، عجز عن دخول مارب  
بسبب مقاومة أهلها الذين استسلموا في الدفاع عن مدينتهم<sup>(١٦)</sup>.

وقد لاقى جنود الرومان في عودتهم التي بلغت ستين يوماً الكثير من  
المصاعب والأهوال وفنك بهم العطش والمرض<sup>(١٧)</sup>. ويعزو الجغرافي اليوناني  
سرابو هذه المصاعب والأخطار إلى خيانة الدليل سيلأوس سفير الأنباط وممثل  
ملكهم أبو داس (عبيدة)<sup>(١٨)</sup>. وخيبت حملة ايليوس غالوس آمال الرومان في  
بلاد العرب، إذ كانوا يظنون أنهم سيخترقون جنات يانعة وعمراً منضلاً.  
واضطروا تحت ضغط الطبيعة والبشر إلى العدول عن خطتهم في احتلال شبه  
الجزيرة العربية<sup>(١٩)</sup>. واكتفوا بالسيطرة على التجارة البحرية وخصوصاً تجارة  
البحر الأحمر، وعلى ميناء لوبيكي كوما أو المدينة البيضاء، أهم الموانئ

(١٥) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(١٦) فيليب حتى وأورد جرجي وجيرايل جيتو: تاريخ العرب، ص ٧٧.

(١٧) Philby: The background of Islam, P101.

(١٨) Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, Chapter 4, P23.

(١٩) فيليب حتى وأخران: تاريخ العرب، ص ٧٧.

التجارية على سواحل الحجاز في أيام البطالسة؛ وبإقامة علاقات ودية مع حكومة  
الحبشة. وقد أضرت ذلك باقتصاديات اليمن وتجاريتها بإضراراً بالغاً أكثر مما أضرت  
بها انهيار سد مأرب<sup>(٢٠)</sup>. أما القوافل التي تذهب من شبه الجزيرة العربية إلى  
بلاد الشام، كانت تنزل في المراكز التي عيّنتها الدولة الرومانية، وذلك لكي  
تحصل منهم مكوس التجارة، وتراقب تحركات الرجال الذين قدموا  
مهاجراً. وكانت أيلة أول مركز في البلاد الشامية تنزلها القوافل، ومنها تتوجه إلى  
غزة حيث تشتعل من هناك بشجار البحر المتوسط، بينما يتابع بعض التجار  
طريقهم إلى بصرى. وكانت تتولى حماية قوافل الشام، بعض القبائل العربية،  
من كان منازلتهم على طرق التجارة، أو ممن كانت لهم خلاف مع القبائل  
النازلة هناك، وذلك في مقابل تجلّ بنفاذونه من هذه القوافل، ومن ثقليد  
العرب في هذا المجال، أن القبائل الحامية كانت كثيراً ما تُعيد التجلّ إلى  
أصحابه إذا ما تعرضت القافلة إلى اعتداء لم تتعكن من رده<sup>(٢١)</sup>.

وعلى العموم كان عرب الجنوب يتاجرون بمنتجات بلادهم وفي  
طبيعتها: البخور واللبان والعطور والطيب، التي كانت لها أهمية كبرى عند  
الناس في التزيين القديم. فقد كانت تستعمل في المعابد والطقوس الدينية،  
وللتحنيط، كما كانت تستخدم أحياناً في الأطعمة<sup>(٢٢)</sup>. ولذا سماها سترابو  
إيلاد الطيب<sup>(٢٣)</sup>. كما كانوا يتاجرون بالسلع واليضائع التي جلبوها من شرقي  
أفريقيا كالشبر والعبيد والأخشاب وريش النعام والعاج والفرو. ومن الهند  
كالأفاويه والأنسجة والسيوف، ومن الصين كالحرير، ومن الخليج العربي  
كاللؤلؤ. وكانت جميع هذه السلع تجد طريقها إلى أسواق بلاد العرب<sup>(٢٤)</sup>.  
ويورد مؤلف كتاب الطواف حول البحر الأحمر وصفاً رائعاً لسوق موزا (منا)  
جاء فيه: «كان يردّها من اليضائع أنواع الأقمشة الأرجوانية، ناعمة رخسائها»

(٢٠) Ignacion Guadi, L'Arabie antéislamique, Paris 1921, P67.

(٢١) عرفان محمد حشور: أسواق العرب: جرجي أدبي - تاريخي للأسواق الموسمية الدائمة عند العرب، ص ٢٠ - ٢١.

(٢٢) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ١٩.

(٢٣) فيليب حتى وأخران: تاريخ العرب، ص ٨١.



والبسة خبثت على الزبي العربي، ذات أردان قد تكون بسيطة، أو عادية، أو مطرزة، أو موشاة بالذهب، والزعفران، وقصب الذريرة، وأنسجة القطن الشقافة، والأعينة، والأحمر، وهي ليست كثيرة، بعضها بسيط، وبعضها مصنوع على الطريقة البلدية، ومناطق ذات ألوان عديدة، ودهون عطرية بكميات معتدلة، والخمر، وقليل من الحنطة لأن البلاد لا تنتج منها إلا اليسير. وتكثر البلاد حاصلات أراضيها: فاخر المز والصمغ المعيني والرخام اللين (المرمر) (٢٤٣).

وكانت السفن التي تحمل السلع، تسلك طريقين: أحدهما طريق الخليج، وتفرغ بضائعها إما في ميناء الأيلة عند رأس الخليج، وإما في موانئ البحرين، وخصوصاً في ميناء الجرها، حيث تنقل إلى العراق، ومنه إلى سورية والبحر المتوسط. والآخر طريق البحر العربي، فبحر القلزم (الأحمر)، وتفرغ بضائعها في الموانئ المصرية الواقعة على ساحل البحر الأحمر الغربي، أو في ميناء إكبة عند خليج العقبة، حيث تنقل منها إلى بلاد الشام وسواحل البحر المتوسط وخصوصاً ميناء غزة (٢٤٤).

ونجانباً للاختلاف الذي قد تعرض لها هذه السفن، كالأحجام والدوامات والحيوانات البحرية أو الشعاب المرجانية والصخور أو اللصوص، كان التجار يفضلون سلوك الطرق البرية. فلذا كانت السفن الآتية إلى الخليج العربي تفرغ حمولتها في ميناء جرها، ومنه تنقل برّاً إلى العراق، وإلى بلاد الشام عبر الصحراء. وأما السفن الآتية إلى البحر العربي فكانت تفرغ بضائعها في ميناء عدن، ومنه تنقل برّاً، عبر اليمن والحجاز، إلى مصر وفلسطين، أو إلى بلاد الشام (٢٤٥).

وكان لا بدّ للفواقل من أن تقطع صحراء البلاد العربية، سالكة الوديان أو الغفار، لذا كان التجار يخرجون في متاجرهم بشكل فواقل عظيمة مع استعداد

(٢٤٣) صالح أحمد العملي: تاريخ العرب القديم والبعث النيرة، ص ٤٤.  
(٢٤٤) المرجع نفسه، ص ٤٤.

(٢٤٥) المرجع نفسه، ص ٤٤.

عظيم وجنيطة كبيرة، تستخدمها فرقة الكشفاء كي تتعرف إلى ما في الطريق، وإدائها ومن جانبها ومن خلفها الهداء يهدونها الطريق الصحيح، والحزام يخفونها ويدفعون عنها الأذى (٢٤٦). ومن أهم المصاعب التي كانت تلاقيها هذه الفواقل هي قلّة المياه في الصحاري والطرق، ولذلك كثرت محطات الفواقل حول الآبار والعيون. وقد ساعد ذلك على قيام مراكز تجارية على طول هذه الطرق بالقرب من هذه الآبار والعيون والواحات. وقد تحول العديد من هذه المراكز إلى مدن تجارية كانت تقدم للفواقل الحماية والدعاء والغذاء وغيرها من الخدمات التي كانت متاحة حينذاك.

وتعدّ شبوة من المراكز الاقتصادية المهمة التي لعبت دوراً تجارياً وادّياً في التاريخ القديم، وهي تقع في وادي عرما (وادي عطف) في الطرف الغربي من وادي حضرموت، وتقوم على مناجم للملح الصخري، ويُعتقد أنّ نشأتها التجارية كانت مرتبطة بتجارة هذه المادة. وكان يمزّ بهذه المدينة، التي هي قاعدة لإقليم حضرموت، عدد من الطرق التجارية المتجهة نحو الشمال؛ وقد استطاع ملوك الدولة الحضرمية الأقوياء من توجيه تجارة اللبان إليها واتخاذها عاصمة لهم، وخصوصاً بعد أن مذكروا نفوذهم إلى مناطق إنتاج اللبان في شرقي شبه حتى ظفار (٢٤٨). وكانت تظم التجارة للدولة الحضرمية، تفرض على أصحاب القوافل المرور بالمدينة، التي تحولت إلى مركز تجاري رئيسي، لدفع الضرائب المشروجة عليها (٢٤٩). وقد استمرت مدينة شبوة مركزاً تجارياً، وخصوصاً للمواد العطرية، حتى القرن الرابع الميلادي، حيث أخذت بعد ذلك بالضعف، بسبب اضطراب الأوضاع السياسية في جنوبي شبه الجزيرة، وتدهور التجارة العربية فيها تبعاً لذلك (٢٥٠).

ومن هذه المراكز ميفعة التي تُعرف اليوم بنقب الحجر، وهي تقع على

(٢٤٦) عرفان محمد حنفور: أسواق العرب، ص ٢٠.

(٢٤٨)

(٢٤٩)

(٢٥٠) نورا العليم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٢.

وادي ميفع الذي يخترق مرتفعات الجول، ويعتبر أحد الطرق المهمة القادمة من قنا والمتجهة نحو شبة أو بيهان، ومن موقعها الاستراتيجي هذا استطاعت أن تسيطر على الطريق التجاري<sup>(٢١)</sup>. واستمرت مدينة ميفعة محافظة على مركزها التجاري حتى القرن الثاني الميلادي، حيث ورد ذكرها عند بطليموس ورومها بأنها متروبوليس<sup>(٢٢)</sup>.

ومنها تمنع (مجر كحلان) التي تقع إلى الغرب من صحراء صيهه، وعلى حافة وادي بيهان في جزئه الشمالي. وقد تميزت هذه المدينة بكونها عاصمة للدولة القنبانية التي أقامت علاقات تجارية مع اللحيانيين، ويكونها سوقاً تجارياً مهماً في المنطقة، كانت تُقيم فيها جاليات تجارية من خارج فتان مثل الحالبه المعبته وكانت على علاقات تجارية مع المراكز التجارية التي تقع خارج لب الجزيرة العربية؛ وكما كانت شبة مركزاً لتجارة اللبان كانت تمنع مركزاً لتجارة المر<sup>(٢٣)</sup>.

ومنها أيضاً مجر بن حميد التي تقع على حافة وادي بيهان، وعلى بعد تسعة أميال جنوبي مدينة تمنع، والتي تُعتبر أقدم مدينة على هذا الوادي، وتُشرف على ممر مبلقا الذي يصل بين وادي بيهان ووادي حريب، ومن البقايا الأثرية التي اكتشفت في هذه المدينة يتبين أنها كانت مركزاً صناعياً مهماً، ولذا لست العملة القنبانية، وسوقاً تجارياً في شبه الجزيرة، ومركزاً تجارياً عالمياً كانت على اتصال بعدد من المراكز الحضارية في بلاد الرافدين وبلاد الشام وبلاد اليونان والرومان، وبأسيا الصغرى<sup>(٢٤)</sup>.

B.Dx. Monuments of Southern Arabia, P144 (٢١)

Ibidem, P98. (٢٢)

Pliny, Natural history, Bk6, P453. Richard Bowen: Irrigation in Ancient Qataban, P43-88. B.Dx. op. cit, P94. (٢٣)

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٣.

Van Beek: Hajar Bin Humeid, P367-368. B.Dx: Monuments of Southern Arabia, P119. (٢٤)

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

ومنها أم العادبة التي تقع على الطريق القادم من عدن والمنحدر نحو تمنع ومارب، والتي تُشرف على ممر عقبات نيرا؛ ويبدو أن هذه المدينة كانت تابعة لمملكة قنبان، ويقتصر دورها على استقبال التجار في خاناتها، وحزن الضائع في مخازنها، وتسجيل السلع الواردة فيها لاستيفاء الضرائب الجمركية. وكانت معظم هذه السلع تصل من خارج شبه الجزيرة إلى عدن، ومنها إلى أم العادبة<sup>(٢٥)</sup>.

ومنها قرناو (معين) التي تقع على بعد سبعين كيلومتراً إلى الشمال الغربي من مارب في جنوبي وادي الجوف. وقد وردت في النقوش العربية بهذين الاسمين، وكانت قاعدة للدولة المعبته، ومركزاً تجارياً رئيساً في طريق التجارة البرية<sup>(٢٦)</sup>.

ومنها مأرب التي تقع على ضفة وادي أفنة، وعلى مرتفعات تعلوها الأنهار الكثيفة، وكان بعض أهلها يعملون في الزراعة، وبعضهم الآخر يعملون بالتجارة، وخصوصاً تجارة البخور المحلي، والمستورد من إثيوبيا على قوارب جلدية. وتُميز مأرب بكونها عاصمة الدولة السبئية التي كانت من أكبر الدول الجنوبية وتشرف على مناطق واسعة، ويكونها سوقاً محلياً مزدهراً، ومركزاً تجارياً رئيساً تنجم فيه منتوجات المناطق الزراعية والصناعية ليعاد تصديرها إلى الخارج. وقد حُفقت مأرب من جزاء ذلك شهرة عالمية وثراء واسعاً انعكس على عمارتها حتى أصبحت تضاهي المدن الكبرى في العالم حينذاك<sup>(٢٧)</sup>.

Le Baron Richard Bowen: Ancient trade routes, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958, P36. (٢٥)

S Perowne: IM'adaya and Beihan, Aden Protectorate, Antiquity, Heffer's Printer, Cambridge 1939, P133. (٢٦)

محمد توفيق: آثار معين في جوف اليمن، ص ٩ - ٢.

B.Dx: Monuments of Southern Arabia, P126. (٢٧)

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P349. A Grohman: Encyclopidia of Islam, Ma'nbe, Vol 3, E.J Brill, Leiden 1936, P280. Nigel Groom: The Frank in case and Myrrh, Longman, London 1981, P184.



ومنها يثل (برافش) التي كانت تُعدّ قلعة سيّية ومحطة تجارية مهمّة، والتي تقع على الحدود السّبتية - الحبيّبة، ضمن منطقة زراعية خصبة. وقد وردت في استراتيجوس باسم أثرولا في أثناء حديثه عن الحملة الرومانية التي قادها البيزنطي غالوس على بلاد العرب<sup>(٢٣٨)</sup>.

ومنها ظفار التي تقع في منطقة جبلية تحيط بها سهول زراعية وتكثر بها المردود، وبالقرب من يريم الحالية وعلى بعد ٢٤ قرسحاً من صنعاء. ومن أهم مرتفعاتها جبل ريدان الذي كان المقر الملكي للحِمْيَر، وكانت ظفار عاصمة الدولة الحِمْيَريّة وقاعدة بلاد الشَّحَر. وقد حلّت مكان مأرب بعد أقول نيم الدولة السّبتية، وظهور نجم الحِمْيَريين في سماء جنوبي شبه الجزيرة، وأصبحت مركزاً تجاريّاً تبعث السفن إلى الهند وغيرها، وكان يصلها بمرفأ موزا طريق يري عبر أراضي المعافر<sup>(٢٣٩)</sup>.

ومنها كذلك ثَجْران التي تقع على وادي نجران، وعلى مقشوق الطُّول القادمة من الجنوب والمُتجهّة نحو الشمال والشرق أو الآتية من الشمال في طريقها إلى الجنوب. وقد ظهرت هذه المدينة كمحطة تجارية، ومركز صناعي للعديد من الصناعات المعدنية والزراعية كالزيت مثلاً<sup>(٢٤٠)</sup>.

(٢٣٨) Strabo: op.cit., P361. B.Dix: Monuments of Southern Arabia, Pl27.

(٢٣٩) الفلّاحشندي: صحيح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الخامس، نشر وزارة الثقافة والأشياء القوميّة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، ص ١٢ - ١٣. أحمد حسين شرف الدين: تاريخ اليمن الثقافي، ص ٥٧.

The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 23, P30. B.Dix: op.cit., P79.  
الفرّسخ جمع فراسخ وهو الطويل من الزمان. وفرسخ الطريق. ثلاثة أميال ماضية، وفيها اثنا عشر ألف ذراع وهي تقريباً ثمانية كيلومترات.  
المتجدد في اللغة والأعلام، ص ٥٧٦.

(٢٤٠) الفلّاحشندي: صحيح الأعشى، ج ٥، ص ١٧ و ١٨ و ٤١. نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

A.Jamme: Inscription from Mahram Bilquis, P303-304.

ومنها مدينة أوبار القديمة البائدة التي اكتشفت في عام ١٩٩٦، والتي تقع في جنوبي سلطنة عُمان وعلى طريق القوافل التجارية البرية. وقد نشر علماء من الولايات المتحدة الأميركية صوراً لهذه المدينة النقطتها رادار المكونك الفضائي الأمريكي «الديفور» في شهر نيسان من عام ١٩٩٤. وتقول المتحفة باسم مختبر لسيير الطائرات في باسادينا بكاليفورنيا ميري هاردين أنّ القوافل مدبّنة في الرمال، وأنّ هذه الصور تقدّم معلومات أفضل عن هذه المدينة من تلك التي تراقت عنها قبلاً. ويعتقد علماء الآثار أنّ نشأة مدينة أوبار قد بدأت منذ عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد واستمرت قائمة حتى عام ٣٠٠ ميلادية، وأنّها كانت قاعدة لامية وثابتة في الصحراء، حيث كانت القوافل تتجمع فيها من أجل نقل مادة اللّبان عبر الصحراء إلى مراكز التجارة العالمية في ذلك الوقت<sup>(٢٤١)</sup>.

ومنها قرية ذات كهل (الفاو) التي كانت تابعة لدولة كندة أو عاصمة لها. والتي كانت محطة تجارية في الطريق البري المتّجه نحو الخليج العربي. وقد كشفت الدراسات الأثرية عن دورها التجاري العالمي، وعن دورها الصناعي ومخصوصاً في صناعة النسيج، اللذان حققا لها ازدهاراً اقتصادياً كبيراً، ساعداًها في تلك عملة خاصة بها. وقد سميت هذه القرية حديثاً بالفاو لأنها تقع عند تقاطع وادي الدواسر مع جبال الطويق عند فوهة مجرى قناة تُدعى بالفاو. وهي بعد ٧٠٠ كيلومتر عن مدينة الرياض، وفي الجهة الجنوبية - الغربية منها. وتُشرف على الحافة الشمالية - الغربية للربع الخالي، فهي بذلك تقع على الطريق التجاري الذي يربط بين جنوبي شبه الجزيرة وشمالها الشرقي. ماواً بمنطقة اليمامة (الخروج) ومنطقة زبيدة الأثرية بالقصيم، فهي بذلك تُعتبر مركزاً تجارياً واقتصادياً في وسط شبه الجزيرة. وقد كشفت التنقيبات الأثرية في هذا الموضع عن عدد كبير من البقايا العمرانية مثل: مقابر ومعبد ومركز سوق

(٢٤١) جريدة السفير، السبت في ١٩٩٤/٧/٣٠.

واسع، منا يدل على الدورين التجاري والحضاري اللذين تمتاز بهما هذه القرية المدينة<sup>(١٢)</sup>.

والى جانب هذه المراكز التجارية البرية في جنوبي شبه الجزيرة العربية نشأت مراكز تجارية بحرية فيه من أهمها مرفأ موزا الذي يقع في الجنوب الغربي من شبه الجزيرة، وعلى ساحل البحر الأحمر، وعلى بعد ٢٥ ميلاً إلى الشمال من ميناء مخا الحالي. وكان يُعرف في بعض الأحيان باسم موزع، وتابعا للدولة السبئية في أيام عزها، ثم تبع الدولة الجُمَيرية منذ القرن الأول الميلادي حيث أصبح ميناءها الرئيس<sup>(١٣)</sup>. وكانت موزا ميناء عالمياً ترد السفن من مصر وشرقي أفريقيا ومن الهند، كما كانت مدينة داخلية يربطها بعاصمة الدولة ظفار طريق بري. وإلى جانب الميناء فقد نشأت في هذه المدينة سوق تجاري مهم كانت تشجع فيه السلع الجيدة. من كل الأصناف، ويعمل جل سكانها بالبحر والتجارة<sup>(١٤)</sup>.

ومنها مرفأ أوكليس الذي يقع في أقصى جنوبي البحر الأحمر، وبالقرب من مضيق باب المندب ومن جزيرة بريم. وهو من أقدم مرفأته التي ازدهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، أيام الدولة الأوسانية، حيث كان مركز اتصالها بالساحل الأفريقي. وقد سيطرت عليه دولة فتيان فترة من الزمان، ثم تلتها الدولة السبئية في عز ازدهارها، ثم الدولة الجُمَيرية. وقد كان هذا المرفأ آخر محطة توقف فيها السفن الهندية التي لم يكن يُسمح لها بالإبحار شمالاً نحو البحر الأحمر، وخصوصاً في الفترة السابقة لقيام الرحلات المباشرة بين الهند

ومصر. وكانت هذه السفن تُفرغ حمولتها في أوكليس، ومنها تُنقل براً إلى موزا حيث تُباع هناك للسلطن البطلمية وبعد ذلك للسفن الرومانية<sup>(١٥)</sup>.

ومنها مرفأ عدن، الذي يقع على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية، وهو مُرضة اليمن وأعظم مراسيه ومحط رحال التجار وعليه ترد السفراكب الواصلة من الحجاز والسند والهند والصين والحبشة، ولا يخلو أسبوع من عدة سفن وتجار وازدحام عليه. وقد ازدهر هذا الميناء منذ القرن الثاني قبل الميلاد، وأصبح ينافس ميناء الإسكندرية. وكان ينبع الدول التي مرت على المنطقة مثل أرمين وفتيان وسيا والدولة الجُمَيرية التي ضعفت في عهدها بسبب اعتمادها برافاً موزا<sup>(١٦)</sup>. وكان لمرفأ عدن أهمية طبيعية خاصة، فهو يلائم رسو السفن، وتحيط جزيرة صيرة التي تقع بالقرب منه، من الرياح الموسمية التي تهب على المنطقة من الجهة الشمالية - الشرقية، وتتوافر فيه المياه العذبة التي حُفرت لها الخزانات التي حُفرت أيضاً لتجميع مياه السيول عند تساقط الأمطار، وهذا ما ساعده في القرن الرابع الميلادي على استعادة نشاطه التجاري الذي استمر مزدهراً حتى العصور الحديثة، وكان يربط بهذا المرفأ عدد من الطرق البرية التي تصل بينه وبين عدد من المدن التجارية الداخلية<sup>(١٧)</sup>.

ومنها مرفأ قنا (حصن الغراب) الذي يقع على ساحل بحر العرب، وإلى الشرق من عدن. وهو ميناء إقليم حضرموت الرئيس، ومنتفذ الدولة الحضرمية إلى الخارج، ومرسى السفن التجارية القادمة من جزيرة سوفطرة، حيث كانت

(١٢) The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 7, P25. Doe: op.cit, P71.

لقولا زيادة: دليل البحر الأحمر والأندلس وتجارة الجزيرة العربية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الجزء الثاني، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠١هـ، ص ٢٧٤.

(١٣) القلقشندي: صبح الأعشى... ج ٥، ص ١٠ - ١١. لقولا زيادة: المرجع السابق، ص ٢٧٤. ثورة النسيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٥٩.

The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 7, P32.

Doe: Monuments of Southern Arabia, P53. Western Arabia and Red Sea, (١٤)

P54-550. H.T.Norris and F.W.Penkey: An archaeological and historical survey of the Aden tanks, Aden Government Press, London 1955, P11-23.

(١٤) عبد الرحمن الأنصاري: أضواء جديدة على دولة كندة من خلال آثار قرية الفاو، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، مطابع الجامعة، الرياض ١٩٧٩، ص ٩.

الأنصاري: قرية الفاو... ص ١٧. الدليل الأثري والحضاري... ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(١٥) J.W.McCrindle: The Commerce and navigation of the Erythraean Sea, Tribner Co. Bombay 1987, P78. H.Von Wissman: Himyar, Ancient history, Le Museon, Publiée par l'Association sans But lucratif, Louvain 1964, P449.

The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 23, P30. Doe: Monuments of Southern Arabia, P53. N.Groom, The Frankincense and Myrrh, P243.



تفرغ حمولتها في مخازنها، لكي يعاد تصديرها عن طريقه. كما أنه الميناء الأول لتجارة اللبان، حيث كانت تتجمع فيه المحاصيل الآتية من مناطق ظفار وروافدي الحجر والساحل الأفريقي وغيرها. ويبدو أن هذا المرفأ الذي كان سوقاً تجارياً على ساحل بحر العرب، وملقى لعدد من الطرق البرية، قد وقع تحت سيطرة الدولة الحضرية لفترة من الزمان. وعلى الرغم من أن الدولة الحضرية قد استعادت وبنيت سور القلعة الذي يفصل بين حدودها وحدود جارتها، إلا أن هذا الميناء لم يبق مزدهراً، فقد تدهورت التجارة فيه في القرن الرابع الميلادي، على أثر تدهور تجارة اللبان والطيب في جنوبي شبه الجزيرة العربية<sup>(١٨)</sup>.

ومنها مرفأ رأس فرتك الذي يقع تقريباً في وسط الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة بين مرفأي قنوموشا، وهو ميناء محلي كان مخصصاً لشحن اللبان من المناطق الساحلية التي كانت تُعرف باسم الساسليت، ومن ظفار التي كانت تُعرف بأرض اللبان، ويبدو أن هذا الميناء كان يستقبل فقط السفن العربية التي تتاجر مع السواحل العمانية وسواحل شرقي أفريقيا، والتي تنقل اللبان من مستودعاته إلى مرفأ قنا<sup>(١٩)</sup>.

ومنها مرفأ موشا الذي يقع في خليج القمر في ساحل الساسليت من جنوبي شبه الجزيرة العربية. وهو مخصص لتصدير اللبان الظفاري، وفيه نرس السفن القادمة من غربي شبه الجزيرة، والسفن العائدة من الهند. وتذكر النقوش الأثرية التي عُثر عليها في هذا الميناء أن الملك الحضرمي «ابلعز بلف» قد أنس موشا في القرن الأول قبل الميلاد، ونقل إليها ثلث سكان شبوة، وأن ميناءها كان يُستخدم لجميع اللؤلؤ من قاع البحر بواسطة القرب الجملدية المنفوخة، وأن

(١٨) Ptolemy: Natural history, Bk6, P417. The periplus of the Erythraean Sea, chapter 27, P32. Wissman: Himyar Ancient history, P444.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٥٦.

(١٩) The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 30, P33. Jacqueline Pirenne: The incense port of Mosha in Dhofar, Journal of Oman Studies, The ministry of information and culture, Oman 1975, P93.

نشاطه التجاري، وخصوصاً النشاط التجاري الهندي قد استمر حتى القرن السابع الميلادي<sup>(٢٠)</sup>.

ومنها أيضاً موانئ خليج عُمان، كمسقط الذي يعني اسم الميناء الحقي، وذلك لأن الصخور تفصل بينه وبين البحر، وهو من الموانئ الواقعة عند مدخل خليج عُمان. ومرفأ قلهاة الذي يُعتبر نقطة انطلاق للسفن المتجهة إلى الهند، ومركزاً تجارياً، وسوقاً لسكان المدن والجزر المجاورة. ومرفأ عمان (صحر) الذي كان مركزاً لعدد من الصناعات مثل: الفوارب والخمور والاشياب العربية والأصباغ، التي تُشكل جزءاً من صادراته، كما كان ملقى للطرق البرية التي تصل بين جنوبي شبه الجزيرة وشرقها. ويمتد هذا الميناء بحركته ونشاطه التجاري الواسع، وخاصة مع ساحل كرمينيا وشمال الخليج العربي وموانئ الهند الشمالية - الغربية والجنوبية - الغربية وساحل أفريقيا الشرقي<sup>(٢١)</sup>.

## ٢ - التجارة في الحجاز:

إن الصراعات التي قامت بين القبائل والقوى المتواجدة في جنوبي شبه الجزيرة العربية، وانهايار سد مأرب، واحتلال الأحباش لليمن عام ٥٢٥ ميلادية، قد أقضى كل ذلك إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في تلك الأقاليم، ومن ثم إلى تقليص نفوذ الجنوبيين على مسرح التجارة الدولية. من هنا أفسح في المجال أمام أهل الحجاز عموماً وأهل مكة خصوصاً من أن يلعبوا دوراً رئيساً في هذا المضمار، وأن يشيخوا مركز الزعامة التجارية في شبه الجزيرة العربية على امتداد المرحلة التاريخية التي سبقت ظهور الدعوة الإسلامية بقليل.

(٢٠) The Periplus of the Erythraean Sea, Chapter 27, P32 and Chapter 32, P35. Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P361. J.Pirenne: op.cit, P81 and 91.

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٥٧.

(٢١) ابن الجعاف: حفا بلاد اليمن ومكة والحجاز المسماة تاريخ المستصر، ص ١٨٧.

Ptolemy: Natural history, Bk6, P435 and 453.

Ptolemy: op.cit, P441 The Periplus of Erythraean Sea, chapter 36, P36.

والواقع أن مكة قد ظهرت على مسرح التاريخ كمركز ديني أولي  
وكمحطة تجارية ثانياً. ذلك أن النبي إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل علي  
السلام قد بنيا الكعبة الشريفة<sup>(٥٢)</sup>، بأمر من الله سبحانه وتعالى؛ وأن إسماعيل  
عليه السلام هو الجذ الأعلى لعرب الشمال العدنانيين؛ وأن أم القرى بُنيت  
ونمت حول الحرم، وحول هذه الكعبة التي كانت تُعرف بالبيت العتيق قديماً.

وعلى مقربة من الكعبة ظهر نبع الماء الذي اكتشفه الطفل إسماعيل  
وأخته هاجر، وأعاد حفرة زعيم قريش عبد المطلب جد النبي محمد ﷺ. ونُشر  
الماء المتدفقة من هذا النبع مقدسة، وكذلك الكعبة الشريفة. وبهذا المعنى  
صارَت المياه والكعبة محجة للناس وأمثاً، لا يُمنع أحد من التعمد عندمَا  
والطواف حولها. وكانت مناسك الحج والسعي بين الصفا والمروة تتم حسب  
تعاليم النبي إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام<sup>(٥٣)</sup>.

وتوالى أبناء إسماعيل عليه السلام بعده على حراسة البيت وخدمته؛ ثم  
وفدت قبيلة خزاعة من اليمن، بعد سيل العرم وانهيار سد مأرب، فزلوا بنظام  
مكة، وغلبوا الجرهميين وطردوهم منها. وكان أول من ولي أمر البيت من  
خزاعة عمرو بن لحي، فغُير دين إبراهيم وبذله بعبادة الأوثان، بعد أن استحق  
أصناماً من بلفاء الشام ونصبها حول الكعبة<sup>(٥٤)</sup>. فطغت الوثنية على مكة، وعلى  
كامل بلاد الحجاز، ومن ثم على معظم مناطق شبه الجزيرة العربية، وظلت مكة  
محجة العرب من وثنيين وغير وثنيين، وامتلات الكعبة بالأصنام والأوثان.

وكان الحج إلى جانب التجارة مورداً مهماً لقريش، فتبجح ما عندما  
للأعراب القادمين إليها من البادية، ولأهل القرى والمدن البعيدة عنها، وتشتري  
ما يحملونه معهم من مواد وبيع، ثم تقوم قوافل قريش بنقل ما تكسب عندما

من بضائع إلى أسواق الشام والعراق، وتشتري في مقابل ذلك، ما يحتاجه أهل  
الحجاز وأعراب البادية من مواد وبيع<sup>(٥٥)</sup>.

وبوحي من ضرورات الإفادة المطلقة، العائدة لصالح تجار قريش،  
وصالح المتعاملين معهم، من أمراء ومشايخ القبائل العربية، نظم زعماء قريش  
حركة البيع والشراء، ووضعوا لها الأصول والقواعد، وأقاموا الأسواق الموسمية  
مثل: سوق عكاظ الذي كان يُقام في موضع نخلة بين مكة والطائف<sup>(٥٦)</sup>.  
وسوق منجنة الذي كان في أسفل مكة لبني كنانة، وسوق خباشة في تهامة كانت  
نظام بديار بارق الذين كانوا من الأزد، وسوق ذي المجاز وكانت لهذيل بالقرب  
من عرفة. وقد جذبت القبائل العربية أوقات هذه الأسواق مع الأشهر الحرم  
التي يسود فيها الأمن والسلام بين الفئات المتنازعة<sup>(٥٧)</sup>.

وفي كتابه أخبار مكة، يُقدِّم الأزرقي وصفاً رائعاً لحركة هذه الأسواق  
فيقول: «إن الناس كانوا يخرجون في موسم الحج، في شهر ذي الحجة،  
فيصبحون بعكاظ بين مكة والطائف، يوم هلال ذي القعدة، فيقيمون به عشرين  
ليلة، تقوم فيها أسواقهم بعكاظ، والناس على مداعبتهم وراياتهم، متحازين في  
المنازك، تضبط كل قبيلة أشرفها وفادتها، ويدخل بعضهم في بعض، للبيع  
والشراء، ويجمعون في بطن السوق، فإذا مضيت العشرة، انصرفوا إلى ذي  
المجاز، فأقاموا به ثمانية ليالٍ، أسواقهم قائمة، ثم يخرجون يوم النوبة من ذي  
المجاز إلى عرفة، فيرتبون ذلك اليوم من الماء بذي المجاز»<sup>(٥٨)</sup>.

وكان كسرى يجفِّز كل عام قافلة تجارية، يرسلها إلى سوق عكاظ قرب  
الطائف، وكذلك كانت تأتي قوافل أخرى من بلاد الروم والحبشة وغيرها.

(٥٥) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٥٨.

(٥٦) مرقس زوخ: تاريخ الجاهلية، ص ١٦٦.

(٥٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٥٨، ١٥٩. حركة محمد

صنوبر: أسواق العرب، ص ٩٧ و ١٦٠ و ١٦٢.

(٥٨) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص ١٢٩.

(٥٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ١، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٥٣) الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص ٢٢ - ٢٣.

(٥٤) هشام بن محمد بن السائب بن الكلبي: كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب  
المصرية، القاهرة ١٩٢٤. ص ٨. ابن هشام: السيرة النبوية، قسم ١، ص ٧٩. أحمد بن علي  
يعقوب اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، الجزء الأول، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩٦، ص ٢١١.



فضلاً عن الأقراد. وكم بهذا الاختلاط من فوائد متبادلة لم تكن تقتصر على العرب وحدهم<sup>(٥٩)</sup>.

ونظم القرشيون أيضاً المكابيل: كالصاع والمد والمكوك، والموازين: كالرطل والنش (نصف الأوقية) والدرهم والمثقال<sup>(٦٠)</sup>. ووضعوا أصولاً للإجارة والدين والرهان والحزارة<sup>(٦١)</sup>. وفرضوا ضرائب في الأسواق على التجار الغرباء، وعلى التجار العرب الذين لا يرتبطون مع قبائل قريش بحلف<sup>(٦٢)</sup>. وقد تطورت هذه الضرائب لتصبح ضرائب على أرباح كل دخل أو وارد، سواء أكان ذلك من بيع، أو من إجارة، أو من إرث<sup>(٦٣)</sup>.

ومما لا ريب فيه، أن تجار قريش قد اكتسبوا خبرة واسعة في أعمال البيع والشراء، ومرونة كبيرة في التعامل مع القبائل العربية وغير العربية، حتى أصبحوا وسطاء التجارة والسياسة في آن. ذلك أن زعماء قريش قد أدركوا مكانة بلادهم وأهمية دورهم، فلم يتورطوا في الصراعات التي كانت تقوم بين القبائل العربية، ولم يشخروا في أي صراع. كان يقوم بين المعسكرين الكبيرين: المعسكر البيزنطي والمعسكر الفارسي، اللذين كانا يتنازعا السيطرة على البلاد العربية في آسيا وأفريقيا. ويبدو أن هذه السياسة قد أفادت مكة كثيراً، فمن جهة أظهرت قريش زعامتها على القبائل كلها، ومن جهة ثانية دفعت القبائل لتعترف لها بالتفوق عليها، وجعلتها تحضر في مواسمها، حتى صارت مكة عند ظهور الدعوة الإسلامية زعيمة عرب الحجاز دون منازع.

وانطلاقاً من هذه السياسة، فقد انفتحت مكة على رحاب شبه الجزيرة العربية والعالم الخارجي، وعقدت اتفاقات ومعاهدات تجارية مع الدول الكبرى

المجاورة، كبيزنطية وفارس والحيرة، لتأمين تجارتها وتجارها<sup>(٦٤)</sup>. وكان يمثل الأمير بطور البيزنطي في توقيع المعاهدة عظيم بصرى. بينما مثل كسرى العرس مرزبان البحرين<sup>(٦٥)</sup>.

وكان لأولاد عبد مناف زعيم قريش، هاشم، وعبد شمس، والمطلب، ونوفل، السيادة على مكة في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي. فاليهم يرجع الفضل في عقد هذه الاتفاقات، وتنظيم الرحلات التجارية الكبرى. فقد عقد هاشم معاهدة تجارية مع ملوك الروم والفارسية، ويروي البعض أنه هو أزال من سفر رحلتي الشتاء والصيف<sup>(٦٦)</sup>، فكانت رحلة الشتاء إلى اليمن جنوباً، ورحلة الصيف إلى بلاد الشام شمالاً. وفي هاتين الرحلتين أثنى الله تعالى قوله: ﴿إِلَهِكَ قُرَيْشٌ ۖ لَكُنَّفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۚ فَلْيَسْتَأْذِنُوا رَجُلًا مِّنْ آلِ بَيْتٍ ۚ أَلَيْسَ لَكُنَّكُمْ مِّنْ جُوعٍ ۚ وَأَمَّنَّكُمْ مِنْ حَقَوِي ۚ﴾<sup>(٦٧)</sup>. وعقد عبد شمس اتفاقية تجارية أخرى مع نجاشي الحبشة، فاختلف تجار مكة بذلك السبب إلى أرض الحبشة آمنين. وأخذ نوفل لقريش اتفاقاً مع أكاسرة الفرس، فاختلف تجار قريش إلى أرض العراق وأرض فارس آمنين. وأخذ المطلب لقريش حيلة مع ملوك حمير، فاختلف تجار مكة إلى اليمن آمنين<sup>(٦٨)</sup>.

وعلى الرغم من الارتباط التجاري بين بيزنطية والعرب، فإن أباطرة الروم، لم يسمحوا لتجار العرب، بحرية الإقامة والتجارة إلا في عدد ثابت من المدن الشامية. ففي فلسطين كان يُسمح للعرب بحرية التجارة في ميثاني أيلة وغزة وفي مدينة القدس. أما في سوريا فقد كان سوق بصرى مفتوحاً لهم، وهو السوق الأكبر بالنسبة للحجازيين، والمحطة الأخيرة لقوافل قريش<sup>(٦٩)</sup>.

(٦٤) H. Lammens: La Mecque à la veille de l'Hégire, P26.

(٦٥) Ibidem, P32.

(٦٦) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ١٤١. ابن هشام: السيرة النبوية، قسم ١، ص ١٤٢. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٣٦.

(٦٧) قرآن كريم: سورة قريش، الآية ٦ - ٤.

(٦٨) البلاذري: أنساب الأشراف، ص ٥٩.

(٦٩) عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ٢٥٠.

(٥٩) محمد جميل بيهم: دراسة وتحليل للعهد العربي الأموي، بيروت ١٩٧٤، ص ٥٦ - ٥٧.

(٦٠) عبد الحى الكتاني: نظام الحكومة الشريعة المعنوية للتراث الإداري، الجزء الأول، ص ١١٥. H. Lammens: La Mecque à la veille de l'Hégire, Beyrouth 1924, P128.

(٦١) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة، ص ٢١٦.

(٦٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٨. القاسي: شفاء الغرام، ص ٧٢.

(٦٣) H. Lammens: La Mecque à la veille de l'Hégire, P130.

(٦٤) حواد علي: المنهل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٥.

وعقد القرشيون كذلك معاهدات مماثلة مع أمراء العرب في شبه الجزيرة العربية، ومع شيوخ قبس، وأقبال اليمن، وأمراء اليمامة، وملوك غسان. وسادات نعيم، وحكام بلاد الشام والعراق. وقد عقد المكيون هذه المعاهدات لتوفير الأمن لقوافلهم التجارية، التي كانت تذهب إلى بلاد الشام والعراق واليمن، وغيرها من اعتداءات القبائل ومشاكلتها. وذلك يدفع جماعات معينة أو بتقديم هدايا وألصاف مناسبة ومغرية لهم، أو بإشراكهم في تجارتهم، ثم يحمل بضائعهم بلا أجر. وقد أكد ابن سعد في طبقاته الكبرى هذا الأمر عندما قال: «وأما القبائل الضاربة على طرق القوافل، فقد ألفهم هاشم على أن تحمل قريش بضائعهم بلا أجر»<sup>(٧٠)</sup>. ويذكر الجاحظ في رسائله أن هاشم قد اشرك «في تجارته رؤساء القبائل من العرب... وجعل لهم معه رجلاً»<sup>(٧١)</sup>.

وقد كان لتنظيم العلاقات التجارية، بين مكة وأمراء العرب والشول الكبرى المجاورة، أثر كبير على تطور الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية في الحجاز والبادية. فنتيجة لهذه العملية التنظيمية نشطت التجارة الداخلية والخارجية، وازداد التفارب والتألف بين العرب أنفسهم، وذلك بربط أعداد وفئات كثيرة من سكان المدن والبادية بالعملية التجارية، سواء أكان بمشاركة بعضهم في تمويل القوافل، أو بتشغيل قسم كبير منهم كأدلاء وحراس للقوافل. ذلك أن وجهاء مكة وأربابها كانوا يستخدمون لقوافلهم أدلاء وحراساً وعمالاً، يتولون تحميل البضائع وتفريغها، وسائقين للإبل من قبائل البدو المجاورة، لقاء مبالغ محددة من المال؛ فضلاً عن مقدمي الخدمات في المحطات المنتشرة على طول الطرق البرية، وفي الشغور البحرية<sup>(٧٢)</sup>.

وكان في مكة واليمن ونجد تجار من الروم أو الفرس، قد سلكوا المكيين وتحالفوا مع أثريائهم. ومنهم من أقام بمكة، نظير دفع جزية مادية

لحمايتهم وحفظ أموالهم، ومنهم من استقر في عدن التي كانت السفن ترقى إليها من مختلف جهات المحيط الهندي<sup>(٧٣)</sup>، والتي كان يصل إليها تجار من الروم والفرس يسقونهم ليشترروا ما يجلبونه من بضائع واصلح، أو ليتردوا بالعباد والطعام<sup>(٧٤)</sup>.

وكان كبار تجار قريش يقومون بدور الوسطاء التجاريين، فكانوا ينقلون تجارة أهل اليمن وتجارة أفريقية الشرقية إلى أسواق فلسطين وسوريا. كما كانوا يحملون تجارة الشام وبلدان حوض البحر المتوسط إلى الحجاز ويحد اليمن. وذكر البلاذري أن قريشاً كانت تقوم برحلة في الشتاء إلى اليمن والحشة والعراق، وبرحلة في الصيف إلى بلاد الشام<sup>(٧٥)</sup>. وفي ذلك يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

يا أيها الرجل المحول رحلة  
هلاً نزلت بك عبيد نفاق  
هبلتك أمك لو نزلت عليهم  
ضممنوك من حوق ومن أفراف  
الأخذون العهد من أفسانها  
والراجلون لرحلة الإيلاف<sup>(٧٦)</sup>

أما سلع الشبادل، فكانت القمح والزيتون والخمور ومصنوعات الشام والذهب والقصدير والأحجار الكريمة والعاج وخشب الصندل والتوابل والأقمشة الحريرية والقطنية والكتانية والأرجوانية والأنيب الغضبية والنحاسية من الهند والصين. والبخور والمر والعطور والجلود المدبوغة والأحجار الكريمة من اليمن. والذهب والعميد والعاج والجلود وخشب الأبنوس وريش النعام من أفريقيا الشرقية. واللؤلؤ والياقوت من البحرين. ومواد غذائية واصلح صناعية من فارس والعراق واليمامة. وبذلك تحولت مكة في نهاية القرن السادس الميلادي

(٧٣) ابن مشام: السيرة النبوية، قسم ١، ص ٢٨٠، الأزدي: أخبار مكة، ص ١٥١، أبو مخ الأصمعي: الأغاني، ج ١، ص ٧٦، أحمد إبراهيم الشرق: مكة والهدية، ص ٢١١.

(٧٤) حواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٨، ص ١٩٤.

(٧٥) البلاذري: أنساب الأشراف، ص ٥٩.

(٧٦) أبو جعفر محمد بن حبيب: المعجم، باعتناء إدلهو ليخس شينير، والمكتبة الصحري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لا تاريخ، ص ١٦٢.

(٧٠) ابن سعد: الطبقات الكبرى، الجزء الأول، ص ٢٥.

(٧١) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: رسائل الجاحظ، جمع السندوسي، المطبعة الرحمانية بمصر القاهرة ١٩٢٢، ص ٧٠.

(٧٢) بليغ: العرب والإسلام... ص ١٣٥ - ١٣٦.



إلى مستودع ضخم لمشتريات الهند والصين وشرقي أفريقيا وإيران والعراق والشام وشبه الجزيرة العربية<sup>(٧٧)</sup>.

وقد كسب تجار مكة أرباحاً طائلة من هذه الرحلات التجارية، ونكثت الأموال بأيدي بعض الأسرى: كأيي أحيحة سعيد بن العاص، وعبد الله بن جدعان، والوليد بن المغيرة المخزومي، وأبي سفيان، وهاشم بن عبد مناف، والمطلب بن عبد مناف، ونوفل بن عبد مناف. وقد توفي هؤلاء الثلاثة بعيداً عن مكة، فهاشم توفي بخرقة من أرض الشام، والمطلب توفي بردمان من أرض اليمن، ونوفل توفي بسلمان من ناحية العراق. وفي ذلك يقول مطرود بن كعب المخزاعي:

إذا تذكّرت أخي نوفلاً      ذكرني بالأزرق الحممر  
ذكرني بالأزرق الحممر      والأردية الصففر القشيبات  
أربعة كلهم ميت      أبناء سادات لسادات  
ميت بردمان وميت بسلمان      وميت عند غزوات<sup>(٧٨)</sup>

وللذلالة على أهمية ثراء بعض الرجال في مكة، ما دفعه أهلها من فدية لأسرهم في بدر، فقد جعل رسول الله ﷺ فداء بعض أسرى يوم بدر أربعة آلاف لكل رجل من أسرى ثرية، إلى ثلاثة آلاف، إلى ألفين، إلى ألف، إلى ثوب لا مال عندهم من عليهم النبي دون فداء<sup>(٧٩)</sup>.

وتعطينا القافلة التي كان يقودها أبو سفيان، والتي كان الهجوم عليها سبباً في نشوب معركة بدر، تصوّراً واضحاً عن حجم القوافل والأموال الموقوفة، وحصص المشتركين، ونسبة الأرباح التي يجنيها أصحابها. كما تعطينا صورة عن الغنى الفاخض الذي يلقه بعض العائلات المكيّة حينذاك. فكانت هذه القافلة

(٧٧) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ١١٥. أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة ص ٢٠٦.

(٧٨) ابن هشام: السيرة النبوية، قسم ١، ص ١٢٦.

(٧٩) محمد بن عمر بن واقد: الحغازي للواقدي، الجزء الأول، تحقيق مارسدن جونس، مكة: الإعلام الإسلامي، قم رمضان ١٤١٤ هـ، ص ١٣٨ - ١٤٤.

مؤلفة من ألف جمل في رواية، وألفين وخمسمائة في رواية أخرى<sup>(٨٠)</sup>. وكانت أموالها تقدر بنحو خمسين ألف دينار، وأن أكثر ما فيها من المال، ثلاثون ألف دينار لأل سعيد بن العاص، وكانت أرباح التجار ديناراً لكل دينار<sup>(٨١)</sup>. ووصل خمس القافلة التي هاجمها المسلمون في موضع ذي قرد إلى عشرين ألفاً<sup>(٨٢)</sup>.

ومن المعتقد أن اتصال تجار مكة بالحبيشة والصومال، كان يتم عن طريق آخر، غير طريق اليمن البري، وهو طريق البحر الأحمر، بواسطة ميناء الشعبة. ميناء مكة الوحيد - فكان تجار مكة يستخدمون هذا الميناء والموانيء القريبة من الاتصال بالحبيشة والصومال ومصر - ومن المرجح أنهم استخدموا سفناً خاصة كانت تعمل لحسابهم<sup>(٨٣)</sup>.

ورأى جانب الرجال، فقد كان بعض النساء المكيّات يمارسن التجارة، وقد أُرِين ثراء كبيراً. مثل خديجة بنت خويلد التي كانت تاجر بمكة، وتساخر الرجال لقيادة تجارتها إلى الشام<sup>(٨٤)</sup>. وأم أبي جهل التي كانت تتاجر بالعبور التي تجلب إليها من اليمن<sup>(٨٥)</sup>.

ولم يكن لمكة في الجاهلية عملة خاصة بها، إذ كان المكيّون يتعاملون بالابل والنفود. وكانت العملات السائدة في الحجاز عموماً، وفي مكة خصوصاً الدينار الذهبي البيزنطي، والدرهم الفضي الساساني<sup>(٨٦)</sup>. وتعاملوا أيضاً بقرود بنية جفيرة أو مغربية، كانت غير مستوكة، بل هي عبارة عن قطع من الذهب النغام المستورد من شرقي أفريقيا، أو المستخرج من مجاري الأنهار في اليمن

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٢٠٠.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٢٠٠. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٤، ص ١١٦.

(٨٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٥.

(٨٣) أحمد إبراهيم الشريف: مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص ١١.

(٨٤) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ١، ص ١٦. ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٩٢ - ٢٩٤.

(٨٥) لم يرجع الأصمعي: الأغاني، ج ١، ص ٦٤ - ٦٥. ابن حنبل: المسند، ج ٣، ص ٢١٨.

(٨٦) الليثاني: لفظ يوناني - لاتينية، مشتقة من كلمة «ديالوريوس». والدرهم مشتق من الفارسية اليونانية، وأخذ العرب عن الفرس.

كما استعملوا قطعاً من معدن الفضة الخام. وكان التبادل بهذه النقود يجري حسب وزن القطع المتبادلة<sup>(٨٧)</sup>.

ومن مظاهر التطور الاقتصادي عموماً والتطور التجاري خصوصاً، قيام بيوتات مالية في مكة وخارج مكة، بأعمال الصيرفة وتبادل النقود، كما تقوم بأعمال الإقراض والربا الذي كان يدر على أصحاب رؤوس الأموال أرباحاً كثيرة، في حين كان يلحق الشقاء المادي والاستعباد على الفئات الفقيرة التي تضطر لافتراض الأموال. ذلك أن المرابين الذين تزايد عددهم في مكة، كانوا يشتدّون في المطالبة برأس المال ورياء مئة، ولم يمهّلوا معسراً، ولم يشاءوا في الأهاء إلى وقت الميسرة. فكان المرابي يقول لمديته، إذا حلّ أجل الدين، إما أن تقضي وإما أن تربي، أي تزيد مقدار الربا<sup>(٨٨)</sup>. وهكذا حتى تضاعفت فوائد الربا كثيراً، فكان الدرهم يستوفى درهمين، والدينار دينارين. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بَاطِلًا﴾<sup>(٨٩)</sup>.

وإلى جانب مكة كانت مدينة بئرب تشكل محطة تجارية على طريق القوافل بين شمالي بلاد العرب وجنوبها، وواحة خصبة توفر للتجار الراحة والمؤن<sup>(٩٠)</sup>. كما كانت تيماء مركزاً تجارياً مهماً في شمالي شبه الجزيرة، وملقى لعدد من الطرق البرية، فمنها تسير القوافل إلى البصرة ودمشق وندم، وإلى سبهاء ومصر، وإلى العراق<sup>(٩١)</sup>. وهي من أكبر المراكز التجارية التي اكتشفت في شبه الجزيرة العربية، ومن أكثر المدن العربية شهرة في التاريخ.

(٨٧) علي معطي: النقود العربية الإسلامية، مجلة دراسات إسلامية، المعهد العالي للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، الموسم الثقافي ١٤١٥ - ١٤١٧ هـ / ١٩٩٥ - ١٩٩٧ م، ص ٦١٩ - ١٢١.

(٨٨) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد المعيني: عمدة القاري، في شرح صحيح البخاري، إستانبول ١٣٠٨ هـ، ص ٢٠٢.

(٨٩) قرآن كريم، سورة آل عمران، آية ٧٥.

(٩٠) نورة الميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٨.

(٩١) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٤١٢.

القديم، ويعود ذلك إلى دورها في التجارة العالمية، الذي تبرره نقوشها ذات تأثير مصري والآشوري<sup>(٩٢)</sup>. وكانت ديدان العلاء من أكثر المناطق خصوبة في شمالي شبه الجزيرة، ومن أهم المراكز التجارية تطوراً. وهي تقع على طريق التجارة بين الشمال والجنوب. وفي سمر ضيق تضطر القوافل للمرور به نظراً لإحاطته بالمرتفعات والرمال والحزات. وقد أثبتت النقوش الأثرية على دور هذه المدينة كمركز تجاري وحضاري منذ القرن السادس قبل الميلاد، حيث تأسست على سلطتها كيانات سياسية مثل الدولة العبدانية والدولة اللحيانية، وأقامت فيها جاليات عربية معينة وغير معينة. وبعد أن سيطر الأنباط على شمالي الحجاز، واتخذوا الحجر (مدائن صالح) قاعدة لهم، فقدت ديدان أهميتها السياسية والتجارية<sup>(٩٣)</sup>. أما الحجر (مدائن صالح) فهي تقع على بعد سبعة أميال شمال شرقي العلاء، ويعود تاريخها إلى عهد الدولة اللحيانية. ولم تبرز مكانتها التجارية إلا في عهد الأنباط الذين أجبروا القوافل التجارية على سلوك الطرق المؤدية إليها. وتعتبر «أدوماتو» التي تقع في منطقة صحرية على حافة النفود الشمالية في الطرف الجنوبي لوادي السرحان، والتي تعرف أيضاً باسم «دومة الجندل» قاعدة لمنطقة الجوف، وعاصمة لدولة اتحادية في شمالي شبه الجزيرة العربية في القرن السابع قبل الميلاد، ومقرًا لمملكات «شمالي بلاد العرب». وكانت هذه المدينة تتحكم في الطرف الجنوبي لوادي السرحان الذي هو مجرى تكثر فيه المياه نسبياً ويمتد في اتجاه الشمال الغربي من أواسط شبه الجزيرة العربية الشمالية، والذي كان طريقاً طبيعياً للقوافل المتجهة نحو بلاد الرافدين والخليج العربي. وتُستدلّ من النقش المعيني الذي اكتشف في أدوماتو على وجود صلات بينها وبين تجار القوافل المعينيين في ديدان بعد حوالي سنة ٩٠٠ قبل الميلاد. وبحلول القرن الأول الميلادي كانت هذه المدينة في أيدي الأنباط فشكّلت بلا ريب نقطة رئيسة على حدودهم الشرقية.

(٩٢) حامد أبو حرك: مقدمة عن آثار تيماء، مطبوعات الإدارة العامة للأثار والمتاحف، الرياض ١٩٨٦، ص ٤ - ٥.

(٩٣) محمد علي الأكوع، وأحمد حسن غزال، وجيفري كنج: مواقع أثرية وصور من حضارة العرب، ص ٨، نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٩٢.



أما حائل (أركوم) التي نشأت في وسط منطقة جبال شمرا، والتي تقع في الجهة الشمالية الغربية من مدينة الرياض وعلى بعد ٧٥٥ كيلومتراً منها، كانت مركزاً تجارياً يربط بين طرق أربع هي: حائل - الجوهراء، حائل - النجف، حائل - الحوف، حائل - بريدة الذي كان يمتاز بموقع زبيدة بالقرب من عنيزة وفقاً لبعض التوجيهات. وحائل هو الاسم الأصلي للوادي الذي تقع فيه هذه المدينة، وذلك لوقوعه حائلاً بين جبلي أجا وسلمى<sup>(٩٤)</sup>.

## ٢ - دور البتراء التجاري<sup>(٩٥)</sup>:

ومن المدن التجارية التي لعبت دوراً في تاريخ العرب القديم البتراء، وهي المدينة التي نشأت كمحطة على طريق القوافل التجارية. ذلك أن هذه المدينة بعد أن نما شأنها الاقتصادي والسياسي، وازداد عدد القائمين فيها من النبط، غدت عاصمة لدولة قامت في شمالي الحجاز في القرن السادس قبل الميلاد، وشملت منطقة واسعة من بلاد الشام، عرفت بدولة الأنباط. وتقع البتراء اليوم، كمدينة أثرية، في وادي موسى جنوب غربي المملكة الأردنية، في موقع استراتيجي فريد، على سطح هضبة قاحلة، يصل ارتفاعها إلى ما يقارب ٢٠٠٠ قدم، وتطل على وادي عربة من جهة الغرب، وتحيط بها الجبال من سائر الجهات، بحيث يتعذر الدخول إليها، إلا من الممر الضيق المعروف بالسين، الذي يُظن بأنه لفظ نبطي متوارث<sup>(٩٦)</sup>. وقد حوّفه الناس عن كلمة السن في اللغة السبئية القديمة<sup>(٩٧)</sup>.

(٩٤) توبة التميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٩. الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٦٧ - ٢٦٩.

(٩٥) البتراء: لفظ يوناني، يعني «الرقيم» عند العرب أي الصخرة، وبلغ عند العربيتين.

عرفان محمد حقور: أسواق العرب، ص ٢٩. فليبي حتى وأخران: تاريخ العرب، ص ١٠٣.

(٩٦) عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١٠٣. عرفان محمد حقور: أسواق العرب، ص ٢٩.

(٩٧) لانكستر هارونغ: آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، المطبعة الوطنية، عمان ١٩٧٩، ص ١١٧.

ويبدو أن البتراء قد ازدهرت في القرن الرابع قبل الميلاد، وظلت زدها أربعين عاماً تشغل مكاناً مهماً على طريق القوافل ما بين اليمن والشام ومصر ولم تفقد مكانتها التجارية إلا بعد أن أخضعها الرومان الذين اتخذوا مدينة نصرى عاصمة للمقاطعة العربية<sup>(٩٨)</sup>. وقد حاول الآشوريون والفرس واليونان السيطرة عليها ولكنهم فشلوا، ولهذا سعى الإغريق بلاد الأنباط باسم «بلاد العرب الصخرية»، كما سميت عاصمتهم البتراء بالصخرة<sup>(٩٩)</sup>.

وتقوم حضارة الأنباط بشكل رئيس على حياة التجارة، ذلك أن عاصمتهم البتراء كانت محطة تجارية، ومركزاً لعدد من صناعات العطور والأواني، وسوقاً تجارية نشطة تباع ما ينتجه النساجون والتجارون والحذافون والزراعي، كأعلاف الحيوانات وسروجها وأحمتها وأكسيتها وخروجها، وكأكياس البضائع وأسلحة الحراس وغذاء التجار<sup>(١٠٠)</sup>. وكانت تندلق على هذه الشقوق السلع والبضائع من كل الجهات والأقاليم، وتجرى فيها أعمال البيع والشراء، وتقع فيها الضيقات التجارية، وتُعطى القروض، وتبادل العملات، وتلتقي القوافل التي تعبر بادية الشام ما بين غزة ونصرى، وما بين دمشق وأبله، وما بين اليمن والشام والعراق والخليج العربي. ومن الآثار التي اكتشفها المتنبون تبين أن نشاط الأنباط قد وصل إلى موانئ سوريا الشمالية، وإلى الإسكندرية، ورومس وملنوس وديلمس، وسلفوية، وإلى إيطاليا والصين وغيرها من المراكز التجارية في العالم القديم<sup>(١٠١)</sup>.

Strabo: The Geography of Strabo, Bk16, P353. Pliny: Natural history, Bk6, (٩٨) P287 and 477.

حتى وأخران: تاريخ العرب، ص ١٠٢.

(٩٩) عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١٠٢ - ١٠٣. الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٦٩.

G Bowersock: Roman Arabia, Harward University Press, Cambridge Mass 1953, P60-61

(١٠٠) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والحة النبوية، ص ٥٩.

Bowersock: op.cit, P86.

(١٠١) حرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٠٢. صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ص ٥٩ - ٥٠.

Philip Hammond: The Nabataean, their history culture and Archaeology, P66.

أما السلع التي تاجر بها الأنباط فهي: العطور والطيب البشري والشمسجات الحربية التي جلبوها من دمشق وغزة والصين، والأرجوان من صيدا وصور، والحناء من عسقلان، واللآلئ من الخليج العربي، والعزف من روما، فضلاً عن بعض المواد المحلية كزيت السمسم، ومصوغات الذهب والفضة، وصناعات الأواني الفخاري وغيرها<sup>(١٠٢)</sup>. وكانوا يحملون الطيب والمر والبخور والتوابل من اليمن وغيرها إلى مصر وشواطئ البحر المتوسط. كما يحملون إلى مصر على الخصوص القار لأجل التحنيط. ولم تكن تميز تجارة في أيامهم بين الشرق والغرب إلا على أيديهم، ويفرضون مكوساً على السلع الواردة إلى بلادهم أو الصادرة منها. وكانوا يقدّمون، في الوقت عينه، الحماية اللازمة للموافل التجارية التي تمر في أراضيهم، ولذا أنشأوا أيضاً خانات ومحطات للتجار، وقلاعاً في وادي عربة لتكون مراكز للحاميات النبطية<sup>(١٠٣)</sup>.

وكان للأنباط نفوذ خاص بهم، استخدموها في أسواقهم؟ ويروى أن أول من ضرب النقود من الأنباط كان الملك الحارث الثالث (٨٧ - ٦٢ قبل الميلاد) الذي اقتبس ذلك عن ملوك اليونان في أثناء حكمه لدمشق. وقد وجد بعضهم ديناراً عليه نقش يرمز إلى اتفاق الحارث وسكاريوس، وصورة جمل وشجرة عطرية<sup>(١٠٤)</sup>. كما وجدوا نقوداً تعود إلى أيام هذا الملك، عليها صورة رأس وصورة امرأة ترمز إلى النصر، وقد نقش وراءها اسم الملك الحارث باليونانية (Basileos Aretou) وأمامها لقبه: محب اليونان فيلهلين<sup>(١٠٥)</sup>، وهذالك نقود

(١٠٢) لالكسندر ماوندج: آثار الأردن، ص ١١٧. صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ص ٥٠.

(١٠٣) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٠٢. صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ص ٤٨.

(١٠٤) جرجي زيدان: المرجع السابق، ص ٩٩. صالح أحمد العلي: المرجع السابق، ص ٤٨. كان سكاريوس قائداً رومانياً حاول أن يمزج بلاء الأنباط، ولكنه عجز عن ذلك بسبب بعده الطريق وقلة الزاد، فرفض أن يرجع بمبلغ ٣٠٠ دينار، دفعها إليه الحارث الثالث. زيدان: المرجع السابق، ص ٩٩.

(١٠٥) زيدان: المرجع السابق، ص ١٠٣.

نرجع إلى أيام الملك عبادة الثاني ابن الحارث الثالث (٦٢ - ٤٧ قبل الميلاد). وإلى أيام مالك الأول ابن عبادة الثاني (٤٧ - ٣٠ قبل الميلاد)<sup>(١٠٦)</sup> كما وصلت إلينا من عهد الملك مالك الثاني ابن الحارث الرابع (٤٠ - ٧٥ ميلادية) مملات فضية وبرونزية نقش عليها صورته وصورة شقيقة زوجته التي كانت تنقش في آن واحد<sup>(١٠٧)</sup>.

وفي القرن الأول قبل الميلاد، بلغت البتراء قمة ازدهارها التجاري والاقتصادي، وقد ظلت مركزاً تجارياً بين الشرق والغرب، وبين الجنوب والشمال، حتى أعاد الرومان الطريق من القصير على البحر الأحمر، إلى قنط على النيل. وفي عام ١٠٦ ميلادية جرد عليها الأمبراطور الروماني تراخان، حملة عسكرية، قضى فيها على استقلالها. ومنذ ذلك الوقت أخذت البتراء تراجع تدريجياً، وتفقد دورها التجاري، حتى تخلصت عنه في نهاية المطاف إلى مدينتي بصرى وتدمر الفتيشيين<sup>(١٠٨)</sup>.

وتعد بصرى من أهم المدن النبطية وبخاصة في الفترة المناحرة من تاريخهم؛ وهي محطة تجارية، تقع في منطقة حوران جنوبي سوريا، وملقن للطرق التجارية البرية القادمة من شبه الجزيرة العربية عبر وادي السرحان، وسوقاً تجارياً كان يبيع فيه الحجازيون بضائعهم، وآخر محطة لتجار قريش في العهد البيزنطي، ومركزاً صناعياً لعدد من الصناعات، وخاصة صناعة العصور. ولذا أصبحت بصرى في العهد الروماني قاعدة للمقاطعة العربية<sup>(١٠٩)</sup>.

وكانت مدينة لويكي كوما (القرية البيضاء)، التي تقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ميناء الدولة النبطية الرئيس، وقد نالت شهرة واسعة حينذاك.

(١٠٦) المرجع نفسه، ص ١٠٤ - ١٠٥.

(١٠٧) كان من عادة الأنباط أن يزوروا أحوالهم، شأن العراة والبطانة عند العرب سالم. تاريخ الدولة العربية، ص ١١٠.

(١٠٨) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٧٦. جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٠١. جواد علي: المنهل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٢، ص ٤٩ - ٥٠.

(١٠٩) Piny. Natural history, Bk6, P287. Inan Browning: Palmyra. Chatto and Windos, London 1974, P14.



## ٤ - تدمير التجاري:

كانت التجارة بين الشرق والغرب في العالم القديم، تسير في طريقين الأول في البحر الأحمر إلى مصر والإسكندرية، والآخر من خليج العرب شرقاً إلى بلاد الشام فمصر غرباً، والتجارة البرية، كانت قبل الميلاد بعدد، تسير في طريق البتراء؛ قلماً سقطت في أوائل القرن الثاني الميلادي، تحولت إلى تدمر

ويبدو أن تدمر (بالميرا) قد ورثت بجدارة مكانة البتراء التجارية، بحيث انقلت إليها أسواق البيع والشراء، وتكدست فيها البضائع والأموال من ذهب وفضة وجواهر، ولا سيما لؤلؤ الخليج العربي وياقوت، وطوبى للبعث وعظورها.

وكان لموقع تدمر الجغرافي وللمياه النقية والمعدنية، أثر بالغ في تحويلها من قرية صغيرة صحراوية، ترنادها القوافل للاستراحة والتزود بالماء والغذاء، إلى مدينة كبيرة، عامرة بالخير والبحوحة والزخاء. وتقع تدمر التاريخية في الجهة الشمالية الشرقية من دمشق، وفي منتصف الطريق ما بين العاصمة السورية ونهر الفرات، وعلى مسافة ١٥٠ كيلومتراً من حمص<sup>(١١١)</sup>.

ويعتقد أن تدمر قد نشأت حول نبع ماء، كان يلجأ إليه المارة رعاة لعاشية من الأعراب الذين استقروا حوله مع مرور الوقت. وفي عهد تغلق بلاصر الأول، بدأت تدمر التي ساعدت الآشوريين في حروبهم ضد المصريين<sup>(١١٢)</sup>، تظهر كمحطة تجارية على طريق القوافل بين العراق والشام (لكن لم يبرز تألقها الاقتصادي وتطورها الحضاري، إلا بعد القرن الأول للميلاد، وخاصة في عهد ملكها أذينة بن حيوان بن وهب اللات، الذي قتله الرومان في عام ٢٥١ للميلاد. وفي عهد الملكة زنوبيا التي تولت الرعاية على عرض تدمر، إثر مقتل زوجها أذينة الثاني وابنه البكر في ظروف غامضة في

(١١١)

(١١٢)

Encyclopaedia Britannica - Vol 17, 1964, P161.

ibidem

وذكرها استرابو في معرض حديثه عن حملة ألبوس غالبيوس، بأنها ميناء رسول تجاري كانت ترسو فيه السفن التجارية، وبأنها منطلق للقوافل التجارية البرية إلى البتراء<sup>(١١٣)</sup>. وذكرها صاحب كتاب الطواف كسوق تجاري وميناء ترسو فيه السفن، وأن فيها قلعة محصنة وتقيم فيها فرقة عسكرية تقوم بجمع الضرائب التي كانت تفرض على التجار<sup>(١١٤)</sup>. ويبدو أن الباحثين قد اختلفوا في موضع هذا الميناء، إلا أن واحة العينونة، التي تعتبر صالحة للعيش ولتشقو المدن والحرافة، هي أقرب الاحتمالات لمكان وجوده؛ وهي أرض واسعة ولينة قادرة على استيعاب جيش الرومان الذي رابط فيها عدة أشهر، وتصل بالبتراء بواسطة طريق يركي يمر في وادي عفال. وقد قوت الاكتشافات الأثرية هذا الاحتمال، وخصوصاً عندما وجدت في واحة العينونة أواني فخارية نبطية ورومانية كثيرة، ووجدت أنقاض مباني ضخمة تعود إلى تلك الفترة<sup>(١١٥)</sup>.

وفي معرض حديثه عن حملة ألبوس غالبيوس، يشير استرابو إلى ميناء يقع إلى الجنوب من لويكي كوما، أبجر منه الجيش الروماني في طريق عودته إلى مصر<sup>(١١٦)</sup>. ويبدو أن هذا الميناء كان تابعاً لمنطقة إجرا أو مدينة إجرا التي هي مدينة الحجر (مدائن صالح) المعروفة والتي كانت جزءاً من دولة الأنباط. وقد ازدهر مرفأ إجرا في عهد الدولة اللحيانية، لأن الحجر كانت من مذهب الرئيسة<sup>(١١٧)</sup>. ويرى موسيل أن ميناء الموجة هو مكان إجرا حيث يتصل بالمدينة الداخلية عن طريق وادي الحمض<sup>(١١٨)</sup>.

Strabo: The Geography of Strabo, Bkt6, P357.

(١١٣)

De Ponglus of the Erythrean Sea, chapter 19, P29.

(١١٤)

(١١٥) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٥٣.

Sr Lawrence Kirwān: Where to look for the Ancient Port of Leuk Kome, Studies in the history of Arabia, kind Saud University Press 1984, P57.

(١١٦)

Strabo: The Geography of Strabo, Bkt6, P363.

(١١٧) تدمر مدينة الحجر عن أقرب نقطة لها على ساحل البحر الأحمر الشرقي حوالي ٦٠٠ ميل

نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٥٤.

Alio Musil: Norther Hejaz, American geographical Society, New York 1929, P299.

(١١٨)

حتمى عام ٢٦٦ ميلادية. ولعل ذلك كان بتدبير من روما التي خشيت على مصالحها السياسية والاقتصادية في بلاد الشرق (١١٨).

وفي تلك العهد استفاد التدمريون من موقع بلادهم على مفترق الطرق التجارية التي تربطها بسواحل بلاد الشام والبحر الأحمر والخليج العربي. فهناك طريق تربط تدمر بالبصرة، فعدن؛ وهناك طريق تربطها بسواحل المتوسط، وخاصة بغير غزة وإبلة؛ وهناك طريق تصلها بغير جرها الذي يقع على الخليج العربي، حيث كانت السفن القادمة من الهند تُفرغ بضائعها وسلعها، ثم تنزل القوافل التدمرية نقلها إلى مدينة دورا أو ربوبوس (الصالحية)، ومنها إلى دمشق، فطرابلس، فأنطاكية، وقد تصل عبر البر أو البحر إلى داسيا (رومانيا) وروما والغال (فرنسا) وإسبانيا. ومن هذا الميناء كانت تصل إلى أسواق تدمر المنسوجات الحريرية، والبخور والطيوب والجواهر واللآلئ من الهند والصين وجنوبي شبه الجزيرة العربية (١١٩). وهناك طريق البحر الأحمر الذي كان يهبط بمصر والإسكندرية، وكان هذا الطريق تحت سيطرة الأنباط الذين تخلوا عنه إلى تجار تدمر بعد سقوط دولتهم (١٢٠).

وفي القرنين الثاني والثالث الميلاديين، أقام التدمريون جالية لهم في مدينة فقط المصرية، تقوم بتسهيل أعمال التجارة في البحر الأحمر، وتنتج الاتصال بأسواق غربي شبه الجزيرة العربية التي كانت غنية بسلع ومنتجات أفريقية (١٢١). كما عقدوا معاهدات مع القبائل التي كانت تسكن على ضفاف الفرات، وأعطوا بعض شيوخها الهدايا والأموال لتأمين مرور القوافل بسلام (١٢٢).

Hen Seyrig: Les fils du Odainat dans les annales archéologiques de Syrie, (١١٨) T.XIII, Paris 1963, P.263-264.

حتى وهران: تاريخ العرب، ص ١١٣.

Encyclopedia Britannica, vol 17, P162.

Idem.

انظر خريطة الطرق البرية ومدن القوافل، وخريطة الموانئ العربية والأجنبية في ملاحق الكتاب. (١٢١) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣ ص ٧٦.

Paul Bovier-Lapierre: Précis de l'histoire d'Égypte, Le Cairo 1932, P398

(١٢٢) صالح أحمد علي: تاريخ العرب القديم والبعث النبوية، ص ٦١.

وعلى العموم فقد كانت تنوافد إلى تدمر القوافل محملة بالأحجار والبخور وقوارير الزيت والأواني الزجاجية والفضية والذهبية وتماتيل الحرير وغيرها من الشام. وبالمنسوجات الحريرية والقطنية والتركوار واللازورد والتوابل والأبتوس والتبيل والقبولاد والمعاج من الهند ومملابا والصين. والألبسة والمطرزات من فارس. والطيوب والبخور واللبان والصبغ وعود اللذ والتعير والذهب والجزع واليشب من شبه الجزيرة العربية. واللآلئ والياقوت من البحرين والعراق (١٢٣).

وكانت هذه الأصناف تأتيهم عن طريق البر؛ فضلاً عن الأصناف التي تأتيهم عن طريق البحر. وكان التدمريون يتفكرون هذه المحاصيل والمصنوعات إلى مصر والشام والعراق، وإلى بيزنطية وإيطاليا، وغيرهما من مدن ودول أوروبا. وقد قدر بليثيوس قيمة ما كان يُحمل إلى أوروبا ربحها من تلك السلع بما يساوي ثلاثة أرباع المليون من «الجنيهات» في العالم (١٢٤).

وكانت السلع تُحمل بين تدمر والشام على الإبل أو على مركبات تسير على طرق مرصوفة، وعليها محططات للمراحة، وقلاع للحماية. ولم يكن من جهة الفرات شيء من ذلك. وكانت تدمر تتقاضى ضرائب جمركية على مرور السلع بأراضيها، فحققت بذلك أرباحاً كبيرة، وثروات طائلة، تشهد بها الآثار الباقية في تدمر إلى الآن، والتي تشمل بيوتاً الهياكل، والأعمدة الفخمة. والقصور الفخمة، وأقواس النصر المرفوعة (١٢٥).

ومن الآثار التدمرية الباقية نقود على شكل عملة الإسكندرية عليها كتابة «صور». فهناك نقد من عهد زنبوبيا، على أحد وجهيه صورة رأسها وكشيتها، (حول الصورة اسم زنبوبيا بالأحرف اليونانية استيميازينوبيا)، وعلى الوجه الآخر

(١٢٣) عدنان البني: تدمر والتدمريون، نشر وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٨، ص ١١٧.

(١٢٤) جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص ١٢٣. صالح أحمد علي: تاريخ العرب القديم، ص ٩١.

(١٢٥) جرجي زيدان: المرجع السابق، ص ١٢٤. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٧٨.

Isaac Brownig: Palmyra, P15-17.



صورة أخرى. وهناك نقد آخر عليه صورة رأس وهب اللات، واسمه ولقبه (١١٩).

وكان معظم التدمريين يشاركون بالعملية التجارية، من نخار وشيوخ قبائل وحادي الإبل والخيل وعمال تفريغ وتخزين ونوزيع وأصحاب دكاكين وعبيد وصامسة (١٢٠). وعندما تصل القافلة، بقيادة زعيمها أو شيخها وبشيوخه، مع المحرمين الذين كانوا، في كثير من الأحيان، من التدمريين الذين خدموا في الجيش الروماني (١٢١)، والمبيد والأوراق التي تنوء بحملها الإبل، إلى قلب المدينة، تتحول الأسواق فيها إلى أعياد من أعيادها الخالدة. وإذا تعرضت القافلة إلى خطر معين، أو تأخرت عن موعد وصولها، سارع رجال المدينة إلى إنقاذها، وقد أنقذت القوافل مراراً، وكان أبرز المنقذين «عجيل» الذي نصبت له التماثيل في «الأغورا» باسم مجلس الشيوخ والشعب، وفي أمكنة أخرى باسم التماثيل التدمرية الأربع، تقديرًا لخدماته للتجار ولشجاعته النادرة. كما كثر في نقوشها القديمة ذكر «زعيم القافلة» و«زعيم السوق» باعتبارهما من زعماء المواطنين المرموقين (١٢٢).

#### ٥ - التجارة في شرقي شبه الجزيرة العربية:

استفاد سكان شرقي شبه الجزيرة العربية من حركة الرياح الموسمية، وراحوا يتنقلون، بسفنهم الشراعية التي كانت ملأى بالبضائع والسلع، غرباً، عبر المحيط الهندي، إلى حضرموت واليمن وسواحل أفريقيا الشرقية؛ أو شرقاً عبر الخليج العربي (البحر الأدنى) إلى شواطئ إيران وأفغانستان وخليج البنغال (مرفأ لوتال). وكانت السفن تُفرغ حمولتها في مرفأ جنوبي بلاد الرافدين، ثم تُحمل على ظهور الحيوانات لتُنقل برّاً في الطرق المؤدية، على طول نهر دجلة والفرات إلى المناطق الشمالية - الغربية في بلاد الأناضول وبلاد الشام وشواطئ البحر المتوسط الشرقية.

(١٢٦) حرجي زيدان: المرجع السابق، ص ١٢٤ - ١٢٥.

(١٢٧) عدنان الشبي: تدمر والتدمريون، ص ٧١.

(١٢٨) حواد علي: الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٧٨.

(١٢٩) عدنان الشبي: تدمر والتدمريون، ص ١٠٩. حتى وآخران: تاريخ العرب، ص ١١١.

وكان نخار دلمون (اليحيرين) يتنقلون منتوجات بلادهم من التمور، التي كانت لها شهرة خاصة في العالم القديم وتزرع أشجارها على شواطئ الإحساء وتغزو المجاورة، إلى الشرق والغرب، كما كانوا ينقلون المواد الخام، التي كانت تُستخرج من منطقة ماحان المجاورة، مثل: الأخشاب وفلزات النحاس والحجارة الصالحة لصنع التماثيل والبناء، إلى بلاد الرافدين التي كانت تعترف بها وتلطف للحصول عليها.

ويبدو أن نخار دلمون قد لعبوا أيضاً دور وسطاء التجارة، حيث كانوا يتجرون بمنتجات البلدان المجاورة لهم؛ وتتجمع في مستودعاتهم سلع وادي السند مثل: التماثيل والأواني الحجرية الخضراء والرمادية المعقوفة، والذهب والعاج وخشب الساج، والأحجار الكريمة ونصف الكريمة: كالحقيق واللآلئ والبرجد والرخام والستياتيت (الحجر الصابوني) واللؤلؤ. وهذا يدل على أن دلمون قامت في القديم بدور سوق رئيسة تبودلت فيها السلع الدولية التي نُقلت إلى بلدان غربي آسيا وشرقي أفريقيا وغيرها على السفن الدلمونية (١٣٠).

ولم يقتصر نخار شرقي شبه الجزيرة على سلوك الطرق المائية، بل سلكوا أيضاً الطرق البرية، التي تتجه شرقاً عبر إيران وبامبور إلى بلوخستان ومدن وادي السند، والتي تتجه غرباً عبر شبه الجزيرة العربية وخطوط مواصلاتها المعتادة.

وكانت مدينة الجوهاء، التي هي ملتقى للقوافل التجارية وخاصة القوافل الآتية من جنوبي شبه الجزيرة، تستقبل سلع الطيب والمر والبخور الآتية بحراً ثم تعيد تصديرها عبر طريق حائل وتيماء إلى موانئ البحر المتوسط ومصر، أو عبر الطريق البري الذي يصل بلاد الرافدين ببلاد الشام. وكانت قوافل الجوهاء تنصل على محاصيل بلاد الشام من البشاء أو بصري أو غزّة في فلسطين. كما كانت تصل إلى حضرموت جنوباً في مدة أقصاها أربعين يوماً وتعود محملة

(١٣٠) الدليل الأثري والمضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٥ و ١٣١.

بستراحات أفريقيا والهند. وكانت الفضة واللبان والبخور من بين السلع الرئيسة التي تاجرت بها الحرهه وحقت من ورائها أرباحاً طائلة.

ويعتقد أن مدينة الحرهه القديمة تقع على بعد ٢٦ كيلومتراً شمالي العقير، وعلى بعد ٢٣ ميلاً من مياه الخليج. وقد تميزت بفناهاه. وكتب عنها عدد من الكتاب، فأشار الكاتب اليوناني يوليوس الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد إلى حملة بحرية سيرها الملك السلوقي أنطياكس الثالث سنة ٢٠٥ قبل الميلاد. إلا أن سكان الحرهه كانوا من الثراء بحيث دفعوا مبالغ من المال لدرء الخطر عن بلادهم، وفقد الكاتب الروماني استرابو الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد ثروة الجرمانيين بثروة السبيين. ووصف الحرهه بأنها محطة لاستداع التوابل والعطور من جنوبي شبه الجزيرة العربية وبلغ أخرى من أفريقيا والهند. بينما وصف الكاتب الروماني بلينيوس الذي عاش في القرن الأول الميلادي الحرهه بأنها مدينة يبلغ محيطها خمسة أميال وتتمتع فيها أبراج مينة من كتل الملح<sup>(١٣١)</sup>.

وتروي المصادر أن مكان - وهي بلاد عُمان اليوم - كانت ترسل سفناً ضخمة إلى بلاد فارس وبلاد الرافدين، محملة بالثعالب، وبأخشاب السامبية والأبنوس والصندل، وبالدهائم الخشبية للسقف والقرون (الجبال). وتصل إلى أقاليم شبه الجزيرة الأخرى السفن التي كانت تربط ألواحها بعضها إلى بعض، واللائي، والأقمشة والأرجوان والذهب والرقيق والتبذ والتعمر<sup>(١٣٢)</sup>.

ويوجد على الساحل الشرقي للخليج العربي عدد من الموانئ التي كانت تخدم بعض مراكز الحضارة، وهي ذات شهرة عالمية بالتجارة البحرية منذ الألف الثالث قبل الميلاد. وقد ذكر كتاب العصر الهلنستي والروماني الكثير من الموانئ الصغيرة التي كانت تتعامل تجارياً مع شمالي الخليج العربي، وكان بلينيوس أن كثيراً من تجار بلاده يرونها<sup>(١٣٣)</sup>. وكانت جزيرة تاروت التي تقع في

(١٣١) المرجع نفسه ص ١٥ - ١٦ - ٢٩٤ - ٢٩٥.

(١٣٢) المرجع نفسه ص ١٦ - ١٧.

(١٣٣) *Pliny Natural history. Bk6, P451. B. Dac: Monuments of Southern Arabia, P23.*

للخليج وتتصل بالقطيف بحسر طبيعي طوله ٤ كيلومترات أهم هذه الموانئ التي اكتشف فيها موقعان مهمان من الفترة الهلنستية هما الربيعة وفريق الأخرى. وقد تم العثور فيها على كميات وفيرة من الفخار المزجج ذي الطابع الهلنستي، وعلى كسر أواني من الحجر الصابوني المنقوشة، وعلى أحجار مدائن منقوش عليها كتابات يونانية، جنباً إلى جنب مع آثار تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد. كما اكتشف بعض نقوش جنوبي شبه الجزيرة العربية، مما يشير إلى اتصالات تاروت باليمن وحضرموت وجوازهم. ولذلك فإن الاتصالات التجارية التي عزاها الكتاب اليونان والرومان القدامى إلى ميناء الحرهه مع جنوبي شبه الجزيرة العربية وأفريقيا والهند يمكن أيضاً أن تنسب إلى تاروت<sup>(١٣٤)</sup>. ومن أهمها أيضاً جزيرة فيلكا في الكويت التي أطلق عليها (عريق اسم إيكاروس)، والتي لعبت دوراً مهماً في التجارة الدولية في الأزمنة القديمة. وذلك يعود إلى موقعها الجغرافي من جهة، ولقربها من بلاد الرافدين وشرقي شبه الجزيرة والبحرين وأم النار (أبو ظبي) من جهة أخرى. وكان الاقتصاد في جزيرة فيلكا يعتمد على المنتجات البحرية، يستدل على ذلك من نيات صنابير الصيد ودوروس السهام النحاسية وأغالي الشباك البحرية التي عثر عليها. كما يستدل من الأدوات الأثرية التي صنعت خارج شرقي شبه الجزيرة العربية، والتي عثر عليها في جزيرة فيلكا وأودعت في متحف الكويت الوطني، على أن الإنتاج الاقتصادي الذي يزيد عن متطلبات المعيشة اليومية قد جاء في هذه الأزمنة من التجارة، واستمر كذلك حتى القرن الثاني الميلادي<sup>(١٣٥)</sup>.

وتعد تاج من مراكز شرقي شبه الجزيرة التجارية، وهي تقع شمال غربي داحات القطيف، وتبعد حوالي ٩٥ كيلومتراً عن ميناء الجبيل إلى الداخل، حوالي ١٥٠ كيلومتراً عن مدينة الظهران. ويعتقد البعض أن تاريخ هذه المدينة يعود إلى العصر الهلنستي الذي ازدهرت فيه ازدهاراً كاملاً، وذلك بفضل موقعها الجغرافي حيث يمر بها ثلاثة طرق تجارية: يُعرف الأول بالدرب

(١٣٤) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

(١٣٥) المرجع نفسه، ص ١٣٣.



الكنههوري وهو طريق القوافل القديم الذي كانت تعبره التجارة من الشرق وجنوب غربي شبه الجزيرة مورداً بتجدد. ويسير الثاني جنوباً نحو واحة المريمية ومنها إلى سواحل عمان فجنوبي شبه الجزيرة. وينطلق الثالث شمالاً نحو بلاد ما بين النهرين<sup>(١٣٦)</sup>.

وتدل الكميات الكبيرة من القطع الفخارية التي اكتشفت في تاج ونمرود صناعتها إلى مناطق مختلفة، وقطع النفود المكتشفة فيها أيضاً والتي كانت متداولة في داخل شبه الجزيرة وخارجها كإيران وآسيا الصغرى، أن هذه المدينة كانت مركزاً حضارياً لما أطلق عليه بالحضارة الحسانية - نسبة لمنطقة الاحساء. وسوقاً تجارياً لعدد من التجارات، وخصوصاً تجارة الملح نتيجة وقوع المدينة على سبحة كبيرة من الملح<sup>(١٣٧)</sup>.

ويمكن القول، استناداً إلى الشواهد الأثرية مثل: حصون تاج ومسكنها وطريقة بنائها وفخارها ولفاها المتنوعة، أن هذه المدينة كانت مدينة راقية ومنطوية. وتدل الأدوات المكتشفة أن معظمها كان محلي الصنع، وأن سكانها مارسوا مختلف المهن وفي مقدمتها التجارة. ويمكن القول أيضاً أن تاج كانت من المدن اليرئة المهمة في شرقي شبه الجزيرة العربية. وتؤكد الشواهد الأثرية أيضاً على قيام صلات بينها وبين مدن شرقي وشمالية ووسط شبه الجزيرة العربية، وبين المراكز الجنوبية، ويعتقد أنه يفضل هذه العلاقات برزت منطقة الجوهراء ونهضت تاج كمركز تجاري مميز<sup>(١٣٨)</sup>.

وكانت مدينتا القطيف والهفوف من المحطات التجارية المهمة في شرقي شبه الجزيرة العربية. وذلك يعود إلى علاقتها الوثيقة بالمواصلات البحرية في الخليج العربي، وإلى وقوعهما على طرق التجارة البرية المتجهة جنوباً نحو عمان، والمتجهة غرباً نحو وسط شبه الجزيرة، وشمالاً نحو تدمر. وتشير

(١٣٦) نورة النعيم: الوصح الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٢٦. الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٩٢.

(١٣٧) نورة النعيم: المرجع السابق، ص ٢٢٧. الدليل الأثري والحضاري، ص ٢٩٣.

(١٣٨) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٩٤.

بعض المصادر الكلاسيكية إلى أن هاتين المدينتين كانتا معروفتين في العصرين الإيلخسي والروماني<sup>(١٣٩)</sup>. ويبدو أن ساحل القطيف في شرقي شبه الجزيرة قد دمر في عصور ما قبل الإسلام عن طريق تجارة الرخام والحجر اللازوردية والنحاس كمواد خام أو مصنعة في إطار العلاقات المحلية والخارجية بعيدة المدى<sup>(١٤٠)</sup>.

ولم يخف دور العرب في تجارة شرقي شبه الجزيرة إلا بعد أن تافس الأغريق الذين قدموا إلى الشرق مع حملة الإسكندر المقدوني، وأنسوا أنفسهم بعض المراكز التجارية مثل جزيرة قيلكا التي أطلق عليها الإغريق اسم بكاروس أثناء الخليج العربي في أعمال الملاحة والتجارة هناك. وبعد أن انهم أيضاً تجار الفرس في الأسواق المحلية والعالمية، وفي ذلك يقول المؤرخ هرودوتوس: "إن الفرس غدوا في تلك الفترة سادة أسواق الشرق"<sup>(١٤١)</sup>.

#### ١- التجارة في شمال - شرقي بلاد العرب:

تحتل منطقة شمال شرقي بلاد العرب من شط العرب جنوباً حتى الجزيرة الفراتية شمالاً، وهي تضم أقاليم: شط العرب، والأراضي التي تقع بين نهري دجلة والفرات وعلى جوانبهما، والجزيرة الفراتية. ويبدو أن سكان هذه المنطقة قد اكتشفوا منذ القدم البحر الأدنى (الخليج العربي)<sup>(١٤٢)</sup> الذي يعد المتفذ لوحيد الذي يربط بلادهم بالعالم الخارجي، واتخذوه منذ الألف الثالث قبل الميلاد طريقاً بحرياً تجارياً حيوياً، ونشطوا في أعمال التجارة مع موطن

(١٣٩) Pliny: Natural history, Bk6, P449, Polybius: Historia, B13, P425.

(١٤٠) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٥٠.

(١٤١) الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ١٦.

(١٤٢) إن التنقيبات الأثرية والبحوث في قاع الخليج تثبت أن الخليج كان منخفضاً جداً لا تصل به إلا مياه دجلة والفرات. ورواقهما لتصب في المحيط الهندي منذ ذلك، وإن هذا المنخفض كان في أواخر العصور الجليدية يتمتع بمتاح معتدل. وقد تم استلزامه بالمال بين عامي ١٤٠٠٠ و ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

والسواقي، وخصوصاً مع بلاد عُمان التي كانت مصدراً لمعدن النحاس. ومن  
التصوص الأثرية المكتشفة في جنوبي العراق نص من عهد الحاكم أورنانشة أحد  
ملوك سلالة لكش يعود تاريخه إلى حوالي عام ٢١٥٠ قبل الميلاد، يذكر أن  
سفن دلمون جلبت الخشب من البلاد الأجنبية ورسّت في ميناء أور أقدم ميناء  
على الخليج العربي. فكانت السفن الدلمونية تحمل مواد: النحاس والأخشاب  
والتمور الدلمونية الفاخرة، وتعود محتملة بمحاصيل بلاد الرافدين من الفصح  
والشعير والزيت والمنسوجات، وخشب الأرز والأواني الفضية. وفي مقدمة  
شريعة الملك أورنامو، الذي قضى على معارضييه ووعد الأمن وسهر على  
سلامة التجار في أسفارهم والمحافظة على حيابهم، وردت إشارة تُفيد أن  
العلاقات التجارية في تلك الفترة كانت ذات طابع ودي وتقوم على أسس تبادل  
المصالح الاقتصادية. وتشير الوثائق السومرية الكتابية الأخرى المكتشفة في  
مدينة أور أن التجار والملاحين كانوا يدفعون ضريبة العشر على أرباحهم إلى  
آلهة المعابد الخاضعة بهم في بلاد الرافدين<sup>(١١٢)</sup>.

وفي عهد الدولة الأكادية حاول سرجون وخلفاؤه السيطرة على طرق  
التجارة العالمية ومصادر المواد الأولية. وفي ذلك يقول سرجون في نص وثائقي  
مكتوب، يعود تاريخه إلى عام ٢٣٥٠ قبل الميلاد، أن السفن جاءت محملة  
بالبضائع من دلمون ومكان وميلوخاورست في ميناء عاصمته «أكاد» أو «أكدا».  
وفي نص آخر يخبرنا حفيده «ترام سين» أنه تمكن في إحدى حملاته العسكرية  
من الحصول على حجر الديورابت من مكان وميلوخا، وجلبه إلى مدينته أكد.  
وفي عهد الدولة البابلية الأولى، وتحديدأ في عهد الملك «سامسابلدنا»،  
استمرت العلاقات التجارية السلمية بين سكان بلاد الرافدين ومراكز الجوار في  
الخليج العربي وغيره. كما استمرت ضريبة العشر على أرباح التجار تُدفع إلى  
عبد الآلهة ننجال. أما في العهد الآشوري فقد توسعت العلاقات التجارية نحو  
مناطق جديدة، وخاصة إلى بلاد الأناضول، وكانت كانيش (كول تيه) المركز  
التجاري الرئيس الذي ترتبط به مراكز تجارية أخرى. وقد ذكرت الوثائق

١١١٣٩ الخليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٣٩٦ - ٤٠٠.

سارية تعد مراكز تجارية وأكثر من عشرة فروع لها صيرة ذات مستقرة في  
منطقة الأناضول. وكانت آشور تصدر إلى هذه المراكز المسروقات التي ترواها  
والنقل وحالات الرصاص، وتعود هذه الفضة بشكل رئيس كم الذهب.

ومن التصوص المكتشفة في منطقة حديثة، والتي تعود إلى العهد البابلي  
القديم، نص مؤرخ في حوالي عام ١٥٠ قبل الميلاد، يذكر أن الحاكم  
لقد سمع عند الظهيرة نداء القوافل الآتية من سبأ ونيباد، والتي جاءت من  
بين يده ولم تتعب به ولم يأت رسالها إليه. بل العادت طريقها بالقرب من  
من سبأ، وبانت سيرها إلى مدينة ختلانم<sup>(١١٣)</sup>.

وكانت العلاقات التجارية بين منطقة شمال شرقي بلاد العرب وبلاد  
الفرات أيضاً غير خالية من حيوية ما يري التي تقع بالقرب من الحدود العراقية - السورية.  
ولم تكن تسيطر على طريق القوافل الذي يربط الخليج العربي بسوريا وساحل  
لبنان المتوسط، والتي كانت لها صلات بحرية مع حوالي فلسطين، ويبدو أن  
كانت تسيطر القنصل التي تجلب من عيلام إلى حلب وقطنة وقرقيس في  
البحر الأبيض المتوسط. غير أن سكان العراق القديم لم يكتبوا بذلك، بل  
توجد شواهد وأدلة على علاقات تجارية مع مناطق شرق وشمال عربي إلهة وذلك  
لنموذج القنصل التي تحتفظ بالنحاس. كما اكتشفوا علاقات تجارية مع بلاد  
عبر الس - والأندلس والصين - ويوصلونهم تجارتهم غرباً إلى مصر وإلى  
جزر قبرص واليونان<sup>(١١٤)</sup>.

وبلاد حضرموت التي الإسلام نشأت في منطقة شمال شرقي بلاد العرب  
عند مراكز تجارية بحرية رئيسية. لعبت دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية  
للمنطقة العربية بأكملها.

جاء النص الذي وضع على رأس الخليج العربي عند الفناء في بلاد العرب وهو  
فيما يلي كانت ميناء بحرية. ويؤكد أن الإمبراطور المقدوني هو الذي أضاف

١١١٣٨ الخليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٣٩٦ - ٤٠٠.



خلال حملته العسكرية على بلاد الشرق ثم أعاد السلوقيون بنائها وذلك  
لأنهم انجرفوا في تحارثها، ولكنها لم تنجح إلا في فترة متأخرة<sup>(١٤١)</sup>. فهي  
هذه الفترة تحولت خاركس إلى سوق تجاري للبضائع الشرقية القادمة برّاً عبر  
إيران، والسلع القادمة من أسواق البحر المتوسط. وأنشأت علاقات تجارية  
واسعة مع الصين وتدمر ومصر<sup>(١٤٢)</sup>.

والأهم، وهي ميناء قديم يعود تاريخها إلى عهدي البابليين والآشوريين،  
وتقع على رأس الخليج العربي، وتشكل جزءاً من أرض بيت يكن. وقد فقدت  
أهميتها التجارية في العهد السلوقي<sup>(١٤٣)</sup> بسبب ظهور ميناء طريدون الذي يعتقد  
الحصن بأنه ميناء الأيكة نفسه. ويبدو أن موقع الأيكة قد هُنا لها الفرصة لأن  
تأخذ دوراً مميّزاً في التجارة العربية، وظلت من الموانئ المهمة في رأس  
الخليج العربي حتى الفتح الإسلامي<sup>(١٤٤)</sup> حيث كانت مرفأ السفن من الصين وما  
دونها من بلاد كالهنة وأفغانستان وإيران<sup>(١٤٥)</sup>.

وميسان التي أنشئت دولة لها في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد،  
وامتدت ثلاثة قرون، وهيمنت على التجارة المحلية والخارجية، واتخذت  
قاعدة لها في كرخ ميسان في الأطراف الجنوبية الشرقية من القرنة الحالية، لذا  
تذكر في بعض المصادر باسم دولة الكرخ. وكان موقع ميسان على رأس  
الخليج العربي، وقد ساعد مرور نهر دجلة وشط العرب في أراضيها، على أن  
يعاوس الأهالي حياة التجارة والملاحة البحرية، وعلى إقامة علاقات تجارية مع  
مراكز الخليج الحضارية، ومع بلاد شرق أفريقيا، والهند والصين وبلاد الشرق

Pany. Natural history, Bk6, P443.

Innes J. Miller: The spice trade of the Roman Empire, the Clarendon Press, Oxford 1969, P135.

W. Schöff: The Periplus of the Erythraean Sea, Oriental Book reprint, 5th Edition, New Delhi 1954, P149.

The Periplus of the Erythraean Sea, chapter 35, P36.

دولة الصين الوسيط الاقتصادي في الجزيرة العربية... من ٢٥٩ - ٢٦٠.

الطريق: تاريخ الوسط والحدود، الجزء الثالث، ص ٥٩١.

الأقصى. فكانت السمن تصل إلى شط العرب، ومنه إلى نهر دجلة الذي كان  
مناخاً لسير السفن إلى الحداثن، ومنها إلى أمالي نهري دجلة والفرات  
وللوصول إلى موانئ البحر المتوسط انطلق تجار ميسان من الخليج العربي عبر  
بلاد العراق إلى آسيا الصغرى أو بلاد الشام فأوروبا. ولتأمين سلامة القوافل  
التجارية احتضنت دولة ميسان بتحصين الطرق ورصفها، وتنشيد المنارات لإرشاد  
القوافل، وبإقامة الحمايات في بعض المواضع لتأمين سلامة التجار والمسافرين.  
وبذلك يكون أمالي ميسان قد أسهموا في التجارة على نطاق واسع، ووطدوا  
علاقاتهم مع جرها في البحرين، وتدمر في بادية الشام، والموانئ الشامية في  
البحر المتوسط. أمّا السلع التي تاجر بها هؤلاء فكانت المطور والقوافل وبعض  
الأحجار الكريمة والعاج وأنواع من الأخشاب الصلبة والحرير<sup>(١٤٦)</sup>.

وكذلك الحيرة التي تقع بالقرب من مدينة بابل القديمة، وعلى بعد ثلاثة  
أميال جنوباً من الكوفة، وفي المنطقة الخصبة الممتدة إلى العرب من نهر  
الفرات. وقد اتخذها ملوك المناذرة عاصمة لهم في النصف الثاني من القرن  
الثالث الميلادي، وتحديداً في عهد الملك عمرو بن عدي ابن أخت الملك  
جديعة الأبرش الذي عاش في أواخر عهد الدولة الفرسية وشهد انحلالها  
رسقوطها، والذي قُتل غيلة على يد ملكة عربية تدعى الرباه<sup>(١٤٧)</sup>. وذلك  
لأهمية المدينة من الناحيتين العسكرية والتجارية، حيث كانت تتحكم في الطريق  
التجاري بين الصحراء وطيسفون، وفي الطريق النهري العار في نهر الفرات.  
وعلى الرغم من أن الحيرة لم تبلغ في مجال التجارة ما بلغته تدمر والبتراء، إلا  
أن أهلها كانوا يجوبون الأقطار يعلمون الناس القراءة والكتابة، ويتاجرون  
ببغداد القوافل ويعقدون الصفقات التجارية. وكان ملك الحيرة الكبير  
التمعان بن المنذر (٥٨٣ - ٦٠٥ ميلادية) يبعث القوافل إلى أسواق شبه الجزيرة

(١٤٦) صالح أحمد العلمي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٦٤ - ٦٧.

(١٤٧) من المحتمل أن تكون الرباه المقصودة هنا هي ملكة تدمر المشهورة. وإن كانت المصادر  
العربية لا تنص على ذلك صراحة. ولكنها تنسج حول مقفله قصصاً وأساطير مختلفة  
المصعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٩٠ وما بعدها، المجلد الثاني: جميع الأملاك، ج ١،  
ص ٢٣٤. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٣، ص ٩٨ - ١٠١.

العربية، وخاصة إلى سوق عكاظ، ففي كل عام كان هذا الملك يبعث قافلة إلى سوق عكاظ، تبيع السلع وتشتري بثمنها: الفضة والبرود والأدم وعطورات اليمن وغيرها<sup>(١٠٣)</sup>. ويذكر الأصمعي أنه كان يقام في الحيرة سوق يجتمع إليه الناس كل سنة<sup>(١٠٤)</sup>.

وكان ملوك الحيرة يلقون حماية قوافل التجارة الفارسية لدى مرورها في أراضي بلاد العرب، مقابل جعل كبير يتقاضونه من الفرس. ولضمان هذه الحماية عقد هؤلاء الملوك اتفاقات أمان مع عدد من أقوى القبائل وصاداتها التي تميز القوافل عبر أراضيهم، كانت تتضمن تعهدات بالمحافظة عليها، ضماناً ورياءً. وكان الملك يحاذر إغضب حراس القافلة، أو سادات القبائل التي ارتبط معهم بعهود، خوفاً من أن تتعرض القافلة للنهب والسطو في أماكن خارج حدوده<sup>(١٠٥)</sup>. وعلى الرغم من ذلك فقد تعرضت بعض قوافل التبعان إلى السرقة من بعض حراسها<sup>(١٠٦)</sup>.

ومن هنا خلدنا التي تقع في ناحية الكرابلة التابعة لقضاء القائم بمحافظة الأسار، وتبعد حوالي ٤٠٠ كيلومتر عن بغداد لجهة الغرب. وكانت هذه المدينة محطة انطلاق ملوك آشور وبابل، نظراً لموقعها الجغرافي المتميز، ولكونها مركزاً تجارياً نشطاً، ومثلثاً للطرق التجارية التي تصلها ببلاد الشام وشمال أفريقيا والأناضول وبلاد الرافدين حتى الخليج العربي جنوباً، ويبدو أن تجار خلدنا كانوا يسلمون السلع من التجار على اختلاف جنسياتهم وألوانهم، ثم يقومون بإعادة تصديرها إلى المناطق الأخرى. وقد استثمرت خلدنا مزدهرة، وتتولى هذه المهمة حتى عهد الملكة الرباء في تدمر<sup>(١٠٧)</sup>.

(١٠٣) الفلاح - الساب الأثرى، ص ١٠٠، ابن حبيب: المحرر، ص ٢٩٥. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٩.

(١٠٤) أبو فرج الأصبهاني: الأعيان، ج ١٦، ص ٩٥. دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى اللغة العربية محمد ثابت السدي وأخرون، المجلد الثاني عشر، ص ٣٨٤.

(١٠٥) حرثان محمد بن عمرو: أسواق العرب، ص ٢٠.

(١٠٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٩٠ - ٥٩٢.

(١٠٧) الكامل الأثرى - الحضاري لمنطقة الخليج العربي، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.

وأيضاً الحضر التي تقع في بادية الجزيرة بين دجلة والفرات، وعلى بعد سبعين كيلومتراً جنوب غربي الموصل، وثلاثين كيلومتراً غربي الشرافة لآشور القديمة). وتدل النقوش المكتشفة أن الحضر التي أُنشئت في زمن موغل في القدم وأُنست دولة لها ازدهرت وتطورت منذ القرن الأول الميلادي، واتخذ ملوكها القاباً كان من بينها «ملك العرب». ومنعت بلادهم دار العرب منابر باباء، وأطلق المؤرخ الروماني ديوكاسيدي على دولتهم اسم «دولة العرب».

ومما ساعد على ازدهار الحضر اشتغال أهلها بالتجارة ونقل البضائع بين المراكز الحضرية، وبخاصة نقل منتوجات الهند وجنوبي آسيا إلى بلاد البحر المتوسط وأوروبا. وكان تجار الحضر يفضلون سلوك الطريق الشرقي الحار بالعراق، والذي يمتد إلى أواسطه، ثم يتفرع إلى مغلذين: سبر إحداهما موازياً لنهر الفرات حتى أعاليه، أو ينحرف غرباً إلى تدمر ببلاد الشام. ويسلك الآخر وادي دجلة أو ينحرف إلى الحضر، ومنها إلى سنجار، ثم إلى نصيبين. وينقل هذا الفرع السلع إلى المناطق الواقعة في شمالي العراق وشمالي آسيا الصغرى، حيث كانت دولة أرمينيا المزدهرة تقبل على شراء محاصيل المناطق الاستوائية ببلاد الهند والشرق الأقصى: كالنوابل والأفاويه والأخشاب والأعجار الكريمة والحريز، وتصدر في مقابل ذلك النحاس والمنسوجات الصوفية وبعض المحاصيل النباتية<sup>(١٠٨)</sup>.

وكذلك الرها التي تقع في مكان متوسط من الجزيرة الفراتية<sup>(١٠٩)</sup> في شمالي العراق، وتتميز بها القوافل التجارية الموجهة إلى آسيا الصغرى وبلاد اليونان. وفي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد، استغل سكان الرها ضعف القوى التي كانت تحكم بلاد الرافدين، وأعلنوا استقلالهم، وأسسوا دولة لهم عُرفت في التاريخ باسم «دولة الأباجرة» التي بسطت نفوذها على الأراضي المجاورة، ووصلت إلى نهر الفرات غرباً ونهر دجلة شرقاً.

(١٠٨) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٢٠ - ٢٥.

(١٠٩) الجزيرة الفراتية هي منطقة واسعة في شمالي العراق. يحدّها دجلة شرقاً والفرات غرباً. ويخترق أطرافها الغربية نهر الخليج والخابور. وتصلها عن الأناضول جبال طوروس.



والظاهر أن ملوك الرها قد أقاموا علاقات ودية مع دولة ميسان، ومع  
إمبراطورية الرومان الذين قدموا إلى المشرق واستولوا على آسيا الصغرى وبلاد  
الشام، وذلك لتحاشي خطرهم، ولتأمين سير القوافل على الطرق التجارية التي  
تمر في أراضيهم. وقد أعجب الرومان بموقفهم هذا ويعتقدون بلادهم، فعملوا  
على تعزيز علاقاتهم بالأباجرة، وأغدقوا الألقاب على ملوكهم الذين ظلوا  
محافظين على استقلالهم واستقرار الحياة في بلادهم حتى دخل الساسانيون  
العراق. واحتلوا مدنه وقراها، ومنها مدينة الرها التي أزالوا دولتها عام ٢٤٢  
ميلادية<sup>(١٦٠)</sup>.

وكان للمصانع مكانة متميزة في الرها، فهم يذكرون في الوثائق بعد الملك  
والقادة والجوهار. كما كان للتجارة دور كبير في تعزيز مكانتها والنماء ثروتها.  
ولمذ الأقمشة الحريرية أبرز السلع التي تاجر بها هؤلاء بسبب إقبال الرومان على  
شراؤها. وعلى الرغم من ارتفاع أسعار الحرير في الأسواق فإن تجارتها قد  
ازدهرت بشكل ملحوظ في الرها، وإن الدولة قد جنت أرباحاً طائلة عن طريق  
المكوس التي فرضتها على التجار، والتي وصل مقدارها إلى الثمن.

غير أن احتلال الفرس للرها لم يدم طويلاً، ذلك أن الرومان قد استعادوا  
هذه المدينة، وجعلوها قاعدة عسكرية لهم، وعاصمة للمنطقة التي كانت في  
حوزتهم هناك. ولما كان موقع الرها على حدود الدولة الرومانية فقد عززها  
ذلك إلى غزوات متتالية من الفرس، مما أضرب بها وبشجارتها، وخاصة تجارة  
الحرير التي تناقصت أيضاً بسبب تحول طريق التجارة غرباً إلى البحر الأحمر،  
وقيام الرومان بتربية دود القز وإنتاج الحرير، وإنشاء المصانع في القسطنطينية  
لحياكته<sup>(١٦١)</sup>.

ونتيجة لذلك تحول عدد كبير من التجار إلى أعمال أخرى، فانضم  
بعضهم إلى الحرس والجيش، ومارس بعضهم الآخر الكتابة في إدارات الدولة.  
ويعتقد أن تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في بلاد الرها قد استمر حتى

(١٦٠) صالح أحمد العلي - تاريخ العرب القديم... ص ٨١ - ٨٣.

(١٦١) المرجع نفسه، ص ٨٢ - ٨٣.

تقدم المسلمون وضربوا بلاد الشام وكافة بلاد الجزيرة بما فيها الرها إلى دولتهم  
الفاطمية، وعثروها وأعادوا الأمان والأزدهار إلى ربوعها<sup>(١٦٢)</sup>.

## ثانياً: الأسواق وأنظمتها:

### ١- الأسواق:

تحولت معظم المدن العربية في عصور ما قبل الإسلام، وخصوصاً المدن  
التي تقع على طرق التجارة البرية والبحرية، إلى محطات للقوافل والمسافرين،  
وبلى أسواق للبيع والشراء. بيد أن هذه الأسواق كانت تُقام في الأوقات التي  
تصل فيها القوافل التجارية إلى تلك المحطات، ويتوجه إليها أبناء البلاد العربية  
وغير العربية، من تجار ومستهلكين وأصحاب مصالح، فيحدث بين الجميع  
تبادل في عروض التجارة والصناعة والزراعة.

ولا ريب أن الاختلاف في أنواع المحاصيل والغلات قد ساعد على نشأة  
هذه الأسواق وتوسعها. ذلك أنه كان لكل قطر من بلاد العرب شهرة بما يصنع  
من مناع، أو بما ينتج من الغلات. فالبحر يكثر وجوده في الجنوب ولا سيما  
في ظفار، والسيوف والبرود تُصنع في اليمن، والجلود تُدبغ في الطائف، ففيها  
كانت الأثياب (الجلود قبل دبغها) الطائفية المعروفة تُدبغ وتُلقن رُززال ما فيها من  
رطوبة وتبن، ثم تُصدَّر إلى الحبشة وغيرها، والتمور الطائفية النادرة تأتي من  
فجر والبحرين، والزيت والأعشاب والزبيب والخمر والمنسوجات الحريرية كلها  
تُنتج في بلاد الشام، والمعادن تُصنع في نجران، والخمور تُعصر في بصرى،  
والعطور تُقطَّر في عدن واليَمَامَة وهكذا...

وكانت المناطق الزراعية أسواقاً للمحاصيل الزراعية، يرتادها إلى جانب  
سكانها سكان القرى المجاورة، كما يرتادها أهل البادية لبيع منتوجاتهم من  
الأصواف والأجبان والألبان والسمن والأغنام والجمال... ولشراء ما يحتاجون  
إليه من حبوب وتمور وأدوات...<sup>(١٦٣)</sup>

(١٦٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج ٤، ص ٥٢ - ٥٥. العلي: تاريخ العرب القديم... ص ٨١ - ٨٣.

(١٦٣) سورة النعم: توضيح الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٦٧.

والأسواق في بلاد العرب كثيرة ومتنوعة، منها ما هو دائم ويستمر طوال العام، ومنها ما هو موسمي ويقام في أوقات محددة، ومنها ما هو متحضر سلعة واحدة أو شامل لعدد من السلع، ومنها ما هو محلي أو عام... وتعد عالية المدن العربية أسواقاً دائمة حيث كان يتم فيها التبادل التجاري يومياً، وقد ينحصر دورها على تداول السلع بين أبنائها المقيمين فيها (سوق محلي)، أو بينهم وبين الذين يقدرون إليها من المناطق أو الدول المجاورة (سوق عام). وقد يوجد في بعض المدن أكثر من سوق، فالبراء مثلاً، كما يبدو من مخططاتها العام، أنها كانت تحتوي على ثلاثة أسواق شاملة تباع فيها سلع كثيرة ومتنوعة، وتخصصت أسواق أخرى بيع سلعة معينة، فهناك سوق للماشية، وسوق للمطارة، وسوق للحجار وغيرها<sup>(١٦١)</sup>.

ويقام السوق عادة في وسط المدينة، أو أمام معبدها العام، أو في مكان يمكن رؤيته من مسافة بعيدة عند ملتقى الطرق، وفي أرض محايدة إن أمكن، أو في مكان واسع وخالٍ من المباني، يؤدي إليه طريق يحد من البوابة الرئيس للمدينة، وتشتد الحواشي على جانبيه، ويخضع لإشراف الدولة التي كانت تعين موظفاً يرافقه البيع والشراء فيه، ويطبق الأنظمة، ويمنع الغش، ويحضر الضرائب من الساعة<sup>(١٦٢)</sup>.

أما الأسواق الموسمية المعروفة التي جاءت تلبية لحاجات العرب الاجتماعية والاقتصادية والأمنية، فكانت تقام في مواضع متعددة من بلاد العرب، وبحماية قنائل مختلفة، وضمن مراقبة متقاربة. فهناك أسواق موسمية

(١٦١) A.F.I. Doeston: Some features of Social structure in Saba, Studies in the history of Arabia, Riyadh University Press, Riyadh 1984, P8.

موسم في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٢٦.

M. Rostovtzeff: Caravan Cities, the Clarendon Press, Oxford 1932, P129-1150 and 141.

المدن العرب الإسلامية، المجلد الثاني، ص ٢٨٢.

كانت تعقد في الأشهر الحرم<sup>(١٦٣)</sup> تذكر منها: سوق لظاة غير الذي يقام من العاشر من المحرم حتى العشرين منه، وسوق حنجر اليعامة الذي يستمر حتى نهاية المحرم، وسوق حباشة الذي يبدأ في الخامس من رجب ويستمر ثلاث أيام، وسوق صحرار الذي تقبعه العرب من العاشر من رجب إلى الخامس عشر منه، وسوق ذبي الذي يعقد في آخر يوم من رجب ويمتد حتى العاشر من شعبان، وسوق حضرموت الذي يقوم في منتصف ذي القعدة ويمتد حتى نهايته، وسوق عكاظ الذي يعقد في مطلع شهر ذي القعدة ويستمر عشرين يوماً، وسوق منجاة الذي يجري في العشر الأواخر من شهر ذي القعدة، وسوق ذي المجاز الذي يبدأ مع مطلع ذي الحجة ويستمر ثمانية أيام<sup>(١٦٤)</sup>.

وكذلك هنالك أسواق موسمية كانت تقام في الأشهر الأخرى من السنة، تذكر منها: سوق ذومة الجندل الذي كان أول سوق في العام ويعقد في أول ربيع الأول وينتهي في منتصفه، وسوق حجر الذي ينتقل الناس إليه في مطلع ربيع الثاني، وسوق عمنان الذي يتوجه الناس إليه بعد ذلك وينتهي بنهاية جمادى الأولى، وسوق المشقر الذي يبدأ في أول جمادى الآخرة وينتهي مع انقضاء الشهر، وسوق الشحر الذي يجري في النصف من شعبان، وسوق عدن الذي

(١٦٣) الأشهر الحرم عند العرب أربعة هي: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة. ففي هذه الأشهر كان العرب يلقون السلاح ويتوقفون عن سلك الدماء، يلفي الرجل قاتل أبيه أو أخيه فلا يتعرض له بسوء أو أذى. وإلى جانب ذلك كانت المناطق التي تحيط بالكعبة حرم دائماً، لأنها بيت الله، أقيمت للمناداة، ولا يحل فيها القتال. وقد كان من أكبر المعار عند العرب أن يتحاور الإنسان حدود البلد الحرام والأشهر الحرم، بمدوان أو بيع أو نكال، وهذا تحدى الإشارة إليه أن بعض القبائل كانت لها أشهر حرم غير ما ذكرناه وأن أوقات هذه الأشهر كانت تختلف من عام إلى عام، لأن العرب كانوا ينشئون الأشهر الحرم، فيزخرون الحرم إلى صفر ورجب إلى شعبان. وقد حرم الإسلام ذلك. العمودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٢٠٤ - ٢٠٥. القلقشندي: معجم الأعيان في صناعة الإنشاء، ج ٢، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(١٦٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٥٨ - ٥٩. سعيد الأنصاري: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ و ١٠٠٢ و ١٠٠٣ و ١٠٠٤ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ و ١٠١٠ و ١٠١١ و ١٠١٢ و ١٠١٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢١ و ١٠٢٢ و ١٠٢٣ و ١٠٢٤ و ١٠٢٥ و ١٠٢٦ و ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢٩ و ١٠٣٠ و ١٠٣١ و ١٠٣٢ و ١٠٣٣ و ١٠٣٤ و ١٠٣٥ و ١٠٣٦ و ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٠٣٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ١٠٥٠ و ١٠٥١ و ١٠٥٢ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦٠ و ١٠٦١ و ١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤ و ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ١٠٦٧ و ١٠٦٨ و ١٠٦٩ و ١٠٧٠ و ١٠٧١ و ١٠٧٢ و ١٠٧٣ و ١٠٧٤ و ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ و ١٠٧٨ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١٠٨٢ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ و ١٠٨٥ و ١٠٨٦ و ١٠٨٧ و ١٠٨٨ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩١ و ١٠٩٢ و ١٠٩٣ و ١٠٩٤ و ١٠٩٥ و ١٠٩٦ و ١٠٩٧ و ١٠٩٨ و ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ و ١١٠٤ و ١١٠٥ و ١١٠٦ و ١١٠٧ و ١١٠٨ و ١١٠٩ و ١١١٠ و ١١١١ و ١١١٢ و ١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥ و ١١١٦ و ١١١٧ و ١١١٨ و ١١١٩ و ١١٢٠ و ١١٢١ و ١١٢٢ و ١١٢٣ و ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٢ و ١١٣٣ و ١١٣٤ و ١١٣٥ و ١١٣٦ و ١١٣٧ و ١١٣٨ و ١١٣٩ و ١١٤٠ و ١١٤١ و ١١٤٢ و ١١٤٣ و ١١٤٤ و ١١٤٥ و ١١٤٦ و ١١٤٧ و ١١٤٨ و ١١٤٩ و ١١٥٠ و ١١٥١ و ١١٥٢ و ١١٥٣ و ١١٥٤ و ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١١٥٧ و ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ و ١١٦١ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٤ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٦٧ و ١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧١ و ١١٧٢ و ١١٧٣ و ١١٧٤ و ١١٧٥ و ١١٧٦ و ١١٧٧ و ١١٧٨ و ١١٧٩ و ١١٨٠ و ١١٨١ و ١١٨٢ و ١١٨٣ و ١١٨٤ و ١١٨٥ و ١١٨٦ و ١١٨٧ و ١١٨٨ و ١١٨٩ و ١١٩٠ و ١١٩١ و ١١٩٢ و ١١٩٣ و ١١٩٤ و ١١٩٥ و ١١٩٦ و ١١٩٧ و ١١٩٨ و ١١٩٩ و ١٢٠٠ و ١٢٠١ و ١٢٠٢ و ١٢٠٣ و ١٢٠٤ و ١٢٠٥ و ١٢٠٦ و ١٢٠٧ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٠ و ١٢١١ و ١٢١٢ و ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥ و ١٢١٦ و ١٢١٧ و ١٢١٨ و ١٢١٩ و ١٢٢٠ و ١٢٢١ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥ و ١٢٢٦ و ١٢٢٧ و ١٢٢٨ و ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ١٢٣٣ و ١٢٣٤ و ١٢٣٥ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ و ١٢٣٨ و ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤١ و ١٢٤٢ و ١٢٤٣ و ١٢٤٤ و ١٢٤٥ و ١٢٤٦ و ١٢٤٧ و ١٢٤٨ و ١٢٤٩ و ١٢٥٠ و ١٢٥١ و ١٢٥٢ و ١٢٥٣ و ١٢٥٤ و ١٢٥٥ و ١٢٥٦ و ١٢٥٧ و ١٢٥٨ و ١٢٥٩ و ١٢٦٠ و ١٢٦١ و ١٢٦٢ و ١٢٦٣ و ١٢٦٤ و ١٢٦٥ و ١٢٦٦ و ١٢٦٧ و ١٢٦٨ و ١٢٦٩ و ١٢٧٠ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤ و ١٢٧٥ و ١٢٧٦ و ١٢٧٧ و ١٢٧٨ و ١٢٧٩ و ١٢٨٠ و ١٢٨١ و ١٢٨٢ و ١٢٨٣ و ١٢٨٤ و ١٢٨٥ و ١٢٨٦ و ١٢٨٧ و ١٢٨٨ و ١٢٨٩ و ١٢٩٠ و ١٢٩١ و ١٢٩٢ و ١٢٩٣ و ١٢٩٤ و ١٢٩٥ و ١٢٩٦ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ١٢٩٩ و ١٣٠٠ و ١٣٠١ و ١٣٠٢ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ و ١٣٠٧ و ١٣٠٨ و ١٣٠٩ و ١٣١٠ و ١٣١١ و ١٣١٢ و ١٣١٣ و ١٣١٤ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٧ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٢ و ١٣٢٣ و ١٣٢٤ و ١٣٢٥ و ١٣٢٦ و ١٣٢٧ و ١٣٢٨ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ١٣٣١ و ١٣٣٢ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٣٥ و ١٣٣٦ و ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و ١٣٣٩ و ١٣٤٠ و ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٣ و ١٣٤٤ و ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ و ١٣٥٠ و ١٣٥١ و ١٣٥٢ و ١٣٥٣ و ١٣٥٤ و ١٣٥٥ و ١٣٥٦ و ١٣٥٧ و ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٦٠ و ١٣٦١ و ١٣٦٢ و ١٣٦٣ و ١٣٦٤ و ١٣٦٥ و ١٣٦٦ و ١٣٦٧ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ و ١٣٧٠ و ١٣٧١ و ١٣٧٢ و ١٣٧٣ و ١٣٧٤ و ١٣٧٥ و ١٣٧٦ و ١٣٧٧ و ١٣٧٨ و ١٣٧٩ و ١٣٨٠ و ١٣٨١ و ١٣٨٢ و ١٣٨٣ و ١٣٨٤ و ١٣٨٥ و ١٣٨٦ و ١٣٨٧ و ١٣٨٨ و ١٣٨٩ و ١٣٩٠ و ١٣٩١ و ١٣٩٢ و ١٣٩٣ و ١٣٩٤ و ١٣٩٥ و ١٣٩٦ و ١٣٩٧ و ١٣٩٨ و ١٣٩٩ و ١٤٠٠ و ١٤٠١ و ١٤٠٢ و ١٤٠٣ و ١٤٠٤ و ١٤٠٥ و ١٤٠٦ و ١٤٠٧ و ١٤٠٨ و ١٤٠٩ و ١٤١٠ و ١٤١١ و ١٤١٢ و ١٤١٣ و ١٤١٤ و ١٤١٥ و ١٤١٦ و ١٤١٧ و ١٤١٨ و ١٤١٩ و ١٤٢٠ و ١٤٢١ و ١٤٢٢ و ١٤٢٣ و ١٤٢٤ و ١٤٢٥ و ١٤٢٦ و ١٤٢٧ و ١٤٢٨ و ١٤٢٩ و ١٤٣٠ و ١٤٣١ و ١٤٣٢ و ١٤٣٣ و ١٤٣٤ و ١٤٣٥ و ١٤٣٦ و ١٤٣٧ و ١٤٣٨ و ١٤٣٩ و ١٤٤٠ و ١٤٤١ و ١٤٤٢ و ١٤٤٣ و ١٤٤٤ و ١٤٤٥ و ١٤٤٦ و ١٤٤٧ و ١٤٤٨ و ١٤٤٩ و ١٤٥٠ و ١٤٥١ و ١٤٥٢ و ١٤٥٣ و ١٤٥٤ و ١٤٥٥ و ١٤٥٦ و ١٤٥٧ و ١٤٥٨ و ١٤٥٩ و ١٤٦٠ و ١٤٦١ و ١٤٦٢ و ١٤٦٣ و ١٤٦٤ و ١٤٦٥ و ١٤٦٦ و ١٤٦٧ و ١٤٦٨ و ١٤٦٩ و ١٤٧٠ و ١٤٧١ و ١٤٧٢ و ١٤٧٣ و ١٤٧٤ و ١٤٧٥ و ١٤٧٦ و ١٤٧٧ و ١٤٧٨ و ١٤٧٩ و ١٤٨٠ و ١٤٨١ و ١٤٨٢ و ١٤٨٣ و ١٤٨٤ و ١٤٨٥ و ١٤٨٦ و ١٤٨٧ و ١٤٨٨ و ١٤٨٩ و ١٤٩٠ و ١٤٩١ و ١٤٩٢ و ١٤٩٣ و ١٤٩٤ و ١٤٩٥ و ١٤٩٦ و ١٤٩٧ و ١٤٩



يستغل الناس إليه ويقفون فيه العشر الأول من رمضان وسوق صناع الذي يحدث في النصف الثاني من رمضان (١٦٤).

وولد وافق اليعقوبي ابن حبيب على عشرة من الأسواق التي عدها،  
 واستطاع أن يثبت منها رصداً سوق نطاة خيبر وسوق خجّر اليمامة<sup>(١٧٠)</sup>. كما وافق  
 الهمداني ابن حبيب في أربعة أسواق فقط وهي أسواق: عدن وذو المجاز  
 وغكاف وخجّر اليمامة، وأضاف إليها سبعة أسواق جديدة هي: مكة وبئر وبني  
 ونجران والجند وسجدة وخجّر البحرين. وبذلك يكون الهمداني قد جعل عدد  
 الأسواق الرسمية أحد عشرة سوقاً<sup>(١٧١)</sup>.

وباشدود الأتباع وتحابسهم، ومن له أسير سعى في إنقاذ، ومن له حكومة ارتفع إلى من له الحكومة، وكان الذي يقوم بأمر الحكومة في عكاظ من بني تميم، وكان آخر من قام بها منهم الأقوع بن حابس التميمي، ثم يقوم بعده ويفضون مناسك الحج، ثم يرجعون إلى أوطانهم فد حصلوا على الغنيمة وأموالهم بالسلامة (١٧٦).

ولا ريب أن الأسواق الموسمية كانت تخدم أغراضاً كثيرة، وكان بعضها مشهوراً وبعضها الآخر قليل الشهرة، وقد زاد عددها عن الأربع عشرة سوقاً<sup>(١٧٨)</sup>. فهناك سوق مشهور في منطقة حُمان يُعرف باسم سوق قفا ذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان. وسوق حَيَّاشَة الذي يُقام في ديار باريق بنهامة؛ وقد وفد إليه رسول الله ﷺ قبل البعثة النبوية في تجارة للسيدة خديجة بنت خويلد التي كانت تستأجر الرجال لهذه المهنة<sup>(١٧٩)</sup>. وسوق المَرْيَد الذي كان ضاحية في الجهة الغربية من ضواحي الموقع الذي بُنيت عليه مدينة البصرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ويبعد عنه ثلاثة أميال، والذي كان سوقاً للإبل على طرف البادية. وقد تطور هذا السوق في العصر الإسلامي، وأصبح أعظم شأنًا من سوق عكاظ، وأضحى يُعرف باسم عكاظ الإسلام<sup>(١٨٠)</sup>. وجاء

١٦٦٨) سعيد الأنصاري: أسواق العرب... ص ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٢.

(١٤٠٥) الجعوني تاريخ البطريركي، المجلد الأول، ص ٢٤٠.

من أحياء أن الشمر كانوا يقدرون في الجزيد إبان انعقاد أسواقها الكبيرة  
معارض بالشمر كما كانت الحال في عكاظ<sup>(١٧٧)</sup>.

وكان من الطبيعي أن تختلف مواعيت قيام هذه الأسواق من سنة إلى  
أخرى، وذلك بسبب نسبة الشهور فكان التساقون في الجاهلية يُحلون شهر  
صفر عاماً ويحرمونه عاماً أو يُحلون شهر المحرم عاماً ويحرمونه عاماً، وهذا ما  
يؤذي إلى تغيير في الأشهر الحرم، وإلى تغيير في مواعيت الأسواق<sup>(١٧٨)</sup>. كما  
أن العرب لم يكتسروا يلتزموا كل سنة يوماً معيناً لإقامة السوق، يوماً محدداً  
لأنه، بل يتقدم هذا اليوم في بعض السنين ويتأخر في بعضها الآخر. وقد  
يسرع أقوام إلى السوق قبل ميعاده، وقد يتخلف آخرون بعد انقضائه إن لم تنته  
أعمالهم، وقد تختلف العادة سنة عن سنة، فمن هنا كان هذا التفاوت اليسير في  
مواعيت هذه الأسواق<sup>(١٧٩)</sup>.

وتعد الأسواق الموسمية معارض تجارية ترد إليها السلع من كل الجهات:  
من مصر وشرقي أفريقيا والشام واليمن والعراق وفارس والهند... فيجتمع الناس  
الذين يأتون إليها من أطراف شبه الجزيرة العربية ومن خارجها، ويوجد هذه  
السلع الفريدة فيشترونها ويتفاحرونها باقتنائها<sup>(١٨٠)</sup>. وكانت الأسواق التي تقوم  
على الطرق التجارية أو على السواحل مثل أسواق: عدن وعمان وصنعاء أكثر  
نزعاً في البرود وفي المعروضات، ويفصلها أهالي المناطق والجيران من هنود  
وأحاش ومرس على السراء. أما الأسواق الداخلية مثل سوق خنجر أو سوق  
حضرية فهي غالباً مقصورة على قبائل العرب. وكان سوق عكاظ ملك

(١٧٧) دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٩، ص ٣٨١.

(١٧٨) أبو الفداء إسماعيل بن كثير: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ج ٩، دار المعرفة،  
بيروت ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م، ص ٤٠٣.

يذكر القائلون أن العرب في الجاهلية كانوا يلتزمون المحرم فيؤخرونه إلى صفر فيحرمونه  
نكته. ويكتسبون رجاء فيؤخرونه إلى شعبان فيحرمونه مكانه ليسبحوا القتال في الأشهر الحرم.  
الطبرستاني: صحيح الأمشي في صناعة الإنشاء، ج ٢، ص ٣٧٧.

(١٧٩) سعيد الأمشي، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٢١٦ - ٢٢٥.

(١٨٠) البلاذري: أنساب الأشراف الجزء الأول، ص ١٠٠.

أسواق العرب تجتمع فيه قبائل العرب من الشمال والجنوب للإبحار مع قبال  
نجد. وتخرج منه الطرف النذاهية إلى اليمن والشام والخليج العارسي ومايل  
وكان عكاظ أكثر صلاحية للتجارة الدولية من مكة مثلاً. كما كان قرية لا تكاد  
تساهل الذكر وتخلو من السكان إلا في وقت انعقاد السوق<sup>(١٨١)</sup> حيث يعد  
المسوقون فيه بالآلاف يضربون أباط الإبل من كل موضع، وقد حضرها في  
أحد المواسم تسعون ألفاً من قريش وأحلافها فقط<sup>(١٨٢)</sup>. وفي ذلك يقول  
الأمدي:

يا قوم قد وافى عكاظ الموسم تسعون ألفاً كلهم ملام<sup>(١٨٣)</sup>

ويقول أبو ذؤيب الهذلي واصفاً زحام القوم:

إذا بنى الفياض على عكاظ وقام البيع واجتمع الألف<sup>(١٨٤)</sup>

وقد توافرت الفرص في هذا السوق وغيره لبيع السلع المحلية وغير  
المحلية. وانفتحت أبواب التجارة على مضاربها، وجرى التبادل والمقايضة.  
وجلس القوم للسمر والشراب، وجلست الحكمة لرفع الظلم عن المظلوم وذلك  
أسر الأسير، ونادى قضاتها ذوي الحاجات من الفقراء والخائفين والمظلومين  
والأسارى كي تقضى حاجاتهم، وهم الأكرمون المكرمون. وذكرت بعض  
المصادر عدداً من حكام العرب وقضااتهم في العصر الجاهلي كان منهم:  
عامر بن الظرب العدواني من بني عمرو بن قيس عيلان، وأكثم بن صيفي من  
بني نعيم، وحاجب بن زُرارة سيد بني نعيم، وربيعة بن مخاشن من بني أسيد بن  
عمرو ومن حكام بني نعيم كان في المواسم يجلس على سرير خشبي في قبة

(١٨١) دائرة المعارف الإسلامية، المجلد ١٢، ص ٣٨٢.

(١٨٢) وقد ذكر ابن حبيب والمرزوقي عدداً من القبائل التي تحضر سوق عكاظ مثل: قريش وعمران  
وغطفان وخزاعة والأحباش وعضل والمصطلق وأسلم وطوائف من أبناء العرب. ابن حبيب  
المحبر، ص ٦٦٧. المرزوقي: الأزنة والأمكنة، ج ٢، حيدر آباد ١٣٣٢هـ، ص ١٦٥. وذكر  
اليعقوبي قبائل أخرى مثل: هذيل وطى، ونعيم وكلب بن برة وشيبان. اليعقوبي: شرح  
اليعقوبي، ج ١، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(١٨٣) محمد بن حبيب: المصنف، تحقيق طه حسين فاروق، حيدر آباد ١٣٨٤هـ، ص ٢٠٦.

(١٨٤) محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد الخامس، ص ٢٥١.



من حطب نضحي والاعواد، وصخرة بن صخرة النهشلي من كبار رجال بني تميم في الحاحلية، والأفرع بن حابس الذي كانت العرب تتأخر إليه ليحكم بينهم وكان من وفد بني تميم الذي قابل رسول الله ﷺ عام الوفود وقد أسلم واستشهد في معركة اليرموك عام ٦٣٦ ميلادية، وعجلان بن سلمة من بني نقيف، وحظلة بن نهد الذي أطلق عليه ابن حزم لقب «حاكم العرب» (١٨٤)، ورجل عبد الكري. كان حظلة بن نهد من أشرف العرب له منزلة بعكاظ في مراسم الحرب ونهاية والحجاز، ولذلك يقول قائلهم:

حظلة بن نهد خير ناس في سعد (١٨٥)

وعبد المطلب بن هاشم الفرسي جد النبي محمد ﷺ، وأبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وكفيله بعد موت جده، والعاص بن ائيل من بني سهم وكان على رأسهم في حروب الفجار، والعلاء بن حذيفة التميمي وهو حليف بني زهرة وأحد حكامهم، وربيع بن خثار من بني أسد وقائدهم في معركة يوم الفرات، ويغمر بن عوف الشذاخ الذي حكم بين فريش وخراعة في الجاهلية، وصفوان بن أمية من بني كنانة، وسلمى بن نوفل من سادات كنانة وحكامهم، والأغمي الجرحمي من حكام العرب في اليمن كان منزله بجران.

وكان من قضاة العرب وحكامهم في سوق عكاظ: عامر بن الظُرب الغدافي، ثم سعد بن زيد مناة التميمي، ثم حظلة بن زيد مناة التميمي، ثم ذؤيب بن كعب التميمي، ثم مازن بن مالك بن عمرو التميمي، ثم نعلبة بن يربوع التميمي، ثم معاوية بن شريف التميمي، ثم الأصبط بن فريخ التميمي، ثم حُصَيل بن أوس التميمي، ثم سفيان بن مجاشع بن دارم التميمي، ثم محمد بن سفيان التميمي الذي كان يقضي بعكاظ عند ظهور الدعوة الإسلامية،

(١٨٤) ابن عديم: حاضرة أساطير العرب، ص ٤٤٦.

(١٨٥) البكري: معجم ما استعجم، الجزء الأول، تحقيق الدكتور مصطفى السقا، القاهرة ١٩٣٦، ص ٢٤١.

ويُفهم بكلمة سعد بن عدنان جد قبائل العرب الشمالية، منهم إيلاء وإنتار ونزار، ومن دار أسعد ونضر وسهبة أشهر القبائل البدوية.

ثم الأفرع بن حابس بن عقيل بن محمد بن سفيان الذي كان أحد من سواهم الغهاء في عكاظ من بني تميم (١٨٧).

والى جانب هذه الحكومات كانت تُعقد في الأسواق، في كثير من الأحيان، اجتماعات تبحث في قضايا سياسية واجتماعية، ونضع الاتفاقات والمهادنات بين القبائل، وتنظم العلاقات فيما بينها على أساس من السلام والأمن. ثم تجري احتفالات دينية موسمية كانت الأسواق تُنظم من أجلها، ذلك أن الأسواق العربية كانت في الأصل أماكن للعبادة حيث كانت تُعبد الأصنام، وتذبح القرابين، وتُقدّس الأصنام ويُطاف حولها، وأشهر حشم كان يعد في عكاظ هو حشم جهار الذي كان لهوازن، وكان سديتها آل عوف النصرانية. وفي الأثداء حيث كان يُقام سوق عكاظ توجد صخور كان العرب يطرحون حولها ويقدمونها. وقد زال كل أثر لهذه العبادة وعُفي عليها النسيان بازدياد شأن الحرم المكي، ويظهر الدعوة الإسلامية في الحجاز (١٨٨).

وكذلك كانت أسواق العرب كناية عن مجامع أدبية ومتندبات شعرية يأتي إليها الشعراء من كل جهة، ويتبارون بأشعارهم للفوز، ولم يكن للشاعر من يجد أعلى من الفوز بهذه المباريات. وتروي المصادر الأدبية أن نشأة التعليقات مقرونة بسوق عكاظ، وأنها نالت قصب السبق في هذا السوق وراقت للناس فكنت بعماء الذهب وعُلقت على أشتار الكعبة، فلذلك يُقال مذقة فلان إذا كانت أجود شعره (١٨٩). وكان للعرب في هذه الأسواق قضية للشعر أو يُحْكَمون تُضرب عليهم قباب خضر من آدم، ويتقدم منهم شاعر كل قبيلة، يُعرض عليهم أشعاره، فما استجاذه القضاة فهو الجيد، وما حكموا بضعفه فهو الرديء. وأجمعت مصادر الأدب على أن حكومة الشعر في عكاظ كانت للناجعة

(١٨٧) ابن حبيب: المحبر، ص ٣٨١ - ١٨٣، البروقني: الأزمة والأمكنة، ج ١، ص ١٦٧ - ١٦٨. عرفان محمد حنور: أسواق العرب، ص ١٠٢ - ١٠٤، ناصر بن سعد الرشيد: سوق عكاظ، طبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، ص ٣٧ - ٣٩.

(١٨٨) محمد بن حبيب: المحبر، ص ٣١٤، الحافظ بن حجر العسقلاني: فتح الباري، ج ٤، ص ١٧١، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٢، ص ٢٨٢.

(١٨٩) الحافظ ابن كثير: البداية والنهاية، الجزء الثاني، دار مكتبة المعارف بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص ٢١٩ - ٢٢٠، الأكرسي: بلوغ ربيب، ج ١، ص ٢٦٧، الزبيدي: تاج المعرف، ج ١، ص ٢٤٤، الأصبهاني: الأغاني، ج ٩، ص ١٧٦، حتى وآخرها، تاريخ العرب، ص ١٣٧.

السياسي في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي، حيث كانت تغرب له هناك فئة حمران من أئمة، فيأتيه الشعراء ويعرضون عليه قصائدهم، ليعبر حكمة بذلك وقد حكم في أحد المواسم للأعشى على الشعراء جميعاً ثم ترك الحساء في سارية شجرة أغصت الشاعر حنان من ثابت رضي الله عنه (١٩٠).

ومع مباريات الشعر هذه، كانت تُلقى في الأسواق خطب الوعظ والإرشاد، وأغلام الشعراء التي تمثل الحياة الجمالية أفضل تحثيل برورها وأسلوبها الذي يعتمد على الحدس الجمالي والمفخرة القبلية. وكانت المناظرة وثيقة تاريخية لحياة العرب في الجاهلية لا تقل أهمية عن القصيدة أو الخطبة. كما كانت قطعة أدبية رائعة، قد يجري فيها البيان والدقة والأسلوب الجزل الناصع الذي يعتمد على الحجة والمقارعة. وللمفرد في المناظرة لا بد من أن يتوفر للشاعر عنصرين أساسيين، أولاهما: أن يكون له مجد أو مشعة يبنى عليهما منافرة وحضوره. وثانيهما: أن يكون مسلحاً بالبيان والفطنة الأدبية والمعرفة. ومن شأنه الحظ في واحدة منهما فهو لا شك مغلوب. ومن أشهر المناظرات: مناظرة خالد بن أوطاة الكلبي مع جرير بن عبد الله البجلي اللخمي كان حكمهما في عكاظ الأنزع بن حابس التميمي، ومناظرة علقمة بن علاثة الأحوصي العامري مع عاصم بن الطغيلة المالكي العامري، اللذين كان حكمهما هروم بن قطة من مثنان بن عمرو الفزاري. وتروي الأخبار أن هروم بن قطة قد ساء به الأثنين حين قال: «يا بني جعفر قد تحاكمتمنا عندي وأنتمما تكرهني البعير الأدم تقعدان علي الأرض معا وليس فيكما أحد إلا ما ليس في صاحبه وكلاكم سيد كريم» (١٩١).

أما الخطبة فكانت تقوم على الوعظ الديني الذي يبين للناس مفاسد الوثنية ومساوئها، ويوقظهم بالدنيا وما فيها من شجون وشجون، ويدعوهم إلى التأمل والظفر في الكون، وإلى الإيمان بالله الواحد، ويدين إبراهيم الخليل. ولم تكن الخطبة وقائلاً أقل شأناً من القصيدة ونظمها، وقد تفوق الخطبة القصيدة شهرة وأهمية خصوصاً إذا كان الخطيب أحد حكماء العرب، كقيس بن ساعدة

(١٩٠) لم يرجع الأسامي الأغاني، الجزء التاسع، ص ١٥٩. سعيد الأنصاري: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص ٣١٦، ٣١٧.

(١٩١) الأسامي الأغاني، ج ١، ص ١٥٩، ١٦٠. ناصر بن سعد الرشيد: سوقي عكاظ، ص ٨٣، ٨٦.

الأيادي، أو أكثم بن صيفي التميمي، أو أمية بن أبي الصلت التميمي (١٩٢)، أو عدي بن زيد التميمي، أو زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي الذي كان يحيي المؤودة ويقول لأبيها «لا تفتلها ادفعها إلي أن أكلها فإذا نزعمت فإن ننت فخذها وإن شئت فادفعها»، والذي كان يصلي إلى الكعبة ويقول «إني إله إبراهيم وديني دين إبراهيم». اللهم إني لو أعلم أحب الرجاء إليك عبدتك به ولكني لا أعلم، ثم يسجد على راحلته (١٩٣). وأشهر خطبة أُنشئت بها عكاظ

(١٩٢) ومن الآيات التي قالها أمية بن أبي الصلت ما يلي:

عبدت دينا نفسه فمخاضها  
ما رغب النفس في الحياة وال  
يوسوسك من لمر من منيته  
إن لم تمك غبطة تمك هرة  
وقال أيضاً:

كسل عبيتي وإن تطاول دعراً  
لينبني كشت نيل ما قد بدا لي  
فاجعل الصوت تطك عينيك واحذر  
سائلاً ظفرها القساو والصد  
وبعث النياح واليسفر الشا  
من كثير: البداية والنهاية، الجزء الثاني، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(١٩٣) الشعر نفسه، ص ٢٣٧. ومما قاله زيد بن عمرو شعراً تورد الآيات التالية:

أوبس إذا تفتشبت الأمور  
كذلك بفعل الخلة الصغير  
ولا ضقت بني محمدر أود  
لنا في الدمع إذ جلعي صغير  
وفي الأيام بحر لها الصغير  
كشيرة كان ثابته الصغير  
فبرم من منه الطغل الصغير  
كما يخرق الثمن الصغير  
ليغفر ذنبي الرب الصغير  
مضى ما شئت فطرها لا يوروا  
بلاقوا ما تضيق به العصور  
بلاقوا ما تضيق به العصور  
الصغر نفسه، ص ٢١٢.



والطاح من حوله، ورفعت صداعها الأودية، وشاغلتها الأسر عبر الأحياء  
والسفن، تلك الحطة التي ألفها نبي من ساعدة الإيادي، وأرتاح لسماعها  
رسول الله ﷺ يوم أن كان في غكاظ. وقد قال رسول الله ﷺ لرويد إباد وهو  
بناهم عن نبي من ساعدة فهما سيث فلن أساء سوق غكاظ واقفاً على جمل  
أحمر يحط الناس<sup>(١٩٩)</sup>.

وعلى العموم إن شاطات العرب في الأسواق كانت كثيرة ومتنوعة، إنلى  
جانب الشاطات الإيجابية المعقدة من الاقتصادية واجتماعية وأدبية، كانت هناك  
شاطات سلبية فاسدة، يمارسها أفراد قلائل في هذا السوق أو ذاك، ويبدو أن  
الشاطات الإيجابية التي أشرنا إلى بعضها سابقاً، وما وافقها من تنظيمات دقيقة  
لأعمال السوق، كانت خديرة بأن تشكل أسواقاً قومية، يحضرها سائر العرب،  
ليسترجع فيها مع بعضهم البعض، وتمتزج معهم عاداتهم وتقاليدهم، وتتردد

(١٩٩) ومن السبل أن يرمي بعض ما جاء في هذه الخطبة، بقول قس-

«يا أيها الناس اجتمعوا واستمعوا رموا، ولذا وعيتم فانتفعوا، وفولوا وإذا فقتم فاصدقوا، من  
عاشر مث، ومن مات مات، وكل ما هو أت آت، ليل حاج، وساعة ذات أبراج، وبحر  
مجاج، صوم ترعرع، وعال مرصية، وأهله محرومة، آيات محكمات، مطر زينات، وأباد  
وأهله، وأحياء وأصوات، وذات آت، وصورة وطلام، وليل وأيام، ويز وأقام، ولان  
وغزك، ومطعم ومشرب، ومفقه مرفوع، ومهاد موصوع، وجوم ثور، وحجاز لا ثور  
إله في السماء لمراء، وإن في الأرض لمراء، بحار بين البصر، ما لي أرى الناس يمشون فلا  
يرجعون، لمروا بالمقام فاقموا، أم سخطوا فامروا»<sup>(٢٠٠)</sup>.

يا عثر إله، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد؟ أين المعروف الذي لم يشكروا، والظلم  
الذي لم يشكروا؟ أقيم ياه نساء، لا كاذباً فيه ولا آثماً، لنن كان في هذا الأمر دس، ليكون  
سخط أيها الناس إن لله ديات هو أحب إلي من دينكم هذا الذي اتتم عليه، وحقة زمانه وأوانه.

في الساعة الأولى	من من القصور لنا بمنازل
لعمركم يا أيها الموفون	للموت ليس لها مصائر
يا أيها المرمي بحرومها	يمضي الأصغر والأكابر
لا تس ماضي يائي إليه	ك ولا من السابقين غابر
لعمركم أيها لا محار	لما حيث ما من القصور مبائر

أما هناك مروي عن بحر الجاحظ الديان والشيخين، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، مكتبة  
البحر، مصر، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م، ص ٣٠٨ - ٣٠٩، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢،  
ص ١٣٠، ١٣١.

قاتلهم ومحتقاتهم في مجتمع عربي واحد، كما توجد لهجاتهم من لهجة  
واحدة هي لهجة قريش.

### ب- أنظمة السوق:

ومما لا ريب فيه أن الأسواق الموسمية في بلاد العرب، كانت تنبع  
بقام من الأمن والحماية، تفرضه الدولة التي يقع السوق ضمن حدودها، على  
مواطنيها، تجمعها من التجار الذين يقدون إلى هذا السوق، فكانت  
الدولة صاحبة الشأن تفرض الأمن في السوق، وتلاحق المتجربين، وتضع  
الاعتدات، وتعيد إلى كل ذي حق حقه. أما الأسواق الموسمية التي تقوم في  
مناطق البادية، حيث لا حكومة ولا سلطان، فكان التجار يسافرون الحفراء من  
أجل حمايتهم، مقابل مبالغ من المال يدفعونها لهم. ويبدو أن هؤلاء الحفراء،  
في مثل هذه الأحوال، كانوا أوفياء لما التزموا به، فيقومون بواجباتهم في حماية  
القوافل التجارية والأسواق خير قيام.

بيد أن زعماء القبائل الذين كانوا يحضرون في هذا النوع من الأسواق،  
يقيمون أنفسهم، في بعض الأحيان، حكماً عليها، فيسيرون فيها سيرة الملوك،  
ويجوز الضرائب والمكوس من التجار، كما كان يفعل «الجلندي بن المستكبر»  
في سوق حجار، وهو تميم في سوق المشقر<sup>(٢٠١)</sup>.

والتي جانب ذلك كله انبرت طائفة من قريش العرب، بزعماء أحد بني  
تميم، يدعى ضلفصل بن أوس، للدفاع عن الحرمات والتقاليد، وفرض الأمن  
والنظام في الأسواق كسوق غكاظ ومجنة وذوي المجاز، ولمنع اللصوص  
والمجرمين المحليين من الصعاليك وغيرهم، من ظلم الناس وسرقة الأموال  
وسفك الدماء. وفي ذلك يقول اليعقوبي: «وكان في العرب قوم يستحلون  
النظام إذا حضروا هذه الأسواق، فسوا المحليين، وكان فيهم من ينكر ذلك،  
ينصب نفسه لنصرة المظلوم، والمنع من سفك الدماء، وأرتكاب المشكر،  
فيستول المذاة المجرمين، فأما المحليون فكانوا قبائل من أسد وطى، وسي  
بكر بن عبد مناة بن كنانة وقوماً من بني عامر بن صعصعة. وأما المذاة

(٢٠١) عرفان محمد حنوز: أسواق العرب، ص ٥٧ - ٥٨.

المحرمون، فكانوا من بني عمرو بن نعيم وبني حنظلة بن زيد مثلاً، وقوم من  
مديق، وقوم من بني شيان، وقوم من بني كلب بن وبرة، فكان هؤلاء يلبسون  
السلح للدمعهم من الناس<sup>(١٩٦)</sup>. وقد ساعدت هذه الطائفة في استتباب الأمن  
ونظام حتى بلغ في سوق عكاظ مبلغاً جعل العرب يأخذون معهم أموالهم  
وساءهم وصيولهم إليه<sup>(١٩٧)</sup>.

وكانت أصول المتاجرة في الأسواق، تنطوي بمعرفة مصدر البضاعة  
ومشيتها، وعلاماتها التجارية. والبضاعة المعجولة المصدر لا يشتريها أحد،  
والسلعة المصدوقة تُمنع بيعها، وتحتفل عارضها. وكان التجار يعرفون العلامات  
التجارية المميزة لكل قبيلة من قبائل العرب، كما يعرفون سندات التملك،  
وسندات البيع والشراء المعجولة وفقاً للأصول العامة، وكذلك كانوا على معرفة  
بقيود المعاملات التجارية وحساباتها<sup>(١٩٨)</sup>.

غير أن بعض أنظمة البيع والشراء في بعض الأسواق كانت تنطوي عليها  
أحياناً الشكليات، فنقد البائع أو المشتري حرته وإرادته، كبيع الغلامسة، وهو أن  
يتسامح المبيعان على لزوم البيع إذا لمس المشتري سلعة البائع، فهذا النوع من  
البيع يتم بالمسح. دولة النظر إلى البضاعة، وكان معروفاً في سوق المشفر.  
ومثله البيع بالمناقلة، فتمت نبد البائع سلعته إلى المشتري، وجب البيع. ومثله  
البيع بطريقة الرمي بالحصاة، وهو أن يُلقى المشتري حصاة على عدة أبواب  
مثلاً، فما أحياه كان مبيعاً بلا خيار للمشتري. وفي سوق عكاظ نوع من البيع  
كان يتعامل به العرب، وهو ما يُسمى بالسراو الذي يُفسره البعض بأنه إذا وجب  
البيع وعند التاجر ألف رجل ممن يريد الشراء أو عذمه فله الشركة في  
البيع<sup>(١٩٩)</sup>. وفي سوق صنعاء نوع آخر من البيع كان يعارسه العرب بجس  
اليد<sup>(٢٠٠)</sup>.

(١٩٦) البكري: تاريخ المعرفي، ج ١، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

(١٩٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٩٠، ناصر من سعد الرشيد: سوق عكاظ، ص ٣٠.

(١٩٨) الألبسي: بفتح الألف، ج ٢، ص ١٦٣، ابن عبد الوه: العقد الفريد، تحقيق سعيد الحريان ج ١،  
طبعة مصر، القاهرة، ١٣٧٠م، ص ١١. عرفان محمد حشور: أسواق العرب، ص ١١٢، ١١٣.

(١٩٩) محمد بن حبيب: المحقر، ص ٢٦٧ المردوف: الأمانة والأمانة، ج ٢، ص ١٦٥.

(٢٠٠) المردوف: المصدر نفسه، ص ١٦١.

وهناك بيوع أخرى عُرفت في الأسواق الرسمية، مثل بيع الأجنحة  
يطون أمهاتها من المواشي والأغنام، وبيع الملائح، أي بيع ما يستعمل به إبلات  
الإبل، وبيع المضامين، وهو بيع ما يستولّد من محول الإبل. وبيع الحربة  
الغائص، أي ما سيقع في شبكة الصياد من صيد البحر. وبيع صبرة  
الغائص، وهو ما يخرج من الغواص من الأسماك<sup>(٢٠١)</sup>.

ومن أنظمة البيع والشراء، نظام الرهن الذي عرفه العرب قبل الإسلام،  
حيث كان المشتري يرهن متاعه وولده لسداد دين. وقد هذب الإسلام هذا  
النظام، وحرم رهن الإنسان كبيراً كان أم صغيراً<sup>(٢٠٢)</sup>.

ومنها نظام المقايضة الذي يقوم على عملية التبادل التجاري بالحصول  
على سلعة مقابل سلعة أخرى. وكان هذا النظام، الذي عُرف في جنوبي شبه  
الجزيرة العربية باسم «عقبن»<sup>(٢٠٣)</sup>، أساس التعامل بين المجتمعات البدوية  
والحضرية، فالبدو كانوا يجلبون منتوجاتهم، ويقايضون بها ما يحتاجون إليه من  
طعام ونمر وأدوات وغيرها. كما كان أساس التعامل في الأسواق الحضرية بين  
سكان المدينة الواحدة. وكذلك كان أساس تعامل العرب في تجارتهم  
الخارجية، حيث كانت واردات شبه الجزيرة العربية تأتي عن طريق المقايضة،  
لذا خمس صادراتها التي كانت تشمل العطور والتوابل<sup>(٢٠٤)</sup>.

وسم نظام المقايضة هذا، كان العرب يمارسون نظام تبادل السلع بأوزان  
المعادن الثمينة كالذهب والفضة، كأن يدفع المشتري قيراطاً من الذهب مقابل  
سلعة معينة<sup>(٢٠٥)</sup>. وكان هذا النظام، الذي استمر استخدامه في الأسواق حتى  
العصور الإسلامية، يأتي في الدرجة الثانية بعد المقايضة، ويستعمله العرب في

(٢٠١) عرفان محمد حشور: أسواق العرب، ص ٦٠.

(٢٠٢) الأصبهاني: الأغاني، ج ١، ص ٨٤، ناصر بن سعد الرشيد: سوق عكاظ، ص ٦١ - ٦٢.

(٢٠٣) بستان وآخرون: المعجم الشبي، ص ٦٨.

(٢٠٤) ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني: الشرق الأدنى، ص ٢٥، سورة النجم: المومع

الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٨.

(٢٠٥) حواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ١، ص ٤٨٨.



بيع وشراء في داخل البلاد وخارجها<sup>(٢٠٦)</sup>. وتروي الأخبار أن العرب في العهد السومري كانوا يستعملون الذهب والفضة في تقدير قيم البضائع، وبشروطها في العادة بدلاً من البضائع نفسها، إنما على هيئة سبائك وحلقات ذات قيم محدودة، وأما بكميات تُقدَّر قيمتها حسب وزنها في كل عملية تجارية، وكانت الطريقة الثانية أكثر استعمالاً وشيوعاً من الأولى<sup>(٢٠٧)</sup>.

وفي العهد البابلي كان العرب يستخدمون في التجارة - فضلاً عن الفصح والشمير - سبائك الذهب والفضة وسيلة للتبادل، ومعياراً لتقدير قيم السلع والآشياء. ولم تكن السبائك المعدنية مخشومة أو مطبوعة، بل كانت توزن في كل عملية بيع وشراء. وكانت أصغر وحدة في هذا النظام هي الشافل، وهو نصف أوقية من الفضة، وتؤلف الستون شافلاً ميلاً واحداً، والستون ميلاً نالتاً واحداً<sup>(٢٠٨)</sup>.

ويبدو أن العرب في العهد الروماني لم يغيروا كثيراً في نظامهم النقدي، بل استمروا يتعاملون في معظم صفقاتهم التجارية بنظام أوزان المعادن الثمينة. ويذكر بلينيوس أن تجار العرب كانوا يستهلكون سنوياً مبالغ كبيرة من خزينة الدولة الرومانية<sup>(٢٠٩)</sup>.

أما في العهد البيزنطي فقد كان العرب يحصلون على الدنانير البيزنطية من بلاد الشام ومصر، وعلى الدراهم الفارسية من العراق، ويتعاملون بها وزناً، ويعصرون النظر عن كونها نقوداً مضروبة. وذلك لاحتمال أن تنقص الدنانير من كثرة تداولها. ولمنع الغش كان العرب يعمدون إلى الوزن، وكانت لهم أوزان خاصة بربط بها، هي: الرطل، والأوقية، والنش، والشواة، والمشتاق،

(٢٠٦) A. Jamme, Yemen expedition, P131.

في العهد الوضع الاقتصادي في الحيرة العربية ص ٢٩٩.

(٢٠٧) د. ميراث الشرق الأدنى، ص ٢٥.

(٢٠٨) المرجع نفسه، ص ٢٠٤.

(٢٠٩) قدر شمعون هذه المبالغ خطأ بحسين مليون ميسنوس.

Phy; Natural history; Bk12, P63.

والدرهم، والدانق، والغيراط، والحنة. وكانت قريش تزن الفضة وزناً تسببه درهماً، وتزن الذهب بوزن تسببه ديناراً، فكل عشرة من أوقاف الدراهم سبعة أوزان الدنانير، وكانت لهم الأوقية وزن أربعين درهماً، والرطل وزن اثني عشر أوقية، والنش (النش) وزن عشرين درهماً وهو نصف الأوقية وقد حولت الفضة شيئاً<sup>(٢١٠)</sup>، وكانت لهم الشواة وهي وزن خمسة دراهم، وقيل الشواة سواء الشعر<sup>(٢١١)</sup>. وكان الدينار البيزنطي<sup>(٢١٢)</sup> بوزن مثقالاً، والمشتاق ثمانية دنانير<sup>(٢١٣)</sup>، ووزنه عشرون قيراطاً، أو اثنان وعشرون قيراطاً إلا كسراً (أو حبة)، والدرهم شيء واحد، لأن القيراط فيهما مختلفة، وقدروا المشتاق بالنش وسبعين حبة ليعبر من الشعر الوسط المقطوع ما دق من طرفه، كما قدروه ستة آلاف حبة من حبة الخردل البري المعتدل<sup>(٢١٤)</sup>.

(٢١٠) أبو الحسن البغدادي - فتوح البلدان، ص ٤٥٦ - ٤٥٢. قواد علي رضا أم القرى مكة المكرمة، ص ٦٦.

(٢١١) عبد الحمي الكتاني: نظام الحكومة النورية المستنيرة الإدارية، الجزء الأول، ص ١١٥.

(٢١٢) يقول البعض: إن الدينار لعد لا تشي، والأصل فيه ثلاثة على نقطة من الفضة تساوي عشرة أسات، والأس درهم من دراهم الروم، والدينار شرب أولاً لهذه الغاية، وهو مشتق مدغم من «Demi» أي عشرة، وكان وزنه سبع الأوقية الرومانية أو جزءاً من مائة من الرطل (المليبي)، أي أنهم كانوا يقسمون المليبي من الفضة إلى مائة دينار، ثم مضروبة من الذهب، فصار عندهم ديناران: الواحد من الفضة والآخر من الذهب، وهنهم أحد القسوس مضروباً نقوداً مثلها رستوها باسمها.

سرحي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الأول، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ، ص ١٢٤ - ١٢٥. ويقول آخرون: إن الدينار هو وزن السوليدوس، والسوليدوس هو نقد الذهب الذي كان شائعاً في بيزنطة، وهو نفسه وزن الدراخما البيزنطية، التي اعتمد وزن السوليدوس على وزنها وهو الدينار البيزنطي الذي كان بوزن ٤.٢٥ غرامات، ولوم: الأموي في دولة الخلافة، ص ٢٠٥.

(٢١٣) الفرائض، جميع دائق، وهو سدس الدرهم، والكلمة فارسية الأصل - ابن سلام، الأموال، ص ٢١٠.

(٢١٤) نفي الدين أحمد بن علي البغوي. النقد الإسلامية المستنيرة شعور النقود في ذكر النقود، تحقيق السيد محمد بحر العلوم، دار الرهراء، الطبعة السادسة، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ٥٦ - ٥٧. ولوم: الأموال في دولة الخلافة، ص ٢٠٢. الفيلسوفندي - صبح الأفتش في صناعة الإنشاء، ج ٣، ص ٤٢٦ - ٤٢٧.

وعلى الرغم من سيطرة نظام تبادل السلع بأوزان المعادن الثمينة على حركة البيع والشراء في بلاد العرب قبل الإسلام، إلا أن نظام النقد قد أخذ يظهر تارة في بعض أقاليمها. ففي عام ٧٠٠ قبل الميلاد سك الملك الآشوري سحراريب قطعاً نقدية فضية، قيمة الواحدة منها نصفه شاقل، وهي أقدم ما عُرف في بلاد العرب من سكوكات رسمية<sup>(٢١١)</sup>. وفي العهد السبئي، ونجدتاً في القرن الرابع قبل الميلاد، سك اليمينيون نقداً شبيهاً بالنقد اليوناني، ورسموا على أحد وجهيه رأس آلهة أثينا وشعارها<sup>(٢١٢)</sup>. ثم تطور هذا النقد، وأصبح ذا شكل محلي في أشكاله، وضع الدرهم البابلي الذي يبلغ وزنه ٥,٦ غرامات. كما تطور في القرن الثاني قبل الميلاد، وأخذ يتبع في وئجه الدينار الروماني، وحصره في النصف الأول من هذا القرن، ثم ازدادت الحاجة إليه، وإلى سك عدد وفير منه، وذلك يعود إلى نمو الاقتصاد في أقاليم شبه الجزيرة الجنوبية، كما يعود إلى تطور العلاقات التجارية بين الإمبراطورية الرومانية في الشمال والدولة الجبزية في الجنوب<sup>(٢١٣)</sup>. وفي الحقيقة الأولى من تاريخهم ضرب ملوك جبز عملة ذهبية فضية ونحاسية، كانت تحمل صورهم على وجه، ورسوم البومة أو النسر أو الثور أو الهلال على الوجه الآخر<sup>(٢١٤)</sup>.

وعلى العموم فإن عملات الجنوب العربي قد تميزت بصفاتها وخلوها من الغش. فلذا كانت تُطلق عليها صفات تدل على ذلك، مثل: «وظيم» و«نعم» التي تؤكد على تمام العملة وجودتها<sup>(٢١٥)</sup>. كما تميزت بتعرفها على نظام الفئات العشرية، مثل: النصف والربع والثلث، وكانت كل فئة تحمل إشارة تُحدد قيمتها<sup>(٢١٦)</sup>. أما أمثالها فقد وردت في بعض النقوش التي اكتشفت هناك،

(٢١١) دار دورانت: قصة الحضارة - الشرق الأدنى، ص ٢٨٠.

(٢١٢) سبي وأسرار: تاريخ العرب، ص ٩٢.

(٢١٣) بركة النعم: الموسوعة الاقتصادية في الجزيرة العربية، ص ٢٧٠.

(٢١٤) سبي وأسرار: تاريخ العرب، ص ٩١.

(٢١٥) يسنون وآشورود: المعجم السبئي، ص ٩٠.

A Jamme: Yemen Expedition, P136.

G.F.Hill: The Ancient Coinage of Southern Arabia, the British Academy, London 1915, P3.

مثل: «مقر» و«بلطيم» التي تُعد من أكثر النقود وروداً في النقوش. وأما عملة قنبالية، وقد سُكبت بذلك لأنها سُكبت على الأرجح من مزيج من المعادن، و«محليت» وهي عملة سبئية، تُقدر بحوالي ١٠٠٠ معجم<sup>(٢١٧)</sup>.

أما في الشمال - الغربي من شبه الجزيرة العربية، ونجدتاً في سوريا فقد عثر البعثة الوطنية للأثار التي تُقرب الآن في مدينة حبل على قطعة نقدية ذهبية تظهر على وجهها صورة الإسكندر المقدوني، وعلى الوجه الآخر صورة سبئية فينيقية. ويقول المدير العام للأثار والمتاحف في سوريا ميشيل مقدسي إن هذه القطعة النقدية اليونانية (الدراخما) لا يوجد مثلاً في سوريا ولا في لبنان، وأن مثيلاتها في العالم قليل جداً لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليد<sup>(٢١٨)</sup>. ويُروى أن ملك الأنباط الحارث الثالث الذي دام حكمه حوالي ربع قرن من الزمان من عام ٨٧ إلى عام ٦٢ قبل الميلاد هو أول من سك عملة بيطية على الطراز الهلنسي ووفق المعيار البطليموسي للنقد. ومع مرور الوقت تفرزت هذه العملة، وأخذت طابعها المحلي في الشكل، ولكن دورها كان يتبع النقد الصوري الذي كان تقليداً للعملة السلوقية - الهلنسية أيضاً. وتظهر القطع الأثرية المكتشفة، أن نظام النقد السبئي عرف نظام الفئات العشرية كالنصف والربع، كما عرف نوعاً من التخصص في سك العملة، بمعنى أنه كان لكل مدينة عملة خاصة بها من البرونز، إلى جانب عملة الدولة الرسمية التي كانت تُستخدم في التجارة الخارجية<sup>(٢١٩)</sup>.

K.Irwin: Some Notes on old South Arabian Monetary Terminology, Journal of Royal Asiatic Society, Ras Society, London 1964, P19. A.Jamme: Yemen Expedition, P134-136.

(٢١٥) السبي، عدد ٩٣٠٨، الاثنين ٢٢ أيلول عام ٢٠٠١م، الموافق ١٧ رجب عام ١٤٢٢هـ، ص ٢٠.

G.F.Hill: The Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia, PXL.

بركة النعم: الموسوعة الاقتصادية في الجزيرة العربية، ص ٢٧١. صالح أحمد المكي: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، ص ٤٨.

Y.Musharraf: Nabataean Coins, the Institute of Archaeology, P17.



الأولى من أيام الحارث الثالث، واشتهت في العام السابع  
الميلادي، مع تلك العملات نوبة وأصاها الديار الروماني، وتحتوي على  
نسبة من الفضة تتراوح ما بين ٩٦٪ و ٦٣٪. والثانية بدأت من العام  
الميلادي واستمرت حتى سقوط الدولة البعلبية في عام ١٠٦ ميلادية،  
وهي مدهورت العملات، ونسبة قيمتها ونسبة الفضة فيها حتى أصبحت تتراوح  
ما بين ٥١٪ و ٢٠٪. وعلى الرغم من تدني قيمتها عن قيمة الديار الروماني،  
لا يمكن تعادل قيم عملات تلك ولاية سوريا أيام الاحتلال الروماني<sup>(١١٤)</sup>.

وتدبر المصادر أسباب هذا التدهور إلى ظروف الأنشطة السياسية  
والمعسكرية والاقتصادية. وكان أبرز هذه الظروف المساعدات العسكرية التي  
تقدمها الأساط للرومان في حملتهم على الإسكندرية سنة ٤٧ قبل الميلاد،  
والمساعدات التي قدموها لهم في حملتهم على بيت المقدس وإسقاط الأسرة  
المكابية اليهودية فيها<sup>(١١٥)</sup>. وقد حدث كل ذلك في عهد ملكهم ماثك الأول  
٤٧١ - ٣٠ قبل الميلاد الذي اضطر إلى ملك نفوذ يرومزية كثيرة، لدفع ممتلكات  
الحبوب، وشحنه مقاتلين آخرين<sup>(١١٦)</sup>. وكان من أبرزها أيضاً الصقوط السياسية  
والاقتصادية التي ماوسها الرومان، بعد احتلالهم مصر وسوريا، على حياة  
الأساط، وسطرتهم على الطرق التجارية البرية والبحرية، في عهد عبادة الثالث  
(٣٠ - ٩ قبل الميلاد) الذي اشترك في الحملة التي أرسلها أغسطس قيصر بقيادة  
يوس هاريوس لغزو بلاد اليمن<sup>(١١٧)</sup>. وقد أدى كل ذلك إلى إضعاف العملات  
السلطة، والتي تدني نسبة الفضة فيها وتدني روتها، فبعد أن كانت تزن ٦,٦٦  
غرامات أصبحت تزن ٤,٤ غرامات. ولدعم عملته، لجأ عبادة الثالث إلى

<sup>(١١٤)</sup> صالح الحلي: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٩٧.

<sup>(١١٥)</sup> صالح الحلي: تاريخ العرب، ص ١٠٤. عبد العزيز سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١١٠.

<sup>(١١٦)</sup> صالح الحلي: تاريخ العرب القديم والحديث، ص ١٨. سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١١٠.

<sup>(١١٧)</sup> صالح الحلي: تاريخ العرب القديم والحديث، ص ١٨. سالم: تاريخ الدولة العربية، ص ١١٠.

لرب عملات أكبر حجماً من العملات الرومانية التي كان يصارحها تزن ٣,٠٠٩ غرامات ويحتوي على نسبة عالية من الفضة تزيد على العشرة النسخة<sup>(١١٨)</sup>.  
والتي كانت وسيلة التعامل في الولايات الرومانية الشرقية. وتكون العملة السلطية  
أكبر حجماً بجعل الأهالي يفيلون عليها أكثر من الديار الروماني الأقل حجماً،  
خاصة أن وسائل الكشف عن نسبة الفضة في العملة وتحديد قيمتها غير متوفر  
لدى عامة الناس حينذاك<sup>(١١٩)</sup>. وكانت تلك الظروف في عهد الحارث الرابع،  
الذي حكم ما بين عامي ٩ قبل الميلاد و ٤١ ميلادية، داخلية وخارجية، من  
جهة تعرضت دولة الأنباط إلى هجمات القبائل النجدية والصفوية المحاورة لها،  
ومن جهة أخرى أقدم هذا الملك على تنفيذ عدد من المشاريع العاتقة في مدينة  
التراب: مثل: قصر بنت فرعون، والمسرح الوطني وغيره. وقد ساعدت كل  
هذه الظروف في إتهالك خزانة الدولة، وفي إضعاف العملة الوطنية التي سُكّت  
سها كميات كبيرة لسد العجز، كانت نسبة الفضة فيها قليلة ونادرة. وهكذا  
انحدرت هذه العملة في التدهور والضعف، وفي تدني نسبة الفضة فيها حتى  
وصلت إلى ٢٠٪ في المسكوكات البرونزية، بعد أن كانت هذه النسبة ٩٦٪ إبان  
رعاها<sup>(١٢٠)</sup>.

وعلى أثر سقوط مملكة الأنباط بأيدي الرومان، ورثت تدمر، التي تقع  
على بعد ١٥٠ كيلومتراً من دمشق وفي الجهة الشمالية - الشرقية منها، مركز  
أشياء التجاري والسياسي، وظهرت فيها نقود، سُكّت على الطراز الروماني.  
ولم تنطو هذه النقود إلا في عهد زنوبيا التي تسلمت عرش تدمر عام ٢٦٧  
بلاية كوسية على ابنها القاصر وهب اللات، والتي ضربت مسكوكات خالية  
من رسم وأس أورليانوس الذي كان يُنتقش عليها سابقاً<sup>(١٢١)</sup>. وعندما دخل  
مصر تدمر بلاه مصر، سُكّت زنوبيا في الإسكندرية عام ٢٧٠ ميلادية عملة

<sup>(١١٨)</sup> صالح الحلي: المرجع السابق، ص ١٨ - ١٩.

<sup>(١١٩)</sup> Mesharri: Nabatean Coins, P30.

<sup>(١٢٠)</sup> نورة النجم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٢.

<sup>(١٢١)</sup> Mesharri: op.cit, P41, §1.

<sup>(١٢٢)</sup> صالح الحلي: تاريخ العرب، ص ١٦٣.

تدعى أخرى، نقش عليها صورة وجه وهب اللات إلى جانب صورة وجه أورليانوس، وذلك إشارة إلى أن وهب اللات قد أصبح يحكم مصر من قبل (إمبراطور الروماني) <sup>(٢٢١)</sup>

والى جانب هذه العملات، كان العرب في دولة الكرخ (دولة ميسان) التي تقع في المنطقة التي يخترقها نهر دجلة وشط العرب ونهر الكرخة، يستخدمون نفوساً سكها أحد ملوكهم المدعو مباسينوس، أي (كاسح الأرض) الذي دحر الساسانيين، وعزا بابل ودخلها سنة ٦٢٩ قبل الميلاد، واتخذ لنفسه لقب ملك العرب وقد تكاثرت أعداد هذه النقود في المهود التالية بسبب إقدام الملوك الذين حازوا بعده على سك عملات مصورة مستمرة، كانوا ينقشون على أحد وجهيها صورة لرؤوسهم تتحلى فيها سحتهم العربية وأزيائهم العربية، وعلى الوجه الآخر صورة ترمز للألوهة الإغريقية، وكتابات بالإغريقية وبالآرامية. ومن هذه العملات عُرفت أسماء ملوك دولة ميسان <sup>(٢٢٢)</sup>.

وفي مدينة الرها التي تقع في الجزيرة الفراتية، شحالي الرافدين، والتي نشأت فيها دولة الأباجرة، ما بين عامي ١٣٢ و ٢٤٢ ميلادية، كانت تستخدم أيضاً نقود مكتوبة بالإغريقية، ومسكوكة على الطراز الهلنستي، ومقدرة على عيار بطلينوس للعملة <sup>(٢٢٣)</sup>. كما كانت تتداول في أسواق دولة الحضر، التي نشأت في بادية الجزيرة الفراتية ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الثالث الميلادي، نقود نقش عليها صورة النسر، ورمزاً لأله الشمس، مع عبارة «الحضر مدينة الشمس»، وعلى وجهها الثاني صورة إله الشمس الذي يرمز إليه شاب حول رأسه هالة مشعة <sup>(٢٢٤)</sup>.

Encyclopedia Britannica, vol 17, P163.

(٢٢١)

مقام تاريخ الدولة العربية، ص ١٢٩، ١٣٠.

(٢٢٢) صالح أحمد الطلي: تاريخ العرب القديم، ص ٦٥.

(٢٢٣) المرجع نفسه، ص ٨٢.

(٢٢٤) المرجع نفسه، ص ٨٦.

والى جانب نظام النقد كان العرب يعززون نظام الموزن والكيل ونقود النقوش التي اكتشفت في أنحاء مختلفة من بلاد العرب على وجه الخصوص والمكابييل في العصور التي سبقت ظهور الإسلام ومن بعض الأمثلة التي وردت في هذه النقوش، يُعزف إلى بعض هذه المكابييل، مثل برمت وسامع وأقدوم، ويُعزف البرت جام لفظة برمت بأنها مقياس للحبوب والحواري، وهو مكبال وسمي يعادله ستة أرتال، وُجدت تعادج منه مصنوعة من البرونز <sup>(٢٢٥)</sup>. وقد وردت لفظة برمت في النص التالي: برمت حرب/ قود/ برن/ نسن/ برمت. وهذا يعني أن محصول الأرض في موسم الصراب ثمانية برمت <sup>(٢٢٦)</sup>. أمّا النقود فهو مكبال يُستخدم في اليمن حتى الآن، ويبلغ وزنه ٦,٥٥٦ كيلوغرامات <sup>(٢٢٧)</sup>. وهناك مكبال للحب يُعرف باسم نعن، ومكبال باسم حطب <sup>(٢٢٨)</sup>. وفي قرية الفاو عُثر على مكبال خشب كان يساوي ما يُعرف بالمذ النيري <sup>(٢٢٩)</sup>.

وفي عهد رسول الله ﷺ، حيث كان معظم الناس لا يزالون على الشرك، كان العرب يستخدمون المكابييل التالية: الصاع، والمذ، والفرق، والفسط، والوسق، والمختوم، والقفيز، والمكوك. وكان الصاع مكبال لأعلى المدينة المنورة، يساوي خمسة أرتال وثلاث <sup>(٢٣٠)</sup>، أو أربعة أمداد بمذهم المعروف عندهم، أو أربع حفشات بكفي الرجل الذي ليس بهظم الكفيس ولا صغيرهما <sup>(٢٣١)</sup>. والمذ ربعة وهو وطل وثلاث. وفي ذلك يقول أبو عبيد الصاع خمسة أرتال وثلاث. والمذ ربعة، وهو وطل وثلاث. وذلك برطلنا هذا الذي وزنه مائة درهم وثمانية وعشرون درهماً <sup>(٢٣٢)</sup>. والفرق يساوي ستة أنساط

A Jamme: Yemen expedition, P131.

(٢٢٥)

(٢٢٦) أحمد شرف الدين: تاريخ اليمن الغامبي، ج ٢، ص ٥٥.

(٢٢٧) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٢٢٨) يسنون وآخرون: المعجم السبئي، ص ٦٧ و ٦٥.

(٢٢٩) عبد الرحمن الأنصاري: قرية الفاو، ص ٢٨.

(٢٣٠) أبو عبيد القاسم بن سلام: الأموال، ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢٣١) عبد الحي الكفاني: نظام الحكومة النبوية ضمن التراتيب الإدارية، الجزء الأول، ص ٢٨.

(٢٣٢) أبو عبيد: الأموال، ص ٢١٠.



أو ١٢٠٠ صاعاً، والقط نصف صاع، والوسن ستون صاعاً أو ستون مختوماً.  
وقد لم يعد، والمختوم ما هما هو الصاع بعينه وإنما سُمي مختوماً لأن  
الأمر جعلت على أعلاه خاتماً مطبوعاً لئلا يُزاد فيه، ولا يُنقص منه<sup>(٢١٢)</sup>.  
والقبر يساوي عشرين صاعاً، والمكوك يساوي صاعين ونصف<sup>(٢١٣)</sup>.

ويروى المصادر أن أحمال الحيوانات كانت تستخدم كوحدات للكيل  
والوزن وقد ورد في نقش معيني أن الضريبة التي كانت تؤخذ في ديدان على  
حمل حمار من المواد الغذائية تساوي صاعاً كاملاً. كما كانت الأوزان في تدمر  
تُحقد بحمل حمل أو بحمل حمار عند دفع الضرائب الجمركية<sup>(٢١٤)</sup>.

وفي مناطق مختلفة من بلاد العرب عشر المثقبون الأثريون على عدد من  
القطع التي تمثل وحدات وزن من أحجام مختلفة وفئات متنوعة. ففي ظفار مثلاً  
عُثر في مدينة سمهرم على وحدة وزن معدنية، تزن ٦,٥ أوطال، نُقش عليها  
اسم إله حضرموت واسم الملك الحضرمي<sup>(٢١٥)</sup>. وعُثر في قرية القار على  
وحدة وزن مشابهة لهذه القطع، ولكنها تزن أربع كيلوغرامات. كما عُثر فيها  
على وحدات وزن مشابهة لها، إلا أنها ذات أحجام صغيرة<sup>(٢١٦)</sup>. وأشار بليونس  
إلى أن رجال الذين في بلاد العرب كانوا يأخذون عشر المحصول وزناً<sup>(٢١٧)</sup>.

ورددت لي بعض النقوش الأثرية ألقاظ، تدل على وجود هذه الأوزان  
مثل مكت، ووضفا وهي تدل على تحديد أوزان المعادن كالفضة  
والنحاس، ورجيم وهي أيضاً استخدمت لتحديد أوزان المعادن، كما  
استخدمت كوحدة وزن<sup>(٢١٨)</sup>؛ وعسيم وهي وحدة وزن خاصة بالفضة،

(٢١٢) المصدر نفسه، ص ١٠٦.

(٢١٣) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٢١٤) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٩.

(٢١٥) المرجع نفسه، ص ٢٧٩.

(٢١٦) لاهاري: قرية العار، ص ٢٨.

(٢١٧)

Pliny: Natural history, Bk12, P47.

(٢١٨) حواد علي: المعقل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٧، ص ٦٢٢.

A. Jamme: Inscription from Mahram Bilqis, Ja (572/4) P59-60, Ja (606/8) P106, Ja (609/516) P107.

وكركر، وقنن وهما وحدتا وزن، ويطلق وهي من المصطلحات التي استخدمت  
كوححدات وزن أيضاً<sup>(٢١٩)</sup>.

وكانت قريش في الجاهلية تزن الفضة بوزن تسية درهماً، وتزن الذهب  
بوزن تسية ديناراً، فكل عشرة من أوزان الدراهم سبعة أوزان الدنانير. وكانت  
لهم الأوقية، والرطل، والنش وهو نصف الرقية، وقد حُزئت الصاد شيئاً.  
وكانت لهم التواة وهي وزن خمسة دراهم، وقيل التواة تواة النمر<sup>(٢٢٠)</sup>.

وعرف العرب قبل الإسلام أيضاً ضرائب التجارة وأنطمنها، وفرضوها  
على التجار المحليين والتجار الآخرين. فكانت قريش تفرض الضرائب على  
التجار الأجانب الوافدين إلى مكة، وعلى التجار الصغار العرب غير المرتبطين  
بمخالف معها<sup>(٢٢١)</sup>. ومن ذلك ضريبة العشر، فكانوا يعشرون من يدخل مكة من  
تجار الروم. وكانت حكومة تدمر تأخذ من التجار الذين يعشرون في أراضيها  
ضرائب جمركية مُحَدَّدة<sup>(٢٢٢)</sup>.

وقد شكّلت هذه الضرائب جزءاً هاماً من خزينة الدولة. ونظراً لأهمية هذا  
الدخل، فقد سنت الحكومات القوانين التي تنظم الأسواق وحركة البيع  
والشراء، والتي تنظم نسب الضرائب والمكوس. وأولت اهتماماً خاصاً بالطرق  
التجارية، وأقامت عليها مراكز ومحطات جمركية، وقد ذكر بليونس ٦٥ محطة  
كانت موزعة على الطريق التجاري الذي يصل الجنوب العربي بشماله<sup>(٢٢٣)</sup>.  
وكانت هذه الحكومات تُعين في الأسواق مراقبين نشطين، وجباة لجمع  
الضرائب من التجار العابرين والمقيمين<sup>(٢٢٤)</sup>. كما كان الملوك يملكون الرسل في

(٢١٩) يستون وآخرون: المعجم السني، ص ٢١ و ٩٠ و ١٠٦.

Jamme op.cit, P106-107.

(٢٢٠) راجع صفحة ٢٣٨.

(٢٢١) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٨.

(٢٢٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٣٩. الأوزني: أخبار مكة، ج ١، ص ١٠٧.

(٢٢٣) صالح أحمد العلي: تاريخ العرب القديم، ج ١، ص ٦١.

(٢٢٤)

Pliny: Natural history, Bk12, P47.

(٢٢٥) نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٢ - ٢٧٤.

السوق سحناً عن سائر القبائل، ليحضروا سهم ما لهم عليهم من  
صرائب<sup>(١٨٠)</sup>

ولم تكن هذه الصرائب تدفع نقداً فقط، بل تدفع عيناً أيضاً. وفي  
الحروب العمومية كانت الصرائب تؤخذ عينية من محاصيل اللذان قبل أن يتم  
تصديرها. كما كانت المجالية الممينة في ديدان تدفع لكبيرها صاعاً عن كل  
حقل حمار من المواد الغذائية. وقدمت جماعة من التجار المعيلين الذين كانوا  
يعيشون في خارج البلاد، عدداً من الإماء إلى معبد الآلهة في العاصمة  
لحرار<sup>(١٨١)</sup>

وتروي الأخبار أن الأناوة في سوق غكاظ كانت تدفع عيناً أيضاً. فقبيلة  
مزار كانت تقدم إلى زهير بن جبيعة الغبسي الخطفاني الأناوة سحناً وغنائماً  
وحماً وقبيلة الأزد كانت تدفع إناوة إلى عبد الله بن جعدة أمتعة وسلعاً<sup>(١٨٢)</sup>.  
ويشير بلنرس إلى أن هناك صرائب كانت تدفع للمعابد وأخرى للملوك،  
عن طريق إفاضة الرلائم والمشاوريع الدينية أو الحكومية<sup>(١٨٣)</sup>.

## ملاحق الكتاب

(١٨٠) عرافة محمد حنوري: أسواق العرب، ص ٥٥.

(١٨١) سيرة الحبيب: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٢٧٤.

(١٨٢) عرافة محمد حنوري: أسواق العرب، ص ١١٣ - ١١٥.

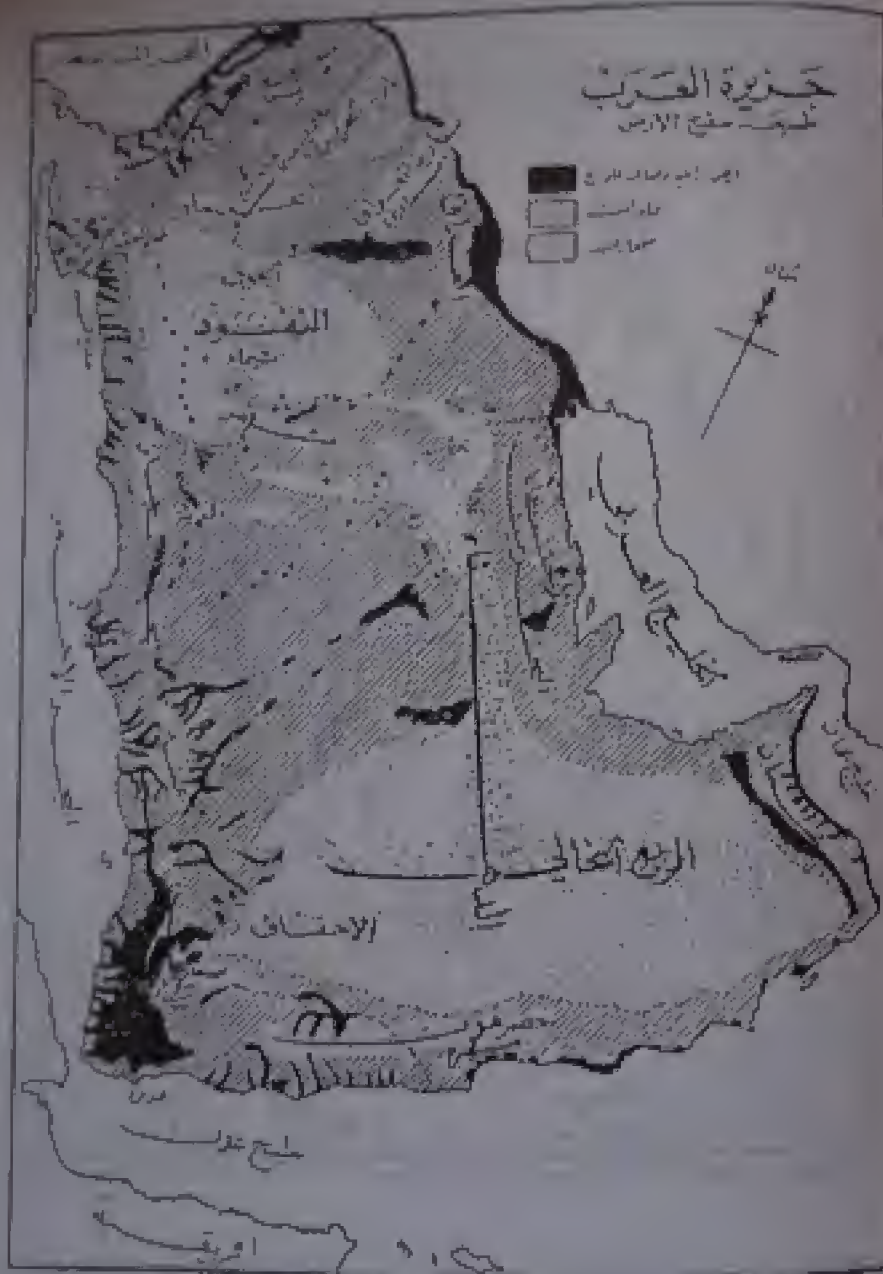
(١٨٣)

Pliny: Natural history, 312, P47.





الموقع الطبيعي لشبه الجزيرة العربية من قارات العالم القديم  
 بعد أحمد الرشدي: الشكسية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٢٧٩



جزيرة العرب: طبيعة سطح الأرض

من: "العراق" تاريخ العرب، ص ١٢



تطور الجيولوجي لتكوين الأراضي في شبه الجزيرة العربية

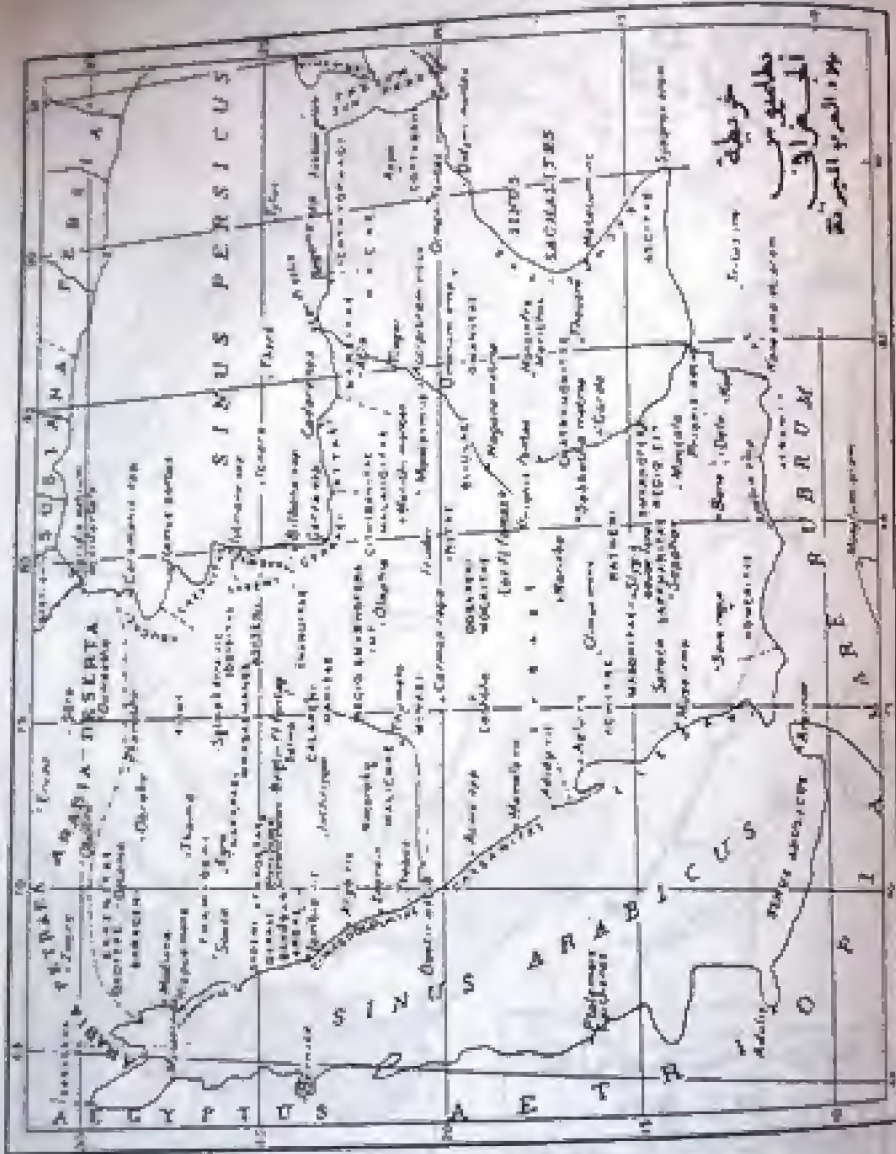
من: أحمد الرويش، التسمية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، ص ٢٨١





خريطة بطليموس للعربية السعيدة باللغة العربية

خطي وأخرى: تاريخ العرب، ص ٨٠.

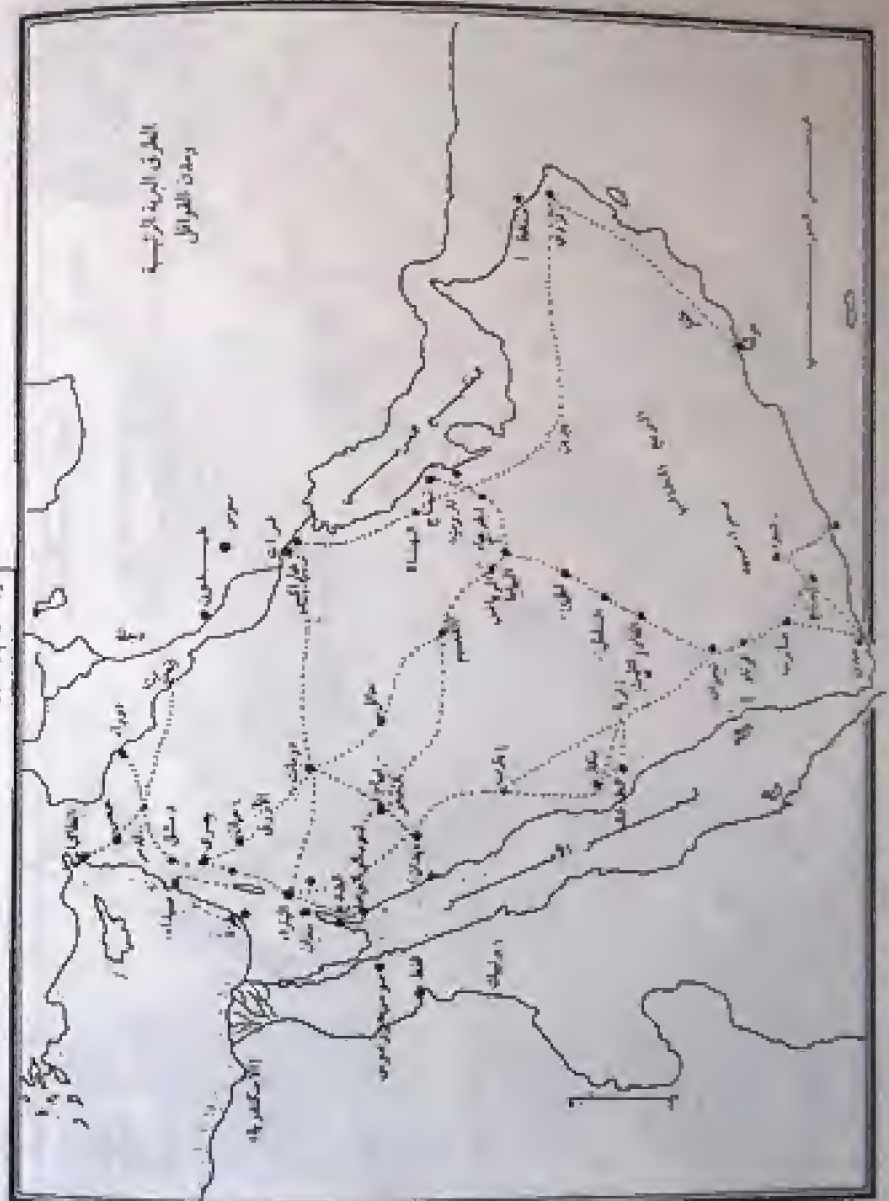


خريطة بطليموس للعربية السعيدة باللغة الأجنبية

خطي وأخرى: تاريخ العرب، ص ٨٠.







الطرق البرية الرئيسية ومدن القوئل

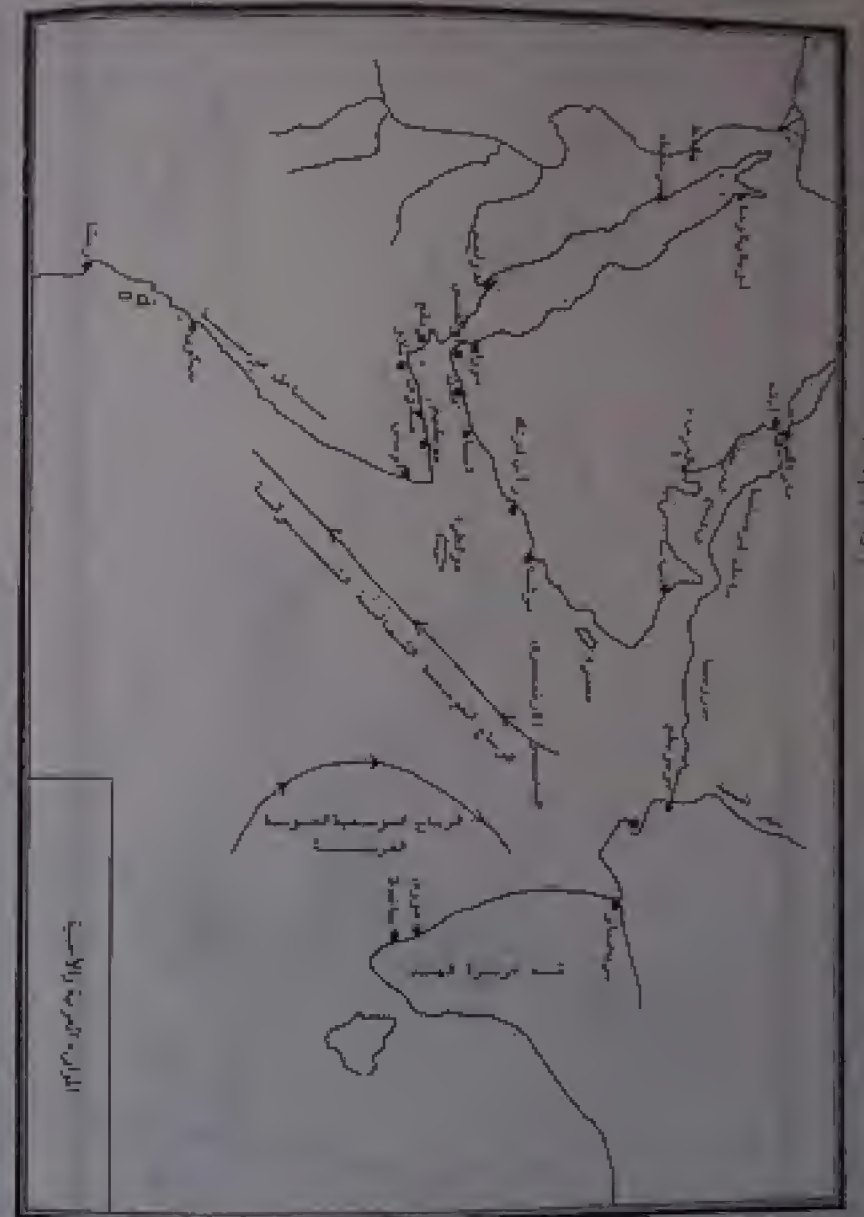
• صورة التعميم الوضع الاقتصادي من الجزيرة العربية، ص ٣٢١.

اسمها وكم (١٤٣)

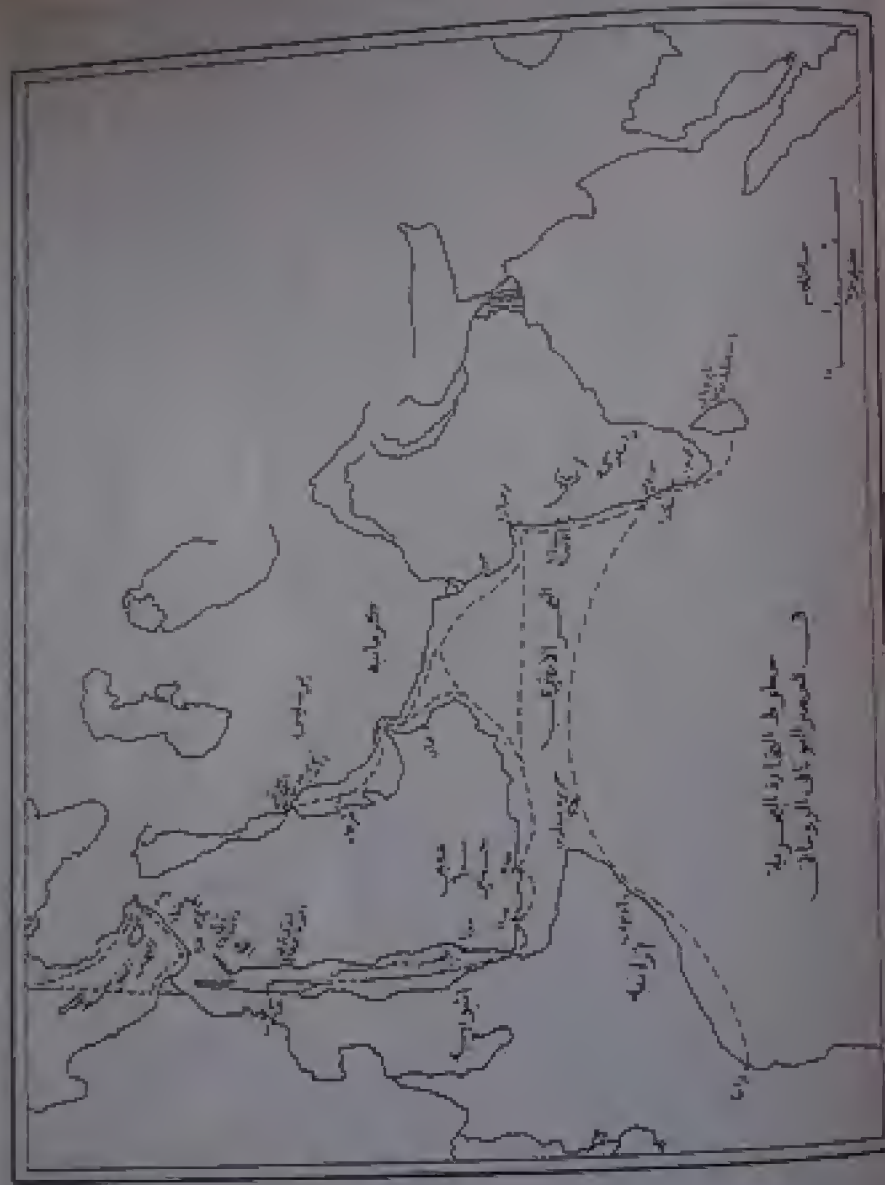


الطرق البرية في جنوب شبه الجزيرة العربية

• صورة التعميم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٣٢٢.

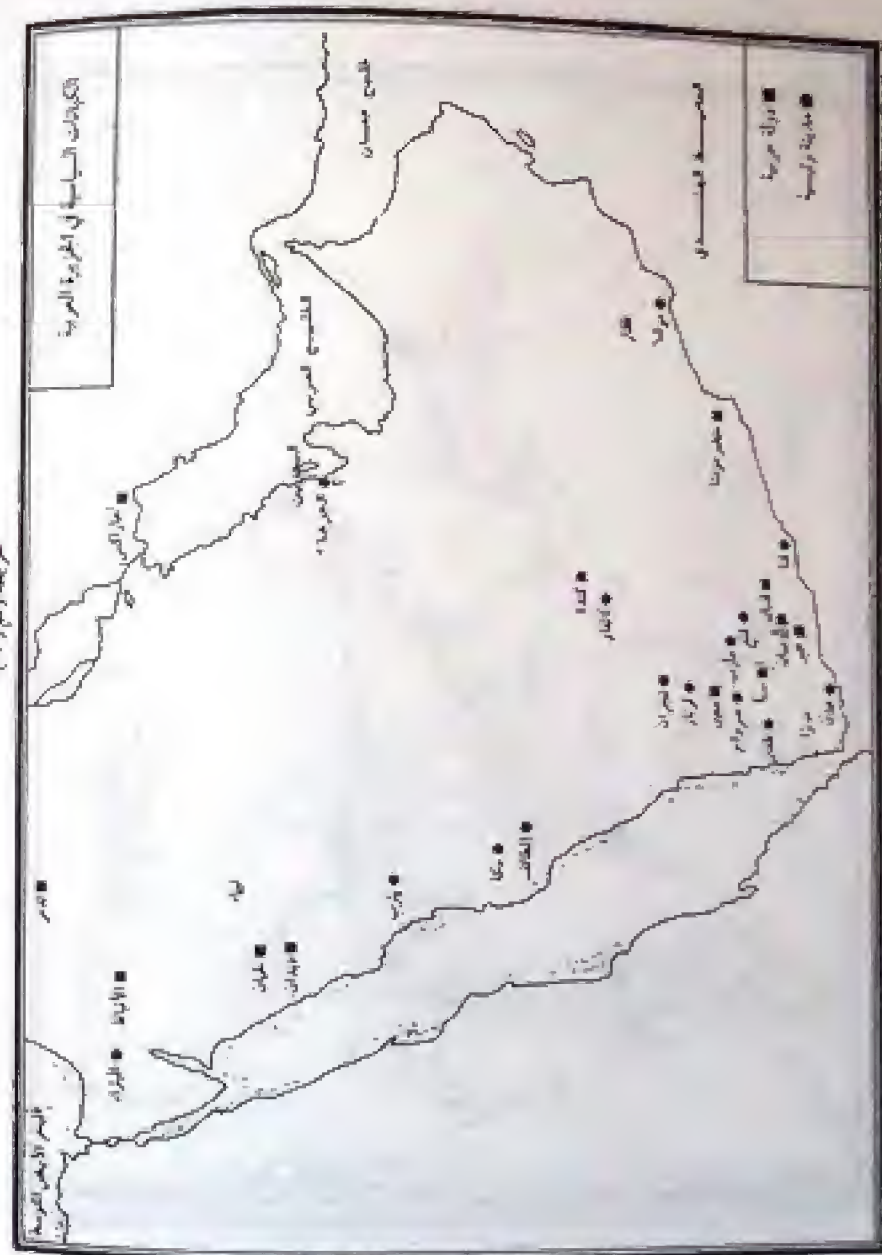


الموانئ العربية والأجنبية  
في البحر المتوسط الاقتصادي في الفترة العربية، ص ٣٢٥.



خطوط التجارة البحرية في العصر البيزنطي الروماني  
الغني عبد الرزاق يحيى: العرب في المصور القديمة... ص ١٧٩.





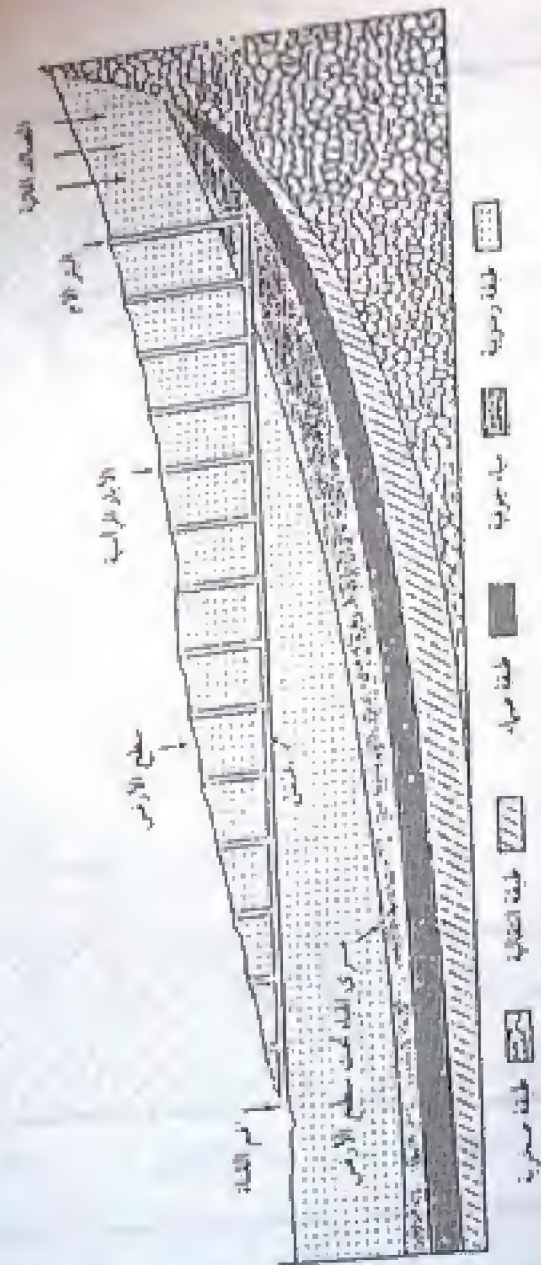
### الكائنات السياسية في شبه الجزيرة العربية

- دولة العجم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٣٢٢.

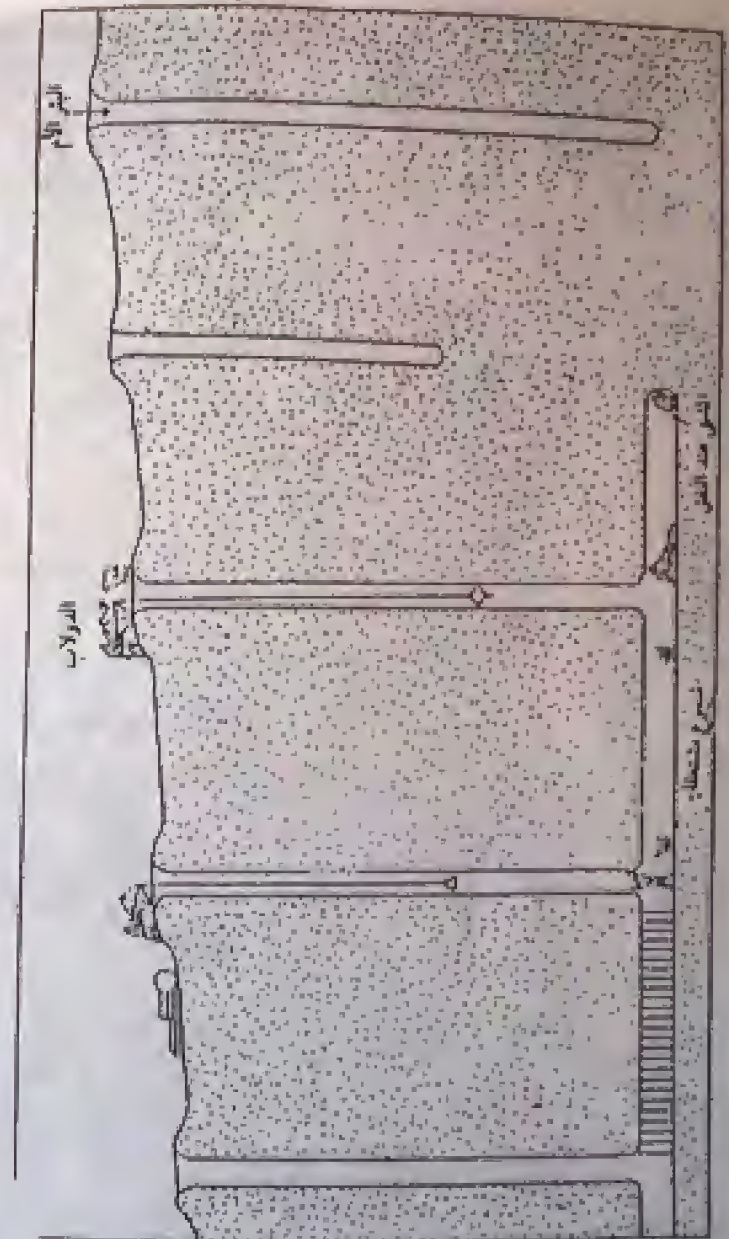


### قسم من سد مأرب

- لفظي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة، ص ١٨٨.

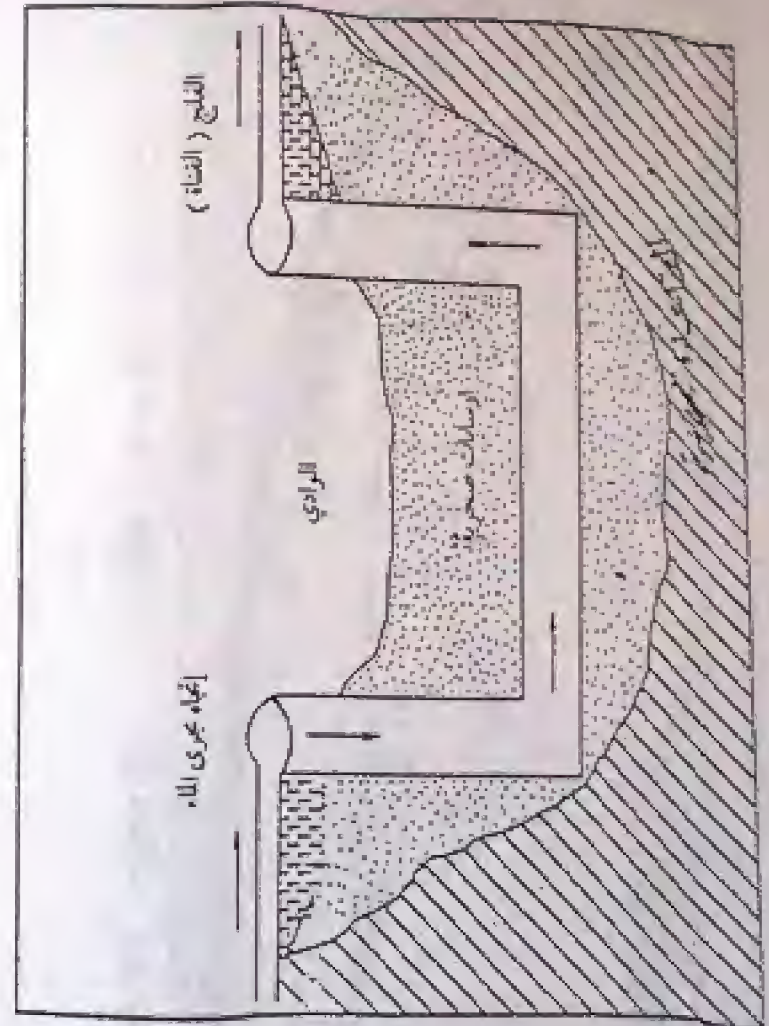


مخطط يوضح كيفية جلب الماء المحفوظ تحت سطح الأرض  
ليجري على وجه الأرض في موقع آخر أقل ارتفاعاً  
عبد الله، القنوات والنظام الزراعي في المدينة، المصور، ص ٢٠٩.

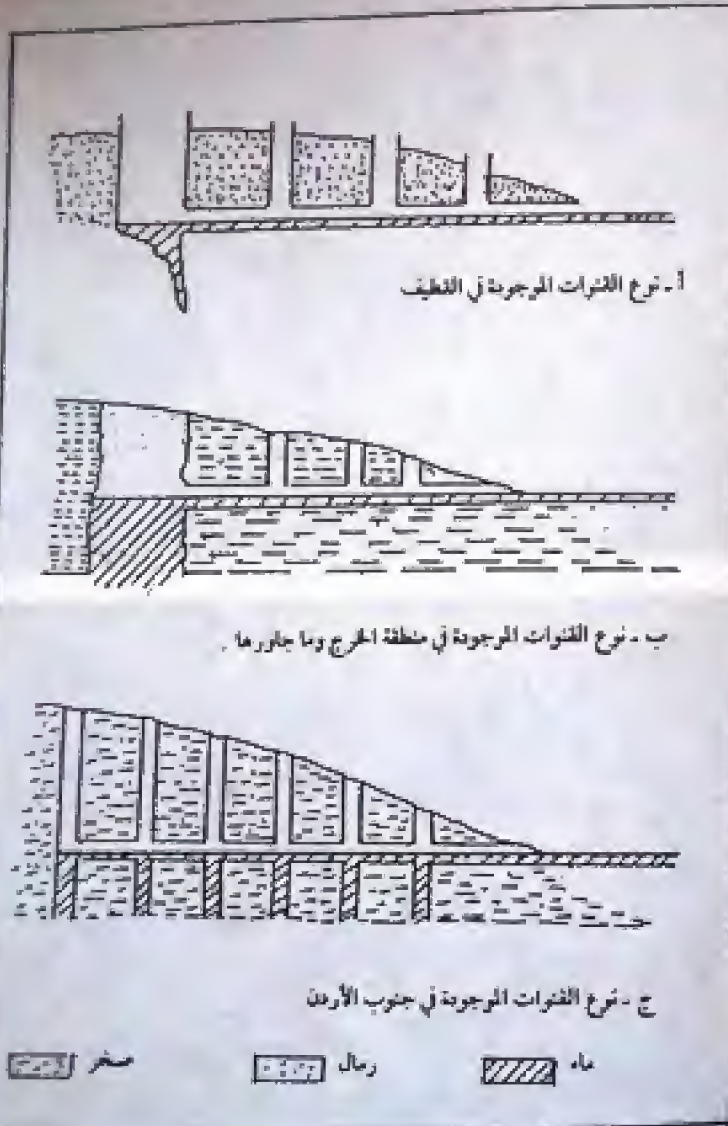


مخطط يوضح طريقة حفر القناة وكذا بدأ العمل من نقطة مخرجها إلى سطح الأرض  
في اتجاه البحر الأم التي سبق حفرها في مكان تتولد فيه المياه تحت سطح الأرض  
عبد الله، القنوات والنظام الزراعي في المدينة، المصور، ص ٢١٠.





طريقة السيفون لحملية القناة من السيل عند عبورها للرادى  
- نقلاً من نصيف، عبد الله، القنوات والنظام الزراعي في المدينة، العصور، ص ٢١١ -



نماذج من أنواع القنوات  
- نورة النعيم: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية، ص ٣٣١ -



تماثيل فخارية



عملة نبطية

نماذج لعملة عربية قديمة

العلمي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة... ص ١٦٨.



أواني فخارية

مكتبة الدولة العربية لدول الخليج: الدليل الأثري والمضماري لمنطقة الخليج العربي، ص ٣٠ و ١٨٥.



## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني الكامل في التاريخ، دار صادر، دار بيروت، بيروت ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الشعب، القاهرة ١٢٨٠هـ.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد: رحلة ابن بطوطة، بيروت.
- ابن ثابت، حسان - ديوان حسان بن ثابت، تحقيق الدكتور سيد حنفي حسين.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد - المحيّر باعتناء إيلزه ليختن شنيتر، المكتب التجاري لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لا تاريخ.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد: المصنف، تحقيق خورشيد فاروق، جلد آباء ١٣٨٤هـ.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد: جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليثي بروشمال، دار المعارف، مصر ١٩٤٨.
- ابن جوقل، أبو القاسم محمد النصيري البغدادي: كتاب صورة الأهرام، مطبعة بريق، لندن ١٩٣٨.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: كتاب العبر وديوان المبتدأ وانحصر في أيام العرب والمعجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي لطباعة، بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- ابن خردادبة، أبو القاسم عبد الله: المسالك والممالك، باعتناء دي غويو، مطبعة بريق، لندن ١٨٨٩.

ابن خلدون، محمد. مقدمة عن آثار سادة، مطبوعات الإدارة العامة للأثار والمباحث  
الرجسية ١٩٥٠.

ابن سعد، أبو علي أحمد بن محمد. الأعراف النبوية، باعتناء دي عورية، مطبعة  
بريك، بيروت ١٩٩١.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن ميم. الطبقات الكبرى، باعتناء أوجيب متوح،  
دار صادر، بيروت ١٩٦٧.

ابن سلام، أبو عبد القاسم الأموال، مؤسسة باصر للتأليف، بيروت نشر بين الثاني  
١٩٨١.

ابن سعد، أبو حسن علي بن إسماعيل. المختصر، المكتبة النجاشي للطباعة  
والنشر، بيروت لا تاريخ.

ابن شاذي، أبو عبد الله عمر. تاريخ المدينة المنورة، تحقيق مهيم محمد شلتوت، دار  
الترجمة، بيروت ١٩٩٠.

ابن شاذي، أبو عبد الله عزرا بن شاذي، دار صادر، بيروت ١٩٥٨.

ابن عبد ربه، أحمد القرطبي، تحقيق سعيد القرطبي، مطبعة مصر، القاهرة ١٣٧٠هـ.

ابن عبد ربه، أبو عبد الله، ديوان طرفة بن العبد، تحقيق علي الجندي، مكتبة الأنجلو  
مصرية، القاهرة ١٩٥٨.

ابن عديم، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهذلي، كتاب البلدان،  
تحقيق يوسف النهادي، دار عالم الكتاب، بيروت ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ابن عتبة الديلمي، أبو محمد عبد الله بن مسلم. كتاب المعارف، تحقيق ثروة  
عبد الله، دار الكتب حيد، القاهرة ١٩٦٠.

ابن كثير، عماد الدين أبي العلاء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم، دار الأملس،  
الطبعة الثانية، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٦م.

ابن كثير، عماد الدين أبي العلاء إسماعيل. فصوص الأسياء، تحقيق لجنة من  
العلماء، مطبعة جامعة دار الفلم، بيروت ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن كثير، عماد الدين أبي العلاء إسماعيل. السيرة النبوية، تحقيق مصطفى  
عبد الواحد، دار المعرفه، بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ابن كثير، عماد الدين أبي العلاء إسماعيل. السيرة النبوية، دار المعرفه، بيروت  
١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب. كتاب الأسماء، تحقيق أحمد زكي، دار  
الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٤.

ابن ماسويه، يحيى. كتاب الحوارات وحملاتها، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧.

ابن المحاور، أبو الفتح جمال الدين بن يعقوب. صفة علاء الدين وسكة  
والبحار، المسماة بتاريخ المنصور، اعنى بطنه أوسكر لومبري، مطبعة بريل،  
لندن ١٩٥١.

ابن منبج، وهب. كتاب الشجيان في ملوك جنين حيدر آباد، الدكي، الهند  
١٣٤٧هـ.

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم. لسان العرب، دار صادر، بيروت، لا تاريخ.

ابن هشام، أبو محمد عبد الملوك: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم  
الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي،  
المطبعة الأولى والثانية، ١٩٣٦، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

ابن الوردة، عمرو: ديوان عمرو بن الوردة، شرح ابن السكيت، تحقيق عبد المجيد  
ملوحي، دمشق ١٩٦٦.

أبو العلاء، محمود طه. جغرافية شبه الجزيرة العربية، نشر مؤسسة سجل العرب،  
القاهرة ١٩٧٢، ونشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧.

أبو الفداء، الملوك الحفيد عماد الدين إسماعيل بن محمود. تقويم البلدان، دار  
الطاعة السلطانية، باريس ١٨٤٠م.

الأرياسي، مطهر. في تاريخ اليمن، شرح وتعليق علي نقوش، طباعة مصر  
القاهرة ١٩٧٣.

الأزرقعي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد. أخبار مكة وما جاء فيها من  
الآثار، بيروت ١٩٦٤.

الأصهاني، أبو الفرج. الأغاني، مؤسسة عمر الدين للطباعة والنشر، لا تاريخ.

الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد القارسي. كتاب المسالك والممالك  
مطبعة بريل، لندن ١٩٢٧، ومطبعة مصر، القاهرة ١٩٦١.



- الأسعداني، حمزة بن الحسين، تاريخ أبي ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ.
- الأسعداني، الحسين بن عبد الله، بلاد المغرب، تحقيق عبد الجاسر وصالح العالي، دار البعثة، الرياض ١٣٨٥ هـ.
- الأسعداني، أبو سعيد بن عبد الملك بن قريب، كتاب البعث، تحقيق عبد الله بن يوسف العليم، مطبعة المدي، القاهرة ١٩٧٢.
- الأعشى الكبير، محمود بن نيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق الدكتور محمد حبيب، المطبعة المروحية، مصر ١٩٥٠.
- الأفريقي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الطرابلسي المغربي، الأئمة والأمراء، تحقيق الدكتور غفران حسن، دمشق ١٩٦٤.
- الأفعاني، سعيد، أسواق العرب في الحاقبة والإسلام، الطبعة الثانية، دار الفكر، دمشق ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م.
- الأكرع، محمد علي، البين الحصار، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٧١.
- الألويسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، باقتضاء محمد سعيد الأتري، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٤ م / ١٣٤٢ هـ.
- الأزهري، عبد الرحمن الطيب، طربة الفار، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، جامعة الرياض، الرياض ١٩٨١.
- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، أضرار جديدة على دولة كندة من خلال آثار قرية الفاء، دراسات في تاريخ الحضارة العربية، مطابع الجامعة، الرياض ١٩٧٩.
- الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، وأحمد حسن عزال وجبوري كتف، مواقع أثرية وحضر من حضارة العرب، نسج الآثار والمتاحف بكيفية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤١٤ هـ.
- بانو، طه، علائق بلاد الرافدين بحيرة العرب، سرور ١٩٤٩.
- الشامي، المعلم بطرس، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت، لا تاريخ.
- التكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى الشفا، لجنة البائل والترجمة، القاهرة ١٩٤٧.
- التلاوي، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن حابر، أنساب الأشراف، تحقيق حميد الله، دار المعارف، مصر، القاهرة ١٩٥٩.

- التلاوي، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن حابر، شرح الطحاوي، دار المعرفة، بيروت، لا تاريخ.
- الكنته العلمية، بيروت ١٩٧٨.
- بليبي، أ. ي.، العرب والإسلام والحضارة العربية في الفروع العظمى، ترجمة أبي فريجة، الدار الشحنة للنشر، بيروت ١٩٧٣.
- البني، عدنان، تدمير والتدمير، نشر وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٨.
- برون، جاكوب، اكتشافات جزيرة العرب، ترجمة فادي تقي، بيروت ١٩٦٢.
- بيشون، أحمد، وأخرون، المعجم الشبي، مشروبات حامية صعدة، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٢.
- بيهيم، محمد جميل، دراسة وتحليل للعهد العربي الأميل، بيروت ١٩٧٤.
- توين، محمد، آثار معين في حواف اليمن، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥١.
- توينسي، أرنولد، تاريخ الشريعة، ترجمة الدكتور نقولا زيادة، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٦.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الشجر بالبحر، تحقيق حميد حسي، عبد الوهاب، دار الكتاب، دمشق لا تاريخ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، مطبعة الشبي مصر، القاهرة، لا تاريخ.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، الطبعة الرابعة، مكتبة الجاحظ، مصر، القاهرة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، جمع السديري، المطبعة الرحمانية، مصر، القاهرة ١٩٣٣.
- الجاسر، حمد، في شمال غرب الجزيرة العربية، دار البعثة، الرياض ١٩٧٠.
- الجاسر، حمد، بلاد بنوع، دار البعثة، الرياض، لا تاريخ.
- الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، المنطقة الشرقية، دار البعثة، الرياض ١٩٧٩.
- الجاسر، حمد، مدينة الرياض، دار البعثة، الرياض ١٣٨٦ هـ.

- الجاسر، حمد. أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- الجاسر، حمد: في سيرة غامد وزهران، دار اليمامة، الرياض ١٩٧٧.
- الجلالين: تفسير القرآن الكريم، دار مكتبة الملاح، دمشق، ودار المعرفة، بيروت لا تاريخ.
- الجوابي، أبو منصور موهوب بن أحمد: كتاب المعزب، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، طبعة مصر، القاهرة ١٩٦٩.
- حش، قليب وأدورد جرجي وجبرائيل جبور: تاريخ العرب، الطبعة الخامسة، دار غندور، بيروت ١٩٧١.
- الحري، إبراهيم بن إسحاق: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الحج، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض ١٣٨٩هـ.
- حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤.
- حمزة، فؤاد: قلب جزيرة العرب، الرياض ١٩٦٨.
- حنوز، عرفان محمد: أسواق العرب، الطبعة الثانية، دار الشؤون، بيروت ١٩٨١.
- الحوي، ياقوت: معجم البلدان، دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- حوراني، فضلوا: العرب والحلافة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٨.
- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي، أحمد السنائي، إبراهيم زكي خورشيد، عيد الحميد بونس.
- دواز، عمر عبد الحميد: المرامي ووسائل تحسينها في المملكة العربية السعودية، مطابع الرياض، الرياض ١٣٨٥هـ.
- الدمياطي، محمود مصطفى: معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٥.
- ديسو، ريت: العرب في سورية قبل الإسلام ترجمة عيد الحميد الدواخلي، طبعة مصر، القاهرة ١٩٥٩.

- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود: كتاب النبات، باعثة محمد خير الله، نشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٧٣، وطبعة بريل، لايدن ١٩٥٢.
- ديورانت، ول: قصة الحضارة: الجزء الثاني: الشرق الأدنى، ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.
- الرازي، الفخر: التفسير الكبير، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، طهران، لا تاريخ.
- الرشيد، ناصر بن الرشيد: سوق عكاظ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م لم يذكر دار النشر ولا مكان الطباعة في هذا الكتاب).
- رضا، فؤاد علي: ألم القرى: مكة المكرمة، دار المعارف، بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- الروثي، محمد أحمد: الشخصية الجغرافية للمملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، دار الواحة العربية، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- رياض، محمد: الإنسان، دراسة في النوع والحضارة، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٢.
- الزبيدي، محب الدين أبي الفيض محمد بن مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦هـ.
- الزبيدي، محب الدين أبي الفيض محمد بن مرتضى الحسيني: شرح القاموس، المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٦هـ.
- زلم، عبد القديم: الأموال في دولة الخلافة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ١٩٨٣.
- زياد، نقولا: دليل البحر الأبيض وتجارة الجزيرة العربية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ.
- زيدان، جرجي: العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ.
- زيدان، جرجي: تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لا تاريخ.
- سالم، عبد العزيز: تاريخ العرب في العصر الجاهلي، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٩.
- سالم، عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦.



- السفير، صحيفة ليلية يومية.
- السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: شرح اشعار الهذليين، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، الطبعة المصرية، القاهرة ١٩٦٥.
- سلطان، غانم: الملاحة البحرية وأهميتها للكويت قديماً وحديثاً، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٩٨٨.
- السلمي، عزام بن الأصح: كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما بنيت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن، القاهرة ١٣٧٣هـ.
- السعودي، جمال الدين أبي المحاسن عبد الله شهاب الدين: رقاء الوفاء بأخبار المصطفى، مطبعة الآداب والمزيد، القاهرة ١٣٢٦هـ.
- سوسة، أحمد: حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور، بغداد، لا تاريخ.
- شاكرا محمود: شبه جزيرة العرب - سير، المكتب الإسلامي، دمشق ١٩٧٦.
- شرف الدين، أحمد حسين: اللغة العربية قبل الإسلام، طبعة ثانية، مطابع الفرزدق، الرياض ١٩٨٥.
- شرق الدين، أحمد حسين: تاريخ اليمن الثقافي، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة ١٩٦٧.
- الشريف، إبراهيم: مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٦٥.
- شهاب، حسن صالح: أضواء على تاريخ اليمن البحري، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت ١٩٨١.
- شهاب، حسن صالح: فن الملاحة عند العرب، دار العودة، بيروت ١٩٨٢.
- صحيح البخاري بشرح الكورماني، المطبعة البهية المصرية، القاهرة ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٢.
- ظاظا، حسن: الساميون ولغاتهم، طبعة مصر، القاهرة ١٩٧١.
- عاقل، تيبه: تاريخ العرب القديم وعصر الرسول، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت ١٩٧٥.

- عبد العليم، مصطفى كمال: هيرودوت يتحدث عن العرب ولادهم - المصور، دار المريخ، لندن، الرياض ١٩٨٧.
- عبد النعيم، محمد: آثار ما قبل التاريخ وقبره في المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الرحيم محمد خير، مؤسسة جريسي للتوزيع والإعلان، الرياض ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
- عزام، عبد الوهاب: مهد العرب، طبعة مصر، القاهرة ١٩٤٦.
- علي، جواد: المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت.
- علي، جواد: مصطلحات الزراعة والرعي في كتابات المسند مجلة المجمع العلمي العراقي، المعهد العلمي العراقي، بغداد، م ٣٦، ج ٢، سنة ١٤١٥هـ.
- العلمي، صالح أحمد: تاريخ العرب القديم والبعثة النبوية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ٢٠٠٠.
- العقيلي، محمد بن أحمد عيسى: تاريخ المخلاف السليمان، مطابع الرياض، الرياض ١٣٧٨هـ.
- عنان، زيد بن علي: تاريخ حضارة اليمن القديم، المطبعة السلفية، القاهرة ١٢٩٦هـ.
- العيني، بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد: عمدة القاري، في شرح صحيح البخاري: إستانبول ١٣٠٨هـ.
- الغنيم، عبد الله يوسف: جزيرة العرب في كتاب المسالك والممالك لأبي عبد الله البكري، دار ذات السلاسل، الكويت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.
- فاروق، أحمد: دباغة الجلود وتجاورها عند العرب في مستهل الإسلام، دار اليمامة، الرياض ١٣٩٦هـ.
- فروخ، عمر: تاريخ الجاهلية، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤.
- الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب: الفاعوس المحيط، طبعة مصر، القاهرة ١٩٥٢.
- فليبيس، ويندل: كنوز مدينة بلقيس، ترجمة عمر الديراوي، بيروت ١٩٦١.
- القرآن الكريم.

- القزويني، زكريا بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة فردينان وستنفيلد،  
لندن ١٨٤٨ (نسخة محفوظة بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت).
- القلقيشندي، أبو المياف أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، نشر وزارة  
الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩١٣.
- القيسي، نوري: الطبعة في الشعر الجاهلي، دار الإرشاد، بيروت ١٩٧٠.
- الكتّاني، الشيخ عبد الحمي: نظام الحكومة النبوية المستقى التراتيب الإدارية، دار  
الكتاب العربي، بيروت، لا تاريخ.
- الكرخي، محمد بن الحسن الحاسب: أنباط المياه الخفية، دائرة المعارف  
العثمانية، حيدر آباد ١٢٥٩هـ.
- لانكستر، هاردينغ: آثار الأردن، ترجمة سليمان موسى، عمان ١٩٧١.
- لوريمر، ج. ج.: دليل الخليج العربي - القسم الجغرافي، مطبعة علي بن علي،  
الدرعة، لا تاريخ.
- منولي، محمد ومحمود طه أبو العلا: جغرافية الخليج العربي، الطبعة الثانية،  
مكتبة الفلاح، الكويت ١٩٨٥.
- منولي، محمد ومحمود طه أبو العلا: جغرافية شبه الجزيرة، جغرافية اليمن  
الشمالي، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٨.
- المزني، أحمد: الزكاة والضرائب في الكويت قديماً وحديثاً، دار ذات السلاسل،  
الكويت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق  
محمد محيي الدين عبد الحميد، طبعة رابعة، مطبعة السعادة بمصر، القاهرة،  
صفر ١٣٨٤هـ، حزيران ١٩٦٤.
- مصطفى، عمر ذيب: جزيرة فيلكا، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت  
١٩٨٨.
- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله بن أحمد: أحسن التقاسيم في معرفة  
الأقاليم، مطبعة بريل، لندن ١٩٠٦.
- معطي، علي: النفود العربية الإسلامية، مجلة الدراسات الإسلامية، المعهد العالي  
للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، الموسم  
الثقافي ١٤١٥ - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ - ١٩٩٧م.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: أمشاع الأسماح بما لمرسول من الأبياء،  
والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر، طبعة مصر، القاهرة  
١٩٤١.
- المقريزي، تقي أحمد بن علي: النفود الإسلامية، الحسن اشدر النفود في ذكر  
النفود تحقيق السيد محمد بحر العلوم، دار الزهراء، الطبعة السادسة، بيروت  
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- المقضي، إبراهيم أحمد: معجم المدن والقبائل اليمنية، منشورات دار الحكمة،  
صنعاء ١٩٨٥.
- مكتب التربية العربي لدول الخليج: الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج  
العربي، الرياض ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، الطبعة الثلاثون، بيروت ١٩٨٨.
- موسل، لويس: شمال الحجاز، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني، طبعة  
مصر، الإسكندرية ١٩٥٢.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد التيسابوري: مجمع الأمثال، طبعة مصر،  
القاهرة ١٣٥٢هـ.
- الناضوري، رشيد سالم: دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني،  
مطابع جامعة الملك سعود، الرياض ١٤٠٤هـ.
- ناني، يحيى خليل: نقوش خربة معين (مجموعة محمد توفيق)، مطبعة الممهد  
العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٥٢.
- نصيف، عبد الله آدم: القنوات والنظام الزراعي في المدينة المنورة - المعصور، دار  
المربخ، لندن، الرياض ١٩٨٦.
- النعيم، نورة عبد الله العلي: الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من  
القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواق، الرياض  
١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- هارون، عبد السلام: تهذيب سيرة ابن هشام، دار سعيد، مصر ١٩٥٥.
- هاردينغ، لانكستر: آثار الأردن، تعريب سليمان موسى، المطبعة الوطنية، عمان  
١٩٧١.



- Beeston, A.F.I: Hadramout in encyclopidia of Islam, J. Brill, Leiden 1971.
- Beeston, A.F.I. The Labakh texts, Qahtan studies in old South Arabian epigraphy, Luzac & Co. London 1971.
- Beeston, A.F.I: Warfare in ancient South Arabia, Qahtan studies in Old South Arabian epigraphy, Luzac & Co., London 1976.
- Beeston, A.F.I: The Ta'lab Lord of Pastrures texts, Bulletin of the School of Oriental and African studies, London 1955.
- Beeston, A.F.I: Somme features of social structure in Saba, Studies in the history of Arabia, Riyadh University press, Riyadh 1984.
- Berthoud, T. and Cleazion, S.: Farming Community of the Oman Peninsula, the Ministry of information and Culture, Journal of Oman studies, Vol.6, Part 2, Oman 1983.
- Bibby, Geoffrey: Looking for Dilmun, Penquin Book, 4th. edition, Middlesex Englan 1984.
- Bowen, Le Baron Richard: Irrigation in Ancient Qataban, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958.
- Bowen, Le Baron Richard: Archaeological survey of Beihan- Archaeological discoveries in South Arabia, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958.
- Bowen, Le Baron Richard: Ancient trade routes, Johns Hopkins Press, Baltimore 1958.
- Bowersock, G.: Roman Arabia, Harvard University Press, Cambridge Mass 1983.
- Browning, Iman: Palmyra, Chatto and Windows, London 1974.
- Brown, William R.: The horse of the Desert, New york 1929.
- Caton, thompson: The tombs and moon temple of Hureida Hadramaut, the society of antiquarian, Oxford, London 1944.
- Cleveland, Ray: An ancient South Arabian Necropolis, the Johns Hopkins Prss, Baltimore 1965.
- Costa, P.: Notes on the traditional hydraulics and agriculture in Oman, World archaeology, London 1983.
- Creasy, George: Qanats, Karez and Foggaras, Geographical Review, American Geographical Society, New York 1958.
- Crone, Patricia: Meccan trade and the Rise of Islam, Basil Black Well, Oxford 1978.
- Dayton, John: The Problem of climatic change in the Arabian Peninsula, the institute of archaeology, London 1975.

- الهندي، أبو محمد الحسن بن أحمد: صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٤.
- الهندي، أبو محمد الحسن بن أحمد: الإكليل، تحقيق محمد بن علي الحسن الأكرع، مكتبة الكاتب العربي، دمشق ١٩٧٩.
- الهندي، أبو محمد الحسن بن أحمد: كتاب الجوهريين العتيقين المائتين: الصفراء والبيضاء، تحقيق كريستر نوتول، الطبعة الثانية، وزارة الإعلام والثقافة اليمنية، صنعاء ١٩٨٥.
- الهندي، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨١.
- الواقدي، محمد بن عامر بن واقف: المعقازي، تحقيق مارسدن جونس، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، رمضان، ١٤١٤هـ.
- وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، الطبعة الثالثة، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٦.
- وزارة الإعلام والثقافة اليمنية: تاريخ عمان البحري، مسقط ١٩٧٩.
- وهبة، حافظ: جزيرة العرب في القرن العشرين، القاهرة ١٩٦٧.
- يحيى، لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، طبعة ثانية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩.
- اليسوعي، لويس شيخو: مختارات من مجالي الأدب في حداث العرب، الجزء الأول: العصر الجاهلي، تبويب وشرح وتحقيق فؤاد أفرام البستاني، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٠.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١.

## ثانياً: المصادر والمراجع باللغات الأجنبية:

- Abdulfattah, Kamal: Mountain farmer and Fellah in Asir, South west Saudi Arabia, Erlanger Geographische Arbeiten, Erlangen, 1981.
- Albright, Frank, P.: Catalogue of objects forend in Marib, Johns Hopkins press, Baltimore, 1958.
- Alster, Bendt: Dilmun Bahrain and the Alleged Paradise in Sumerian Myth and literature in Dilmun, New studies in the archaeology and early history of Bahrain, ed by, P.Potts Berlin, Dietrich Reimer ver-lage, 1983.



- Hammond, Philp: The physical nature of Nabataean Pottery, American Journal of archaeology, vol. 68, New York 1964.
- Hammond, Philp: The excavation of the Main theater of Petra: 1961-1962, Colt archaeological institute publication, London 1965.
- Herodotus: The history of Herodotus, translation by A.D. Godley, Loeb classical library, London 1981.
- Hill, G.F.: The ancient Coinage of Southern Arabia, the British Academy, London 1915.
- Hill, G.F.: Catalogue of the Greek Coins of Arabia, Mesopotamia and Persia, British Museum, London 1922.
- Irvin, K.: Some Notes on Old South Arabian Monetary Terminology, Journal of royal Asiatic society, kas society, London 1964.
- Jamme, Albert: Sabaeen inscriptions from Mahram Bilqis (Marib), Johns Hopkins, Baltimore 1962.
- Jamme, Albert: Yemen expedition, Carnegie Museum of natural history, Special Publication, Pittsburg 1976.
- Jamme, A.: South Arabian inscriptions, in the ancient Near East: A New anthology of text and pictures, ed. by J.B. pritchard, Princeton University Press, Princeton 1975.
- Kay, Shirley: Emirates archaeological heritage, Emirate Press, Dubai 1986.
- Kedar, Y.: Water and Soil from the Desert, Geographical Journal, Royal Geographical Society, London 1957.
- Khan, A.: The tanning Cottage Industries in Pre-Islamic Arabia, Pakistan historical Society, Karachu 1971.
- Kirwan, Sir Lawrence: Where to look for the ancient port of Leukome, Studies in the history of Arabia, kind Saud University Press, Riyadh 1984.
- Kisanawi, A.: Preliminary Survey on the mining survey North West Hijaz, Atfal, vol.7, Riyadh 1983.
- Korte, Shmitt: A contribution to the Study of Nabataean Pottery, Annual of the Department of antiquities of Jordan, Amman 1971.
- Lamsa, J.: The Irrigation system at Ulu, 8th Century B.C., Journal of Cuneiform Studies, the American School of Oriental Research, Bagdad 1951.
- Lammens, Henri: Le Berceau de l'Islam, Rome 1914.
- Lammens, Henri: La cité Arabe de Taïf à la veille de L'Hégire, Beyrouth 1922.
- Lammens, Henri: La Mecque à la veille de L'Hégire, Beyrouth 1924.

- Dayton, J.: A discussion on the hydrology of Marib, the Institute of archaeology, London 1979.
- Dayton, J.: Marib visited 1979, the institute of archaeology, London 1981.
- De Jesus Prentiss, S.: Preliminary report of the ancient Mining survey 1981, Atfal, vol 6, Department of antiquities and Museums of Saudi Arabia, Riyadh 1982.
- Dickson, HRP: Kuwait and her neighbour, London 1956.
- Diodorus Siculus: Library of history, translation by Russel M. Greer and C.H. Old father, Loeb classical library, London 1979.
- DCE, B.: Southern Arabia, Thomas and Hadon, London 1971.
- Dæ, B.: Monuments of Southern Arabia, Falcon Olender, London 1983.
- Doughty, Charles: Travels in Arabia Deserta, Dover Publications, New York 1979.
- Encyclopedia Britannica, London 1964.
- Eph'al, I.: The ancient Arabs: Nomads on the Border of the Fertile Crescent, 9-5th. Century B.C. Second ed., the Magnes press, Jerusalem 1984.
- Evenari, M.: The Negev: The Challenge of the Desert, Mass, Harward University Press, Cambridge, 1971.
- Fakhry, Ahmed: An archaeological journey to Yemen, Government Press, Cairo, 1952.
- Froster, Charles: The historical Geography of Arabia, Draf Publisher, London 1984.
- Gingriche, A. and Heiss, J.: A note on traditional agriculture tools in Sa Dah Province, Institute of archaeology, London 1986.
- Glueck, Nelson: The other side of Jordan, American School of Oriental Research, New haven 1940.
- Grand dictionnaire encyclopédique Larousse, Tome 1, Librairie Larousse, Paris 1982.
- Grand Larousse encyclopédique, Tomes 5, 7 et 9, Librairie Larousse, Paris 1962, 1963, 1964.
- Grohman, A.: Encyclopédia of Ismal, «Ma'ribe» vol 3, E.J. Brill, Leiden 1936.
- Groom Nigel: The Frankincense and Myrrh, Longman, London 1981.
- Guidi, Ignation: L'Arabie antiislamique, Paris 1921.
- Hammond, Philp: The Nabataean, their history culture and archaeology, Paul Astroms Forlag, Gothenbury, Sweden, 1973.



- Philby, J.H.: The Land of Sheba, Geographical Journal, Royal Geographical Society, London 1938.
- Pirenne, Jacqueline: The Incense Port of Mosha in Dhofar, Journal of Oman Studies, the Ministry of information and culture, Oman 1975.
- Pliny Gaius: Natural history, translation by H. Rackham, Loeb classical library, London 1967.
- Polybius: Historia, translation by W.R. Paton, Loeb classical library, London 1925.
- Robert, Neil: Water Conservation in ancient Arabia, the Institute of archaeology, London 1977.
- Rostovtzeff, M.: Caravan Cities, translation by T. Talbot M. Rice, Clarendon Press, Oxford 1932.
- Schoff, W.: The Periplus of the Erythraean Sea, Oriental Book reprint, 5th. édition, Newdelhi 1954.
- Scott, Hugh: In the High Yemen, John Murray, London 1942.
- Serjeant, R.B.: Islamic textile, Library of Lebanon, Beirut 1972.
- Stamps, L. Dudley: A regional Geography, Pt. IV, Asia, London 1964.
- Strabo: The Geography of Strabo, translation by H.L. Jones, Loeb Classical Library, London 1983.
- Theophrastus: Enquiry into plants, translation Sir Arthur Hort, Loeb classical Library, London 1980.
- Van Beek, Gus: The Land of Sheba in Solomon and Sheba, ed by B. Pritchard Edinbury, R. and R. Clark 1974.
- Van Beek, Gus: Hajar Bin Humeid, Johns Hopkins, Baltimore 1967.
- Vidal, F.S.: The Oasis of Al Hasa, the Arabian American oil Company 135.
- Wade, Rosalind: Archaeological observation around Marib 1976, Proceedings of the seminar for Arabian Studies, the Institute of archaeology, London 1979.
- Walker, J.: The Moon god on coins of the Hadramaut, Bulletin of the school of Oriental and African Studies, vol 14, London 1952.
- Weisgeber, G.: Copper Production during the 3rd. millennium B.C. Oman and the question of Makan, Journal of Oman studies, vol. 6, Part 2, the Ministry of information and culture, Oman 1983.
- Weisgeber, G.: Pattern of early Islamic Metallurgy, Proceedings of the Seminar for Arabian Studies, the Institute of archaeology, London 1989.

- Lane, Arthur: Pottery and glass fragments from Aden, in studies in Arabian history and civilization, édition by R.B. Sejeant, Variorum reprint, London 1981.
- La pierre, Paul-Bovier: Précis de l'histoire d'Egypt, Le Cairo 1932.
- Lees, G.M.: The Physical Geography of South eastern Arabia, G.J. May 1928.
- Livingston, Tamyia, Attal, Department of antiquities and Museums of Saudi Arabia, Riyadh, 1983.
- Maktari, A.M.: Water rights and irrigation practices in Labj, University Press, Cambridge 1971.
- McClure, H.: The Arabian Peninsula and Prehistoric, Populations, F.R.P. 1971.
- Mc Crindle, J.W.: The Commerce and navigation of the Erythraean Sea, Trubner Co., Bombay 1987.
- Meigs, Peveril: Geography of Coastal Deserts, Belgium, Unesco 1966.
- Mesharar, Y.: Nabataean Coins, the Institute of archaeology, Jerusalem 1975.
- Miller, Innes J.: The spice trade of the Romain Empire, the Clarendon press, Oxford 1969.
- Ministry of Petroleum and Mineral Resources: Mineral resources of Saudi Arabia, Bulletin No1, Riyadh.
- Morkholm, Otto: New Coins Finds from Filka, Jysk archaeologist Selskab, Kuml Denmark 1981-1982.
- Musil, Alois: North Hejaz, American Geographical Society, New York 1929.
- Nasif, Abdullah A.: An ancient Water system in Sakaka Al Jawf: Saudi Arabia, the Institute of archaeology, London 1987.
- Naval Intelligence division: Western Arabia the Red Sea, Naval Intelligence Division Admiralty, London 1964.
- Norris, H.T. and Penkey, F.W.: An archaeological and historical survey of the Aden tanks, Aden Government Press, London 1955.
- The Periplus of the Erythraean Sea, translation by Wilfred Schoff 5th edition, Oriental book reprint, NewDelhi 1954.
- Perowne, S.: I M'adiya and Beihan, Aden Protectorate Antiquity, Heffers Printer, Cambridge 1939.
- Peter, F.E.: The Nabataean in the Hawran, Journal of American School of Oriental Society, vol 97, Part 3, New haven 1977.
- Philby, J.H.: The Background of Islam, whitehead Morris Press, Alexandria 1949.



## الفهرس

٧	الإهداء
٩	المقدمة
١٩	الفصل الأول: الجغرافية الطبيعية لشبه الجزيرة العربية
١٩	١ - الموقع
٢٠	٢ - المساحة والحدود
٢٣	٣ - سطح شبه الجزيرة العربية
٢٤	٤ - نظرة العرب والجغرافيين القدامى لطبيعة شبه الجزيرة العربية
٢٨	٥ - المناخ
٤١	الفصل الثاني: الثروات الطبيعية
٤١	١ - الثروة المائية
٤١	- مياه الأمطار
٤٤	- مياه الأودية
٥١	- مياه العيون والينابيع
٥٢	- مياه الآبار
٥٦	٢ - الثروة النباتية
٦٣	٣ - الثروة الحيوانية
٦٥	٤ - الثروة المعدنية
٦٧	٥ - الثروة الحجرية: الأحجار الكريمة والعقاليق
٧٠	الفصل الثالث: الإنتاج الزراعي ودرغى الماشية في بلاد العرب قبل الإسلام
٧٣	أولاً: زراعة الأراضي
٧٣	١ - أساليب الزراعة ووسائلها
٧٥	٢ - السدود وأساليب الري
٧٦	أ - نظام السدود
٩٤	ب - نظام القنوات
١٠١	٣ - أنظمة توزيع مياه الري
١٠٣	٤ - معاملات المزارعة وتأجير الأراضي

- Weisgeber, G.: Evidence of ancient mining sites in Oman, Journal of Oman Studis, vol.4, the Ministry of information and Culture, Oman 1978.
- Wellsted, J.R.: Travel in Arabia, Akademisch Druck Uverlagsanstalt, Graz 1978.
- Wilkinson, J.C.: Water and tribal settlement in South East Arabia, a study of the Aflaj of Oman, Clarendon Press, Oxford, London 1977.
- Wilson, R.T.: The Camel, Longman, London 1984.
- Winckler Hugo: The history of Babylonia and Assyria, tr. James A. Craig, New York 1907.
- Wissmann, H. Von: Himyar, ancient historique, Le Mus'oon, Publiée par l'Association sans but lu eralif, Louvain 1964.
- Zarins, Juris.: The Preliminary report on the third phase of the Comprehensive archaeological survey Program, the Central Province, Ailal, Department of antiquities and museums of Saudi Arabia, Riyadh 1979.



١٠٧	٥ - مخاطر الزراعة وضررها
١٠٩	٦ - المحاصيل الزراعية
١٢٦	ثانياً: رعي الماشية
١٢٦	أ - أنواع الرعي
١٢٨	ب - ملكية الرعي
١٢٩	ج - مناطق الرعي وبناتها
١٣٢	ثالثاً: تربية الحيوانات
١٣٢	أ - الحيوانات الأليفة
١٣٨	ب - الطيور الداجنة
١٣٨	ج - تربية النحل
١٤٠	رابعاً: صيد الحيوانات البرية والبحرية
١٤١	الفصل الرابع: الإنتاج الصناعي والتعدين في عصور ما قبل الإسلام
١٤٢	١ - التعدين وطرقه
١٤٥	٢ - صناعات الأواني والأدوات المعدنية
١٤٩	٣ - الصناعات المعدنية الثمينة
١٥٣	٤ - صناعات النود المعدنية (المسكوكات)
١٥٦	٥ - الصناعات الحجرية
١٥٩	٦ - صناعة استخراج الملح
١٦٠	٧ - صناعة الغزل والنسيج
١٦٣	٨ - الصناعات الجلدية والديباغة
١٦٦	٩ - صناعة استخراج الأصباغ والعطور
١٧٠	١٠ - الصناعات الخشبية
١٧٣	١١ - صناعة السفن
١٧٥	١٢ - صناعة الألياف والميدان
١٧٦	١٣ - الصناعات الفخارية
١٨٢	١٤ - صناعة الأواني الزجاجية
١٨٣	١٥ - صناعة العواد الفلانية
١٨٦	الفصل الخامس: القطاع التجاري والأسواق في عصور ما قبل الإسلام
١٨٦	أولاً: القطاع التجاري
١٨٨	١ - التجارة في جنوب شبه الجزيرة العربية
٢٠٣	٢ - التجارة في الشمال
٢١٤	٣ - دور البثراء التجاري
٢١٩	٤ - دور تدوير التجاري
٢٢٢	٥ - التجارة في شرقي شبه الجزيرة العربية

٢٢٧	٦ - التجارة في شمال شرقي بلاد العرب
٢٢٥	ثانياً: الأسواق وأنظمتها
٢٢٥	أ - الأسواق
٢٢٧	ب - أنظمة السوق
٢٢٦	ملاحق الكتاب:
٢٢٦	الملحق الأول: الموقع الطبيعي لشبه الجزيرة العربية من قارات العالم القديم
٢٢٦	الملحق الثاني: التطور الجيولوجي لتكوين الأراضي في شبه الجزيرة العربية
٢٢٦	الملحق الثالث: جزيرة العرب - طبيعة سطح الأرض
٢٢٥	الملحق الرابع: خريطة بطليموس للعربية السعيدة باللغة العربية
٢٢٦	الملحق الخامس: خريطة بطليموس للعربية السعيدة باللغة الأجنبية
٢٢٦	الملحق السادس: الدول العربية الشمالية قبل الإسلام
٢٢٨	الملحق السابع: خريطة المراكز التجارية القديمة والطرق البرية والبحرية التابعة لها
٢٢٨	الملحق الثامن: الطرق البرية الرئيسية ومدن القوافل
٢٧٠	الملحق التاسع: الطرق البرية في جنوب شبه الجزيرة العربية
٢٧١	الملحق العاشر: الموانئ العربية والأجنبية
٢٧٢	الملحق الحادي عشر: خطوط التجارة البحرية في العصر البيزنطي الروماني
٢٧٣	الملحق الثاني عشر: الكيانات السياسية في شبه الجزيرة العربية
٢٧٤	الملحق الثالث عشر: قسم من سد مأرب
٢٧٥	الملحق الرابع عشر: مخطط يوضح طريقة حفر القناة في جوف الأرض
٢٧٦	الملحق الخامس عشر: مخطط يوضح كيفية جلب الماء المحفوظ تحت سطح الأرض لجري على وجه الأرض في موقع آخر أقل ارتفاعاً
٢٧٧	الملحق السادس عشر: طريقة السيفون لحماية القناة من السيل عند عبورها للوادي
٢٧٨	الملحق السابع عشر: نماذج من أنواع القنوات
٢٧٩	الملحق الثامن عشر: أواني فخارية
٢٨٠	الملحق التاسع عشر: نماذج فخارية ونماذج لعجلة عربية قديمة
٢٨١	المصادر والمراجع:
٢٨٢	أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية
٢٨٣	ثانياً: المصادر والمراجع باللغات الأجنبية
٢٨٤	فهرس المحتويات





# تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام

تتمتع بلاد العرب بمزايا عديدة، من أهمها، غنى أراضيها، وموقعها الفريد بين قارات ثلاث، آسيا وإفريقيا وأوروبا. وقد جعل منها هذا الموقع صلة وصل بين حضارات الشرق الأقصى كالهند والصين وحضارات الغرب الأوروبي كالأغريق والرومان. كما جعل منها قلب العالم القديم الذي كان ينبض بالحياة والنشاط ويرقد المجتمعات بقواها البشرية.. فعلى أرض العرب نشأت أولى حضارات الإنسان، واكتشفت الزراعة وصنع الخبز لأول مرة في التاريخ على حد قول المؤرخ ارنولد توينبي.

ولا ريب أن كتاب «تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام» الذي بين أيدينا - مؤلفه الدكتور علي معطي الذي يتميز في أبحاثه بالموضوعية والرصانة العلمية - يُعتبر مرجعاً لكل باحث في اقتصاديات العالم العربي في عصور ما قبل الإسلام. ففي هذا الكتاب تفصيل وافٍ لشرواته الطبيعية، وتبيان لإنجازات أهله في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة.

فلذا نعتز «دار المنهل اللبناني» أن تضع بين أيدي قرائها الأعزاء هذا السفر القيم الذي تحتاجه المكتبة العربية، وذلك للندرة مثل هذه الدراسات فيها، وأن تعلن لاحقاً عن صدور كتاب «تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام» للمؤلف نفسه.

الناشر

دار المنهل اللبناني - مكتبة الراس النبم

هاتف : ٦٣١٦٥١ (٠١) - ٢٢٦٣٢٥ (٠٣) - تليفاكس : ٦٣٣٤٣٢ (٠١)